جميل عارف

كانت ملكة

ناريمان آخر ملكات مصر

المكتب المصري الحديث
www.almaktabalmasry.com

الإهداء

إلى هؤلاء الذين ولدوا بعد ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢. أهدي صفحات هذه المذكرات باعتبارها وثيقة تاريخية، ولأنها شهادة حية وصادقة، حتى يعرفوا - وهم الأمل والمستقبل - كيف كانت تحكم مصر..؟


كانت ملكة
ناريمان آخر ملكات مصر

المكتب المصرى الحديث

www.almaktabalmasry.com
almaktabalmasry@hotmail.com

القاهرة: ٢ شارع شريف عمارة اللواء ت: ٣٩٣٤١٢٧
الإسكندرية: ٧ شارع نوبار المنشية ت: ٤٨٤٦٦٠٢

قصة هذه المذكرات

كانت الصدفة وحدها هى التى جمعتني مع الصديق مصطفى صادق عم المرحومة ناريمان ملكة مصر السابقة فى شهر أغسطس سنة ١٩٥٧ التى توفيت مؤخرا ...

كان يعمل كبيرا للطيارين فى مدرسة التدريب على الطيران فى الكويت..

وكنت أنا عائدا من رحلة قمت بها فى منطقة الخليج العربي عندما تخلفت لعدة أيام فى الكويت..

ودار حديث بيني وبين مصطفى صادق حول حياته إلى جانب ناريمان عندما كانت ملكة..

كنت أرف أنها ابنة أخيه المرحوم حسين صادق..

وفى بادئ الأمر.. تردد الرجل الصديق كثيرا فى أن يخوض معى فى الحديث عن حياتها مع فاروق..

ولكنى استطعت إقناعه بأن يتكلم..

قلت له.. إن ناريمان عاشت ملكة لمدة ١٨شهلاا، وتفاصيل حياتها مع فاروق هى جزء من تاريخ بلادنا..

وأن ناريمان كانت زوجة لآخر رجل من عائلة الأرناؤوط.. أقصد عائلة محمد على.. التى حكمت مصر على مدى ١٥٠سنة.. وأن من حق شعب مصر أن يعرف تفاصيل الحياة الغريبة التى كان يحياها هذا الرجل وانتهت بإسقاطه عن عرشه..

وأن ناريمان هى واحدة من بنات شعبنا الطيب، وقد اخطفها فاروق من الرجل الذى تقدم لخطبتها، وجعل منها ملكة.. وقد شهدت إلى جواره اللحظات التاريخية التى سجلت نهايته.. نهاية

حكم عائلة الأرناؤوط مع ثورة الجيش والشعب فى ٢٣يوليو سنة١٩٥٢..

وقلت له.. إن تفاصيل حياة ناريمان مع فاروق لا يمكن أن تكون ملكا لها وحدها.. ولكنها ملك لشعب مصر كله.. وأن من حق كل مواطن أن يعرف شيئا عن حياتها معه لأنها جزء من تاريخ مصر..

المهم.. استطعت إقناع الصديق مصطفى صادق بأن يتكلم.. وأن يملي عليّ مذكراته التى نشرت جانبا منها فى مجلة آخر ساعة فى تلك الأيام.. أى منذ أكثر من ٥٠سنة.

ولا أريد أن أقول.. أنني اضطررت للبقاء فى الكويت عدة أسابيع حتى فرغ الرجل من إملاء مذكراته عليّ..

كنت أذهب إلى بيته ناحية الصليبيخات فى ضواحي مدينة الكويت كل يوم وكنت أمضى معه عدة ساعات فى مراجعة الوقائع، وفى كتابة حلقات مذكراته.

وأثار الصديق مصطفى صادق إعجابي، فقد كانت ذاكرته قوية.. وكان دقيقا فى سرد الوقائع إيمانا منه معى بأنها أمانة تاريخية، وتسجيل لصورة الحياة فى قصر الملك الأرناؤوطى الذى طردته مصر، وكانت نهاية عهده مع ثورة الجيش والشعب فى ٢٣يوليو سنة ١٩٥٢..

* * *

وأذكر أننى ذهب إلى بيروت بعد أن حصلت على مذكرات الصديق مصطفى صادق حيث قابلت ناريمان عدة مرات..

وكانت فى تلك الأيام قد طلقت من فاروق، ثم ذهبت إلى بيروت لتعيش فى شقة صغيرة تطل على البحر فى المنطقة التى تمتد بجوار صخرة الروشة..

وكانت ناريمان تجتاز فى تلك الأيام أزمة مالية حادة بحيث اضطرت كما سمعت من بعض أصدقائهما أن تبيع بعض مجوهراتها التى أهداها إليها فاروق عندما اختطفها من عريسها ليجعل منها ملكة..

ولن أنسى فى حياتى أول مرة التقيت فيها مع ناريمان..

لقد ذهبت إلى شقتها بعد أن اتصلت بها تليفونيا، وتحدد موعد الزيارة..

وأذكر أن السيدة أصيلة هانم والدة ناريمان قد استقبلتني عند بابا الشقة ثم أدخلتني إلى حجرة الصالون، وطلبت إلى أن أنتظر حتى تخطر ناريمان بقدومى..

ومرت ربع ساعة.. وبعدها فتح الباب لأسم أصيلة هانم، وهى تصيح بصوت مرتفع:

- صاحبة الجلالة ناريمان..

وبعدها دخلت ناريمان.. صاحبة الجلالة سابقا، إلى حجرة الصالون لتصافحني بأطراف أصابعها، ولتجلس على مقعد فى منتصف الحجرة.. بينما جلست أصيلة هانم على مقعد قريب من الباب، وهى تضم يديها فى أدب جم على طريقة وصيفات القصر الملكى أيام زمان..

ولم يكن فى وسعى إلا أن أبتسم، فقد كانت ناريمان فى تلك الأيام، وبعد طلاقها من فاروق لا تزال تعيش فى الدوامة التى شدها فاروق إليها عندما جعل منها ملكة..

وبمعنى آخر.. لقد تصورت فى تلك الأيام أنها لا تزال ملكة..

ولم تكن تريد أن تصدق أنها كانت ملكة..

وأن عليها أن تضم نفسها إلى طابور صاحبات الجلالة السابقات..

ولكم آلمني كثيرا، وقد عرفت ناريمان عن قرب أن أتبين بنفسي كيف أن السيدة أصيلة كانت تشجعها كثيرا فى تلك الأيام على أن تظل تعيش فى هذا الحلم، وأنها لم تعمل على إيقاظها منه فى الوقت المناسب.

* * *

وأذكر فى لك الأيام.. أننى قلت شيئا بهذا المعنى لناريمان أثناء إحدى زياراتي لها عندما كانت فى بيروت..

قلت لها: إن عمك مصطفى صادق يتفق معى فى هذا الرأى..

وبكت يومها ناريمان وهى تقول لى:

- أنا غلبانه.. وقد ظلمنى القدر!!

وأدركت حقيقة الانفعالات التى كانت تضطرم فى نفسها..

كانت تعرف.. أنها لم تعد صاحبة جلالة.. وأن عليها أن تنسى قصة حياته إلى جوار فاروق حتى تعيش..

وفى رأيى إنها لم توافق فى تلك الأيام على أن تعيش فى المسرحية التى فرضه عليها، إلا لكى تنسى!

أما أصيلة هانم، فقد ثارت فى وجهي، وأخذت تهم مصطفى صادق شقيق زوجها بأنه يكرهها! وإنه السبب فى كل ما حدث لناريمان!

ولا أريد أن أقول.. إنها بدأت تعاملنى بجفاء لأننى صارحت ناريمان بالحقيقة..

وأنها كانت فى كل مرة أذهب فيها إلى شقة ناريمان تقول لى:

- صاحبة الجلالة لا تريد أن تستقبل أحدا..

وكان هدفها - كما فهمت - هو منعى من الاتصال بناريمان حتى لا أعمل على لإيقاظها من الحلم الذى حرصت أصيلة هانم على أن تعيش فيه أبنتها!

* * *

المهم.. نشرت مذكرات الصديق مصطفى صادق فى تلك الأيام.. كانت دقيقة وصادقة..

وكانت تنقل لقصة لكاملة لحياة ناريمان مع فاروق باعتبارها وثيقة تاريخية..

ولم يعترض الصديق مصطفى صادق على أية وقعة نشرت بها..

كما أن ناريمان نفسها، لم تجد فيها ما يحتاج إلى تصحيح أو تكذيب..

وأذكر أننى تلقيت مع نشر حلقات هذه المذكرات بعض التعليقات بعث بها إلى من واحد من الذين جاء ذكرهم فيها..

ولفت نظرى أن هذه التعليقات لم تتعرض للوقائع التى جاءت فى المذكرات وإن كانت قد أضافت بعض التفصيل التى لم تستوعبها ذاكرة الصديق مصطفى صادق وقد قمت بنشر هذه التعليقات تدعيما لما جاء فى هذه المذكرات..

هذا، وقد انتظرت ٢٠سنة كاملة بعد أن نشرت هذه المذكرات على أوسع نطاق دون أن أتلقى اعتراضا واحدا على تفاصيل ما جاء فيها.. ثم قررت تجميع هذه المذكرات كوثيقة تاريخية تروى القصة الكاملة لحياة ناريمان مع فاروق آخر رجل فى عائلة الأرناؤوط التى حكمت مصر قبل ثورة الجيش والشعب فى٢٣يوليو سنة١٩٥٢..

ويهمنى أن أسجل هنا:

أن ناريمان سيدة مصرية أصيلة، من عائلة نبعت من هذا الشعب..

وأنا أعرف- كما قالت لى مرة فى بيروت.. إنهم قد ظلموها كثيرا عندما أجبروها على الزواج من فاروق..

ولكنها كانت فتاة ساذجة.. وكانت صغيرة السن، وقد فرحت كثير عندما قالوا لها أنها ستصبح ملكة..

ويكفى أن أقول.. إن والدها المرحوم حسين صادق كان يفكر فى الهرب معها من مصر عندما بعث إليه فاروق يطلب إليه الموافقة على زواجه من ابنته!

كانت وحيدته.. وكان يريد أن ينقذها من برائن فاروق..

ولا يسعني وأنا أسجل تقديري واحترامي لناريمان.. إلا أن أؤكد أننى ما كنت أقدم على بجميع هذه المذكرات التى سبق أن نشرت جانبا منها فى مجلتي آخر ساعة، وأكتوبر، إلا إيمانا منى بأن قصة حياتها مع فاروق لا يمكن إلا أن تكون جزءا من تاريخ بلادنا..

فهى تسجل اللحظات التاريخية التى انتهت بطرد فاروق..

وتنقل صورة الحياة العجيبة التى كان هذا الرجل يحياها وهو يحكم بلادنا قبل أن يتحرك الجيش والشعب لطرده من العرش..

ولأنها وثيقة تاريخية.. فهى ملك لكل الشعب..

جميل عارف

الفصل الأول

حاولت أن أخطف ناريمان من زكي هاشم لأزوجها من ابن مدير سلاح الطيران.. فجاء فاروق وخطفها من الاثنين !

تكلم الصديق مصطفى صادق عم ناريمان ليقول فى مذكراته:

خطف فاروق ناريمان من الدكتور زكى هاشم..

إنها ابنة أخي المرحوم حسين صادق..

وكانت مفاجأة مثيرة لم اكن أتوقعها..

كما لم يكن يتوقعها أى واحد من أفراد عائلتنا..

ولم يكن أمامنا بعد أن أصبحنا بين ليلة وضحاها أصهارا لعائلة الملك السابق فاروق، إلا أن نستعد للوضع الجديد الذى وجدنا أنفسنا فيه بعد أن أصبحت ناريمان ملكة!

ولكن.. يجب أن أعود قليلا إلى الوراء..

يجب على أن أعود إلى اليوم الذى تقدم فيه الدكتور زكى هاشم إلى أخي حسين صادق لكى يطلب يد وحيدته ناريمان..

كانت ((دلوعة)) العائلة.. وقد قاست أمها أصيلة هانم كثيرا قبل أن يمن الله عليها بولاتها..

ولا يعرف كثيرون.. أن أصيلة هانم أجهضت تسع مرات قبل أن تلد ناريمان..

ولن تتصوروا.. كيف كان أخي حسين يعز ابنته.. كانت كل شئ فى حياته..

إنه لم يكن يرفض لها طلبا واحد.. ولا أذكر أنه فى حياته قد حاول أن يؤذى مشاعرها بكلمة واحدة..

ولتن تصوروا أيضا.. كيف كانت ناريمان تحب والدها..

لقد كان هو أيضا كل شئ فى حياتها..

وفى تلك الأيام.. كنت أعمل ضابطا للتعليم فى سلاح الطيران برتبة قائد سرب..

وكنت سعيدا فى عملي..

وكان آخر ما يمكن أن يتبادر إلى خاطري هو أن تغييرا مثيرا قد يحدث فى حياتى..

وأنني قد أصبح بعد عدة أشهر عما للملكة.. زوجة الملك السابق فاروق!.

وأذكر فى تلك الأيام أن قرارا صدر بتعيين قائد جديد لسلاح الطيران إنه المرجوم اللواء محمد الشعراوى..

وكان ضابطا اشتهر بقسوته وبصرامته العسكرية للدرجة التى جعلت زملائى فى سلاح الطيران يتوجسون خيفة من وراء تعيينه..

أما أنا، فلم أعر الأمر اهتماما كبيرا.. وقررت أن أتقرب إليه بكل السبل..

وأرادت الأقدار أن تلعب بسرعة دورا مثيرا فى قصة ناريمان عندما وقع اختيار القائد الجديد عليّ للعمل رئيسا لقوة رئاسة سلاح الطيران..

وكان أن انتقلت لأباشر عملي الجديد فى حجرة لا تبعد كثيرا عن مكتبه.

وتعرفت فى تلك الأيام على اليوزباشي صلاح الشعراوى ابن القائد..

كان ضابطا فى الحرس الملكى.. وكان يتردد كثيرا على مكتب والده..

إنه هو نفسه الذى انتقل بعد الثورة إلى السلك الدبلوماسي بوزارة الخارجية..

وقد تدرج فى العمل الدبلوماسي حتى أصبح سفيرا.

المهم.. توثقت عرى الصداقة بيني وبينه..

ولا أريد أن أخفى أننى كنت معجبا به، فقد كان شابا رياضيا، وكان على خلق متين..

وأكثر من ذلك فقد كان أبن المدير!

وراودتني فى تلك الأيام فكرة ترشيحه للزواج من ناريمان..

كانت فرصتي للتقرب إلى المدير الجديد..

ولا أعرف بالضبط كيف تطرق الحديث بيني وبينه إلى موضوع زواجه من ابنة أخي.

ولكنى أذكر أن ضابطا من أصدقائي هو الذى أثار هذه الموضوع معه.. إنه الأمير الآي السيد زكى أصبح بعد الثورة من قيادات الاتحاد الاشتراكي العربي بالقاهرة..

لقد كان وقها ضابطا فى البوليس الحربي برتبة اليوزباشي.. أى نقيب.. وأذكر أنه أنتهز فرصة جلوسي مع صلاح عندما قال لي:

- تعرف يا مصطفى.. صلاح لايق خالص على بنت ((أخزك)) ناريمان..

ليه ما يخطبهاش!

قلت بسرعة وأنا أبدى ترحبي بهذا الاقتراح:

- والله يبقى شئ عظيم خالص.. هو احنا حنلاقى أحسن من صلاح...

كنت معجبا حقا بصلاح الشعراوى، ولذلك لم أنتظر أن يقول رأيه فى هذا الاقتراح، وقررت أن أعمل بسرعة على أن يتقدم إلى أخي حسين ليطلب يد ناريمان منه..

وطبعا.. كانت تراوني فى تلك اللحظات أفكار كثيرة عن النسب الجديد الذى سيربطني بالمدير!

مشادة عنيفة مع أصيلة هانم:

وكنت أعرف أن الدكتور زكى هاشم قد تقدم فعلا لخطبة ناريمان..

وكان وقتها يعمل نائبا فى مجلس الدولة..

ولم يكن أمامي إلا أن أعمل بسرعة على عرقلة زواجه من ناريمان حتى أفسح الطريق أمام صلاح الشعراوى حتى يمكنه التقدم لخطبتها من والدها..

وبذلت محاولات كثيرة، وأنا لا أدرى أن فاروق سيأتي بعد عدة أسابيع ليخطف ناريمان من الدكتور زكى هاشم.. ومن صلاح الشعراوى أيضا..

وأنني بدلا من أن أصبح صهرا للمدير الجديد سأصبح صهرا للرجل الذى أصدر قرار تعيين هذا المدير. وهو الملك السابق فاروق نفسه!

وأذكر أننى ذهبت إلى بيت أخي حسين فى محاولة لجس النبض..

كنت أريد أن أتعرف رأيه فى موضوع تقدم صلاح الشعراوى إليه لخطبة ناريمان..

وفى بيت أخي أدركت قبل أن أتفوه بكلمة واحدة مدى إعجاب أخي بالمستوى الثقافي والعلمي للدكتور زكى هاشم..

قال لى: إنه شاب ممتاز، وهو على جانب كبير من الثقافة..

ولم أنتظر، وبادرت أقول له أمام ناريمان وأصيلة هانم، وكانا تجلسان إلى جوار أخي حسين:

- ولكن الشهادات ليست كل شئ.. وفى رأيى أنه يوجد فرق كبير بين الدكتور زكى هاشم.. وبين صلاح الشعراوى.. واحد نحيف الجسم ويبدو كالمريض.. والثاني شاب رياضي، ممتلئ بالحياة..

وكان واضحا أننى أحاول أن أجد مبررا لإقناع أخي حسين حتى لا يوافق على زواج ناريمان من الدكتور زكى هاشم، وللحصول على موافقته على زواجها من صلاح الشعراوى..

وأثار موقفي أصيلة هانم، فانبرت تهاجمني بعنف وهى تقول:

- الدكتور زكى هاشم ما له.. ده عنده شهادات قد الدنيا..

وحاولت أن أقول لها شيئا حتى أقنعها بوجهة نظرى..

ولكنها كانت كعادتها دائما عنيدة..

وكان أن رفضت بشدة أن يتقدم صلاح الشعراوى لخطبة ناريمان..

ثم طلبت إليّ أن أكف عن ترشيحه مرة أخرى لخطبة أبنتها!

ولم يكن فى وسعى إزاء موقف أصيلة هانم إلا أن أترك بيت أخي، وأنا حزين بعد أن فشلت فى مهمتي !

وقررت أن أبحث عن وسيلة أخرى لأحقق الأفكار التى كانت تراودني لإتمام خطبة ناريمان إلى أبن المدير؟ !

وأذكر أننى لجأت إلى ناريمان نفسها..

جلست إلى جوارها مرة، ثم أخذت أحدثها عن صلاح الشعراوى..

كانت فتاة ساذجة، فهى لم تكن قد تجاوزت فى تلك الأيام السادسة عشر من عمرها..

وكان من السهل على إقناعها بأن العريس الرياضي حسن بكثير من الدكتور حامل الشهادات..

وأقنعت ناريمان بوجهة نظرى، وكان أن وافقت على الزواج من صلاح الشعراوى بدلا من الدكتور زكى هاشم..

ولكن.. موافقة ناريمان لم تكن تفيد كثيرا، فقد كانت شخصيتها ضعيفة أمام شخصية والدتها الجارفة..

وعرفت فى تلك الأيام أن صلاح الشعراوى قد ذهب إلى مدرسة ناريمان، وأنه وقف أمام باب المدرسة ينتظر حتى خرجت مع زملاتها طالبات المدرسة..

كان يريد أن يراها قبل أن يتقدم لخطبتها..

ويبدو أنها أعجبته بالدرجة التى جعلته ((يتحنجل)) أمام باب المدرسة لمدة أسبوع كامل.. وبعدها ذهب إلى والده، وطلب إليه أن يتقدم إلى أخي حسين ليطلب يد ابنته ناريمان له..

ولا أريد أن أقول.. أن صلاح أحب ناريمان من أول نظرة، دون أن يتحدث معها بكلمة واحدة..

ولا أظن أن الفرصة سنحت له بعد ذلك لكى يبادلها أى حديث!

يرفض مقابلة العريس:

تحرج موقفي للغاية عندما استدعاني اللواء الشعراوى، وطلب إليّ أن أحدد موعدا لزيارة أخي حسين فى بيته ليخطب أبنته ناريمان لابنه صلاح..

ولم أقل شيئا، وذهبت إلى أخي لأبلغه رغبة القائد..

قلت له.. إن اللواء الشعراوى يريد زيارتك ليطلب يد ناريمان لابنه صلاح..

وأطرق أخى قليلا ثم قال لى:

- أنا أعطيت كلمتي للدكتور زكى هاشم، فكيف استقبل عريسا جديدا..

قلت له: علشان خاطري يا حسين قابل اللواء الشعرواى وأبنه ..

قال: حكاية صلاح ده((برجلت)) البيت كله..

وأدركت لأول مرة أننى قد أوقعت نفسى فى ورطة كبيرة بمحاولتي ترشيح أبن اللواء الشعراوى للزواج من ابنة أخى ناريمان..

كان أخى متحمسا للدكتور زكى هاشم.. وكانت أصيلة هانم هى الأخرى متحمسة له..

إما ناريمان.. فكانت وحدها التى تقف إلى جوارى..

ولكن موقفها لم يكن يجدى، فقد كانت طفلة صغيرة لا تفقه شيئا.. أو هكذا كانت أصيلة هانم تقول عنها..

ولا أريد أن أقول.. أن ناريمان كانت تفضل صلاح على العريس الآخر.. الدكتور صاحب الشهادات

وقد تأكدت من ذلك عندما جاء اللواء الشعراوى إلى بيت أخى ليطلب ناريمان لابنه..

وكن قد قلت لأخى.. أن مستقبلي كله سيصبح فى خطر إذا لم يستقبل الرجل مع ابنه فى بيته..

ووافق أخى تحت إلحاحى..

وأذكر أن عيني التقت بعيني ناريمان عندما دخلت حجرة الصالون لتصافح اللواء الشعراوى وابنه..

لقد رأيتها، وهى تبتسم.. كما رأيتها وهى تشير إلى خفية بيدها..

وكان واضحا أن العريس الجديد قد لقى هوى كبيرا فى نفسها..

وسمعتها بعد أن ودنا اللواء الشعراوى عند انصرافه مع ابنه، وهى تقول لى، وكانت تكاد تهمس فى أذنى حتى لا تسمعها أصيلة هانم:

- لك حق يا ((أونكل)).. ده أحسن وشكله لطيف !

قاطعت بيت أخى:

ولا أعرف.. ماذا حدث بالضبط، بعد أن تقدم صلاح الشعراوى إلى أخى حسين طالبا يد ابنته ناريمان..

لقد أصبحت فجأة شخصا غير مرغوب فيه فى بيت أخى حسين..

وتغيرت طريقة أصيلة هانم فى استقبالي..

إنها لم تعد تقابلني بالترحاب الذى تعودته كلما ذهبت إلى بيت أخى لزيارته..

ورفت السبب..

لقد غضبت أصيلة هانم على كثيرا لأن ناريمان أخذت تقارن صراحة أمامها بين العريسين.. ولأنها لم تجد حرجا فى القول.. بأنها تفضل الزواج من صرح الشعراوى..

وكما سمعت... ثارت أصيلة هانم فى وجهها وهى تقول لها:

- ده كله.. سببه عمك..

ويبدو أن أصيلة هانم كانت تخشى أن يتطور الموقف، وخاصة إذا ما أدرك أخى حسين مدى إصرار ناريمان على تفضيل صلاح الشعراوى..

كانت تعرف أن أخى لن يرد لابنته رغبة، وأنه قد يضحى بالدكتور حامل الشهادات من أجل أن يوفر السعادة لابنته..

ولم يكن منها إلا أن أوعزت إلى الدكتور زكى هاشم حتى يسرع فى إجراءات إعلان خطبته..

وعملت أيضا على التعجيل بإعلان خطبة ناريمان إليه رسميا!

وكان أن فوجئت وأنا عم ناريمان بإعلان خطبتها إلى الدكتور زكى هاشم..

لقد نزل عليّ الخبر كالصاعقة، ثم أخذت أفكر بسرعة فيما يمكنني أن أقوله لرئيسي.. اللواء الشعراوى..

كنت أشعر بحرج كبير.. ولم أعد أعرف كيف أواجهه..

ولا أعرف كيف عرف الرجل بخطبة ناريمان قبل أن أقول له شيئا، فقد فوجئت به يستدعيني إلى مكتبه، ليقول لى:

- ده قسمة ونصيب.. يا مصطفى.. متزعلش نفسك..

وانتهت هذه الأزمة.. وبقيت أنا بعيدا ن بيت أخى إلى أن تلقيت الدعوة الرسمية التى قاموا بأعدادها بسرعة بمناسبة الاحتفال بعقد القران..

وكنت قد قررت أن أعتذر عن الاشتراك كعم للعروس فى هذا الاحتفال، ولكن والدتى طلبت إليّ أن أذهب..

قالت له: لازم تروح.. أحسن أخوك يزعل منك..

وكان أن وافقت على حضور حفل عقد قران ناريمان والدكتور زكى هاشم، على مضض!!

وأخذت أتأهب لشراء هدية مناسبة لأقدمها إلى ناريمان بمناسبة زواجها به.. ولكن الأقدار كانت تلعب دورا مثيرا، فقد ظهر

فاروق على المسرح فجأة (ليلطش) ناريمان من العريس صاحب الشهادات!

أنقذته من انتقام فاروق:

وهنا يجب أن أروى هذه الحكاية المثيرة..

كان صلاح الشعراوى ضابطا فى الحرس الملكى.. وعندما قرر فاروق أن (يلطش) ناريمان .. خشيت أن يعرف أن أحد ضباط حرسه كان تقدم هو الآخر لخطبة الفتاة التى اختارها لتجلس إلى جواره على العرش..

كنت معجبا بصلاح، وخشيت أن يبطش به فاروق..

وكان أن طلبت إلى ناريمان بعد أن تزوجها فاروق وأصبحت ملكة أن تكتم قصة تقدم صلاح الشعراوى لخطبتها عن فاروق..

وفى اعتقادي أن فاروق عاش لا يعرف عن هذه القصة شيئا حتى آخر لحظة من حياته..

وتصوروا موقفه لو كان قد عرف أن ضابط الحرس الملكى الذى يقف شاهرا سلاحه أمام بلوك الملك فى قصر القبة، كان فى يوم من الأيام يرابط أمام مدرسة الملكة ليتابعها بنظراته، وليراقبها عندما تخرج من باب المدرسة..

وأنه اصطحب والده.. وذهب إلى بيت أهلها ليطلب يدها..

وأذكر أن ناريمان كادت أن تفضح صلاح مرة، وهى جالسة فى أحد الأيام فى شرفة القصر إلى جوار فاروق..

كنت جالسا معهما.. عندما لمحت صلاح الشعراوى، وهو يسير فى إحدى ممرات الحديقة تحت شرفة القصر، فقالت لفاروق بلا مقدمات:

- تعرف صلاح .. كان عاوز يخطبني أيام زكى هاشم..

- واحمر وجه فاروق، ثم انتفخت أوداجه، وهو يقول لها:

- صلاح مين.. صلاح زغلول؟ !

ولم أنتظر وأسرعت بالتدخل فى الموقف.. وكان واضحا أن الملك قد اتجه بتفكيره إلى واحد آخر اسمه صلاح زغلول..

غمزت لناريمان بطرف عينى..

وأدركت هى ما أعنى، وكان أن اتجهت برأسها ناحية فاروق، ثم التصقت به، واقترب بفمها من أذنه.. ثم همس فيها بدلال:

- أنا كنت بأغيظك علشان أعرف بتغير عليّ قد أية!

واعتدل فاروق من مكانه، وكان واضحا أن اللعبة قد أعجبته كثيرا، ولذلك أخذ يقهقه بطريقة هستيرية..

وتلفت ناحية ناريمان مستفسرا عما قالته للملك..

وجاءنى الجواب من فاروق نفسه..

قال بسرعة وهو يشير بيده ناحيتها، وكان لا يزال مستمرا فى قهقهته:

- بنت أخوك.. بتقول نكته جديدة !

وأدركت أن ناريمان استطاعت بلباقة ودلال أن تنقذ صلاح الشعراوى من انتقام فاروق!



حسين صـــادق الأب والأم أصيلة هـانم مع "ناري"
ابنتهما الوحيدة والتي أصبحت ملكة مصر فيما بعد.

الفصل الثاني

طلب فاروق الزواج من ناريمان .. فقرر أخى أن يهرب بها من مصر..!

بينما تحدد موعد عقد قران الدكتور زكى هاشم من ناريمان..

وقام أخى حسين بتوزيع بطاقات الدعوة التى أعدها لهذه المناسبة على المدعوين من أصدقاء عائلتنا.. وعائلة الدكتور زكى هاشم..

* * *

كان فاروق قد طلب إلى أحمد نجيب الجواهرجى أن يبحث له عن عروس من بين بنات العائلات المصرية ليتزوجها، وليجعل منها ملكة..

واشترط فاروق أن تتوافر فى هذه العروس عدة مواصفات من بينها:

أن تكون فتاة صغيرة لم تتجاوز السادسة عشر من عمرها..

وأن تكون وحيدة أهلها.. أى لا يوجد لها أخ أو أخت..

ووجد أحمد نجيب الجواهرجى أن هذه المواصفات تنطبق على ناريمان، فقام بترشيحها لفاروق..

قال له.. إن كل المواصفات المطلوبة متوافرة فيها..

ووافق فاروق!!

* * *

وشئ آخر.. كان فاروق يريد أن تكون العروس قريبة الشبه من فاطمة طوسون..

إنها الأميرة السابقة التى احتقرت حب فاروق، وتركت له مصر كلها هربا منه..

وعاش فاروق لا ينسى حبه لها..

وكما كان يقول هو نفسه: لقد تركت وراءها فى قلبه جرحا لا يلتئم أبدا..

احتقرت حبه فازداد تعلقا بها..

وكان يتذكرها فيقول لنا:

- أنا فى حياتى لم أحب إلا اثنتين.. فاطمة طوسون...و ناريمان..

أما فريدة زوجته الأولى، فلم يكن يحبها.. وأستطيع أن أقول أنه لم يحمل لها فى أى يوم.. أى حساب فى قلبه.

وكما سمعت فيما بعد.. ظل أحمد نجيب الجواهرجى عدة أسابيع يفتش عن فتاة مصرية تشبه فاطمة طوسون لكى يتزوجها فاروق..

كان هذا أحد شروط فاروق، ولما لم يجد أحمد نجيب الجواهرجى الفتاة المناسبة، ذهب إلى فاروق وقال له.. إن هذا الشرط صعب التنفيذ..

وقرر فاروق على مضض أن يتنازل عن هذا الشرط..

واكتفى بأن يطلب إلى أحمد نجيب الجواهرجى أن تكون الفتاة فى السادسة عشرة من عمرها..

وأن تكون وحيدة أهلها.. أى ليس لها أخ أو أخت..

* * *

وأرادت الأقدار فى تلك الأيام أن تذهب ناريمان إلى محلات أحمد نجيب الجواهرجى فى شارع قصر النيل..

كانت تفتش هى والدكتور زكى هاشم عن خاتم مناسب للخطبة..

ورآها أحمد نجيب الجواهرجى، فأثارت انتباهه، وكان أن أخذ يعرض عليها بنفسه مجموعة الخواتم الماسية التى فى خزائنه..

وأخذ فى نفس الوقت يلاحقها بالأسئلة..

وعرف أحمد نجيب منها أن كل المواصفات التى طلبها فاروق تنطبق عليها..

وكان أن قال لها أمام زكى هاشم:

- يمكنك أن تمري عليّ مرة أخرى.. وسأريك خاتما بديعا ليس له مثيل..

ووافقت ناريمان، ولم تكن تدرى شيئا مما كانت الأقدار تخبئه لها..

واتفق معها أحمد نجيب على موعد بعد ثلاثة أيام !

فاروق يضع بنفسه الخطة:

المهم.. ذهبت ناريمان، ليتصل أحمد نجيب الجواهرجى بفاروق..

قال له: لقد وجدتها..

ولم يدرك فاروق فى بادئ الأمر ما يعنيه أحمد نجيب فأسرع يسأله:

- وجدت أيه؟ !

ورد عليه أحمد نجيب الجواهرجى قائلا:

- الفتاة التى تنطبق عليها كل المواصفات المطلوبة..

ثم روى له أحمد نجيب كل ما عرفه عن ناريمان..

وقرر فاروق أن يراها، ولكن دون أن تشعر..

وكان أن أتفق مع أحمد نجيب الجواهرجى على أن يعمل على وقوفها عندما تعود لزيارته ناحية باب محل المجوهرات الذى يطل على شارع قصر النيل..

وقال له.. إنه سيقف فى نافذة شقة خاصة كان أحمد نجيب يمتلكها فى العمارة التى تواجه باب محلاته فى نفس الشارع، حتى إذا ما ظهرت ناريمان عند باب المحل استطاع أن يراها من النافذة دون أن تشعر !!

وأعجبت الخطة التى وضعها فاروق بنفسه أحمد نجيب فعمل على تنفيذها بدقة !

* * *

شرخ فى الماسة:

جاء فاروق فى الموعد الذى حدده أحمد نجيب لناريمان، ليقف فى النافذة لمدة تزيد على الساعة..

كان يتطلع إلى الشارع..

وجاءت ناريمان، ولم تكن فى هذه المرة مع الدكتور زكى هاشم، ولكنها كانت بصحبة والدها.. أخى حسين..

ورحب أحمد نجيب بهما، ثم أخذ يعرض على ناريمان مجموعة من الخواتم الماسية الجديدة..

وفجأة.. أمسك أحمد نجيب بواحد من هذه الخواتم، ثم قال لناريمان حتى يتسنى له تنفيذ خطة فاروق:

- تعرفى.. الماسة دى فيها شرخ.. تعالى أوريه لك فى النور..

ولم ينتظر أحمد نجيب، وقام بمد يده إليها ثم اصطحبها إلى ناحية الباب، وهو يرفع الماسة إلى أعلى ناحية النافذة التى يقف فيها فاروق..

ورأى فاروق ناريمان لأول مرة.. فأعجبته !

ولكن.. لماذا اصطحب أخى حسين ناريمان بنفسه إلى محلات أحمد نجيب الجواهرجى بدلا من خطيبها الدكتور زكى هاشم؟!

الشيء الذى عرفته فيما بعد.. هو أن أحمد نجيب اتصل به فى التليفون فى مكتبه بوزارة المواصلات حيث كان أخى يشغل منصب السكرتير العام للوزارة..

ثم قال له:

- مولاي الملك يريد أن يرى أبنتك ناريمان، وقد كلفنى أن أبلغك رغبته..

وارتجف أخى فى مكانه، وهو يسمع إلى كلمات أحمد نجيب فى سماعة التليفون.. ثم أخذ يتعثلم، وهو يرتعد من الخوف فى مكانه..

كانت ناريمان وحيدته.. وكانت كل شئ فى حياته..

وكان أخى، ككل واحد فى مصر فى تلك الأيام، يسمع الكثير عن نزوات فاروق..

وعندما اتصل به أحمد نجيب ليبلغه رغبة الملك، خشي أن تكون هذه الرغبة هى واحدة من هذه النزوات !

ويبدو أن أحمد نجيب الجواهرجى، قد أدرك ما جال بخاطر أخى حسين، فراح يهدئ من روعه، وهو يقول له:

- الملك عاوز يشوفها.. ولكن بشرط أن لا تشعر.. إنه يريد أن يراها من بعيد، ولذلك فلا تقل لها شيئا..

وحاول أخى أن يستفسر عن السبب فقال له أحمد نجيب:

- بعدين تعرف.. دى رغبة الملك..

ثم استطرد يقول له:

- بلاش زكى هاشم، وهات ناريمان بنفسك.. إنها رغبة الملك!

* * *

وأعود مرة أخرى إلى ما حدث بعد أن رأى فاروق ناريمان من نافذة شقة أحمد نجيب الجواهرجى..

إنه لم ينتظر، وقرر أن يراها عن قرب وأن يتحدث إليها..

وكان أن نزل من مكانه بسرعة، ودخل إلى محلات أحمد نجيب الجواهرجى..

وفوجئ أخى حسين بفاروق أمامه، فلم يتمالك نفسه، وبادر بالوقوف فى مكانه، ثم انحنى لتحيته..

وفوجئت ناريمان به أيضا، وهو يتطلع إليها.. وكانت أول مرة فى حياتها تراه عن قرب..

وأخذ فاروق يتفحص ناريمان، ثم تكلم ليقول لأحمد نجيب:

- أنت عندك ناس كويسين خالص..

وابتسمت ناريمان، ولم تكن تدرى فى تلك اللحظة أنها المقصودة بتحية فاروق..

المهم.. رأى فاروق ناريمان من نافذة البيت المقابل فى الساعة الخامسة وعشر دقائق..

وفى الساعة الخامسة و١٢ دقيقة كان يقف إلى جوارها، وهو يتطلع إليها..

وفى الساعة الخامسة و١٥ دقيقة قرر أن يتزوجها!

هكذا اتخذ فاروق قراراه بسرعة، وفى أقل من خمسة دقائق..

لقد أعجبته بعد أن رآها، فقرر أن يتزوجها..

وتكلم فاروق ليقول لأحمد نجيب، وهو يشير إلى ناريمان:



- إيه الخاتم اللي فى أيدها ده؟ ..

ورد عليه أحمد نجيب قائلا:

- ده خاتم خطوبة..

قال فاروق: خطوبة.. أيه .. شوف حاجة أحسن لها..

ويبدو أن أحمد نجيب كان يعرف أن فاروق قد يتخذ قراره بسرعة، وكان أن مد يده بسرعة فى داخل خزانته، ثم أخرج منها

خاتما من السوليتير كان قد أعده، من قبل، لهذه المناسبة، ثم ألبسه فى إصبع ناريمان..

وحاول أخى حسين أن يتكلم..

كما حاولت ناريمان أن تقول شيئا..

ولكن أحمد نجيب الجواهرجى كان أسرع منهما، وبادر يقول لأخى:

- مبروك يا حسين (بك).. مولاى كلفنى أتكلم معاك بعدين..!

مطلوب تكتم خبر الخطوبة:

قرر فاروق أن يتزوج ناريمان ..

وكما فهمت.. أتصل أحمد نجيب الجواهرجى بأخى حسين فى التليفون وأبلغه قرار الملك..

قال له: الملك يريد أن يتزوج من ناريمان..

ثم طلب إليه أن يلغى كل إجراءات عقد قرانها من الدكتور زكى هاشم..

وهكذا وقع كل شئ بسرعة.. وبدون مقدمات.. وبلا سابق إنذار..

وكانت رغبة الملك، هى اعتبار الخاتم الذى ألبسه أحمد نجيب الجواهرجى لناريمان بمثابة الخطبة..

وطلب فى نفس الوقت تكتم الخبر، وأن لا يعرف به أحد حتى تتم إذاعته رسميا من الديوان الملكى !!

وصدقوني.. لم يكن أخى سعيدا لأن ابنته ستصبح ملكة..

لقد أصابه القلق، كما انتابته هواجس كثيرة..

وكان يخشى أن يكون هدف فاروق هو محاولة التغرير بابنته تحت ستار الوعد بالزواج..

واشتدت حيرته، وهو يتساءل.. لماذا طلب فاروق تكتم الخبر؟..

ولماذا لم يعلن خطبته لناريمان رسميا؟..

ولماذا طلب إلغاء كل إجراءات عقد قرانها من الدكتور زكى هاشم؟..

وكان فى رأيه.. أن فاروق لو كان صادقا فى نيته، لما تردد فى إعلان خبر خطبته وإذاعته على كل الناس..

ولم يعرف أخى.. كيف يتصرف..

قال.. أنه يشعر بحرج شديد..

وكانت مشكلته.. أنه قد ارتبط مع الدكتور زكى هاشم، وكان موعد عقد قرانه من ناريمان قد تحدد..

وأكثر من ذلك.. كانت بطاقات الدعوة للاحتفال بعقد هذا القران قد وزعت على المدعوين..

وأراد أخى بسبب الهواجس التى أنتابته أن يتريث قليلا، ولكن إرادة الملك كانت أقوى منه..

ولم يكن فى وسعه إلا أن يجتمع بالدكتور زكى هاشم، وأن يصارحه بكل شئ !

موقف جنتلمـــان:

وكانت لحظات حرجه للغاية عندما دعا أخى الدكتور زكى هاشم إلى الاجتماع به، ثم أخذ يروى له - والدموع تملأ عينيه - كل ما حدث بالضبط..

قال له: طلب منى أن أبلغك أن تنسى أنك قد خطبت ناريمان فى يوم من الأيام.. أو أنك كنت تزمع الزواج منها..

وفوجئ الدكتور زكى هاشم بما حدث..

إن آخر ما كان يمكن أن يتصوره هو أن يقرر فاروق الزواج من الفتاة التى وقع عليها اختياره لتكون شريكة حياته..

ولكن ما العمل، وقد أعد كل شئ لحفل عقد قرانه من ناريمان..

ولم يكن باقيا على الموعد الذى حدد لهذا الحفل أكثر من أسبوع واحد !

وأطرق الدكتور زكى هاشم عدة دقائق بعد أن استمع لتفاصيل ما حدث من أخى..

وحاول فى تلك الأثناء أن يقول شيئا ، ولكن الكلمات انحبست فى حلقه..

ومرت اللحظات متثاقلة قبل أن يلتفت ناحية أخى ثم يقول له بهدوء:

- الموقف صعب.. لا أنت .. ولا أنا.. نستطيع أن نقدر عليه.. !

وأدرك أخى أن الدكتور زكى هاشم قد أتخذ قراره بأن ينسحب فى هدوء..

وكان موقفا مثيرا عندما صافحه للمرة الأخيرة عند انصرافه، فقد أخذ يشد على يديه، وهو يقول له:

- ما تزعلش نفسك يا ابنى، وأنت عارف الموضوع كله قسمه ونصيب..

وأثبت الدكتور زكى هاشم بتصرفه أنه جنتلمان من الطراز الأول..

وكان موقفه رائعا للغاية !

* * *

وهنا يجب أن أقول شيئا هاما..

لقد كنت.. وأنا عم ناريمان آخر من عرف بما حدث..

فأنا لم أعرف بخطبة فاروق لناريمان إلا بعد أن ألغيت خطبة الدكتور زكى هاشم لها..

وكنت كما سبق أن قلت، قد انقطعت عن الذهاب إلى بيت أخى على أثر ما لمسته من مضايقات أصيلة هانم والدة ناريمان..

وأذكر أننى سمعت بخطبة فاروق لناريمان من أختى التى كانت تزورنى فى يوم من الأيام عندما قالت لى:

- مصطفى.. أنت ما سمعتش اللى حصل..

قلت لها: خير إن شاء الله..

قالت لى، وهى تكاد تطير من الفرح:

- الملك خطب ناريمان..

قلت لها: بلاش كلام فارغ.. يمكن أصيلة هانم إتجننت، فأخذت تشيع لشدة غرورها أن الملك حيخطب ناريمان..

قالت لى: إذا لم تصدقني أسأل أخوك حسين..

واضطررت أن أصدقها بعد أن سألت أخى، وعرفت منه أن القصة حقيقة، وليست من خيال أصيلة هانم!

أراد أن يهرب مع ابنته من مصر:

أثارنى الخبر، وبادرت بالذهاب إلى بيت أخى حسين لأول مرة بعد أن انقطعت عنه عدة أشهر..

كنت سعيدا لأن ناريمان ستتزوج من فاروق..

وأذكر أن أفكارا كثيرة قد راودتنى وأنا فى الطريق إلى بيت أخى بعد أن تصورت نفسى فى وضعى الجديد عندما أصبح عما للملكة !

ولكنى تناسيت كل هذه الأفكار عندما التقيت بأخى..

كان يجلس فى انتظارى..

ولفتت حالته انتباهى.. كان حزينا على غير ما كنت أتصور..

وكان يبدو كمن يحمل هموم الدنيا على كتفيه..

وروى لى تفاصيل ما حدث بالضبط، وفجأة رأيته يبكى وهو يقول لى:

- الموقف أخطر مما نتصور، ولازم نتعاون على الخروج من المأزق اللى وقعنا فيه..

قلت له: الموضوع عاوز حكمة وتأنى..

قال: ما فيش إلا حل واحد.. آخذ ناريمان وأهرب معها من مصر بعيدا عن فاروق !

وأدركت أن أخى لم يكن متحمسا لزواج ابنته من فاروق..

وأنه يعارض هذا الزواج بكل قوة !

كان يريد لها أن تسعد فى حياتها، وقد توقع أن لا يسعدها فاروق !

* * *

وكان أخى حسين قد ذهب إلى المرحوم إبراهيم الدسوقى أباظة وكان واحد فى أقطاب حزب الأحرار الدستوريين فى تلك الأيام..

كان صديقه، وقد أراد أن يستنير برأيه فى الموقف الحرج الذى وجد نفسه فيه..

وكان رأى المرحوم إبراهيم الدسوقى أباظة.. أن المسألة لا تعدو أن تكون نزوة من نزوات فاروق للتغرير بناريمان..

وقد قال لأخى بالحرف الواحد: فاروق مش بتاع جواز.. وفى رأيى أن تحاسب على نفسك، وعلى بنتك منه..

وكان هو الذى اقترح عليه أن يهرب مع ناريمان بعيدا عن مصر..

الملكة.. وحماة الملك:

وزال فى تلك الأيام سوء تفاهم بينى وبين أصيلة هانم..

وكان أن أخذت فى التردد على بيت أخى بكثرة..

كان يعيش فى حالة يرثى لها..

أما أصيلة هانم، فكانت على العكس، سعيدة بكل ما كانت تسمعه عن خطبة فاروق لابنتها ناريمان..

وأخذت مع أول خبر سمعته عن قرار فاروق الزواج من ابنتها تعد نفسها ولتتبوأ مركزها الجديد كأم للملكة.. وكحماه الملك!

ولم تنتظر،و بادرت بمهاجمة الدكتور زكى هاشم بعنف وبلا رحمة..

ولم تعد تعترف بشهاداته.. ولا بثقافته..

وتغيرت لهجتها بحيث كانت تتعمد أن تقول أمام ناريمان:

- عمل أيه بشهاداته.. الحمد لله أنه أخدها يبلها ويشرب ميتها !

وفى تلك الأيام.. وقبل أن تعلن خطبة الملك رسميا لناريمان استطاعت أصيلة هانم أن تدخل فى روع ابنتها أنها قد أصبحت ملكة..

كانت طفلة صغيرة..

وقد أثار انتباهى الكثير من تصرفاتها، فهى لم تكن تتكلم مع الموجدين فى البيت إلا بطرف أنفها، كما يقول المثل العامى..

وكنت أشاهد تصرفاتها فابتسم لإدراكى أن أصيلة هانم هى السبب!

ثلاثة أشهر بلا جواب:

وكان أخى حسين يتردد بين الآونة والأخرى، على أحمد نجيب الجواهرجى ليسأله عما تم فى موضوع خطبة الملك لابنته..

كان يريد أن يطمئن على مصير أبنته الوحيدة ناريمان..

وفى رأيى.. أنه لم يكن يريد أن يصدق أن فاروق يمكن أن يكون جادا فى عزمه على الزواج منها..

ومرت ثلاثة أشهر كاملة دون أن يحصل أخى على جواب واحد يمكن أن يدخل الطمأنينة إلى نفسه.

كان احمد نجيب يقول له كلما ذهب إليه:

- أطمئن.. كل شئ يسير وفق خطة مرسومة، والملك وحده الذى يقرر متى تعلن الخطبة رسميا..

وكان يحذره فى كل مرة من أن يتسرب خبر الخطبة قبل أن يقوم الديوان الملكى بإعلانه رسميا فى الوقت المناسب..

* * *

وأذكر أننى حاولت فى تلك الأيام أن أبعث برسالة إلى أخى محمد، وكان يعمل وقتئذ قائما بأعمال مفوضية مصر فى النمسا لأبلغة الخبر..

وثار أخى حسين فى وجهى..

وثارت أصيلة هانم، وهى تقول لى:

- أوعى تكتب إليه أحسن الخبر يتسرب منه، ويبوظ كل شئ..

وبقى أخى محمد لا يعرف شيئا عن خطبة الملك لأبنة أخيه حتى أعلن خبر هذه الخطبة رسميا !

وكما عرفت فيما بعد، لقد تأخر إعلان الخطبة رسميا بسبب التحريات التى كان رجال الحاشية يجمعونها عن أسرة ناريمان..

وكان فاروق قد كلف بعض رجاله أن يقوموا بتحريات كاملة عن أفراد هذه الأسرة واحدا واحدا.

طلب إليهم أن يعدو له تقارير وافيه عن نشاط كل فرد من أقارب ناريمان..

وكان رجال الحاشية يكتبون إليه التقارير فيضعها فوق مكتبه، ويطلب منهم تقارير أخرى..

واستطاع فاروق، بواسطة هذه التقارير أن يعرفنا جميعا، وأن يعرف الكثير عن مشاكلنا الخصوصية قبل أن نتعرف إليه بعد إعلان خطبته رسميا لناريمان!

أبعدي عنى أننى أموت:

كان موقف مثيرا للأعصاب بالنسبة لأخى حسين، فهو لم يستطع أن يهدئ من روع نفسه، وقد ظل موضوع ناريمان يشغل باله حتى أنه قرر أن ينقطع عن الذهاب إلى عمله فى وزارة المواصلات..

وفى آخر أيامه، وقبل أن يموت بالسكتة القلبية بأسبوع واحد، كان يقوم فزعا من سريره أثناء الليل ويتجول فى البيت وهو يحدث نفسه بما كان يراوده من هواجس وأفكار..

ومرت عدة أيام توفى أخى بعدها بالسكتة القلبية..

وأذكر أن ناريمان حاولت أن تدخل حجرته وهو يحتضر..

ولكن أخى حسين صرخ فى وجهها.. وهو يقول لها:

- ابعدى عنى.. ابعدى عنى..

كانت ناريمان.. كل شئ فى حياته وكان يقول دائما إنه لا يعيش إلا من أجلها، وأنها أمله الوحيد فى هذه الدنيا..

وعندما أخذ يحتضر ورآها أمامه صرخ فى وجهها لتبتعد عنه حتى لا تراه وهو يموت !!

وفى رأيى أن فاروق قتل أخى حسين، لأنه تأخر فى إعلان خطبته رسميا لناريمان..

فقد كان إعلان هذه الخطبة ممكنا أن يدخل الطمأنينة إلى قلبه فلا يصاب بهذه السكتة القلبية..

ولكن فاروق لم يضع فى اعتباره أبدا مشاعر الأب المسكين الذى ظل نهبا للأفكار التى قتلته..

كان يتصوره سعيدا لأن ابنته ستتزوج به.. ولم يتصور أبدا، ويحتمل أنه لم يسمع من قبل، أن أخى حسين مات وهو يتمنى ألا تتزوج ناريمان بفاروق !!

وأذكر أنه على أثر وفاة أخى حسين أننا بادرنا بإبلاغ الخبر إلى أحمد نجيب الجواهرجى..

اتصلت به بالتليفون، وأبلغته أن والد ناريمان قد توفى بالسكتة القلبية.. وقام هو بإبلاغ ((القصر الملكى)).

ومضت نصف ساعة.. ثم كانت المفاجأة.. جاء فاروق بنفسه إلى بيت ناريمان.. كانت المرة الثانية التى تراه فيها ناريمان، وكنت واقفا إلى جوارها عندما جاء الملك..

حاولت أن أقول شيئا.. ولكنها كانت أسرع منى، فقد أصيبت فجأة بحالة هيسترية، ثم أخذت تبكى بطريقة مثيرة للأعصاب..

وأسرع فاروق يربت على كتفها، وهو يحاول أن يهدئ من روعها!

أزمة بين حسين سرى وفاروق:

كانت تعزية الملك بمثابة إعلان شبه رسمى للخطبة الملكية..

وعرف الناس جانبا من القصة..

وأدركنا ذلك أثناء تشيع الجنازة.. عندما أشترك فيها الزعماء ورجال الأحزاب..

واشترك فيها رجال القصر الملكى إلا واحد إنه حسين سرى، وكان وقتئذ رئيسا للديوان الملكى..

لقد رفض أن يشترك فى الجنازة، واعتذر بأنه مريض..

وأثار بعض أعدائه فى القصر الملكى أزمة بينه وبين الملك..

قالوا للملك: إن حسين سرى لم يكن مريضا كما أدعى، وأنه كان يلعب الطاولة فى كلوب محمد على أثناء تشيع الجنازة..

وقالوا له: أن زوجته السيدة ناهد سرى هى التى منعته من الاشتراك فى تشيع الجنازة..

وصدقهم فاروق.. فقد كانت زوجة حسين سرى هى خالة زوجته الأولى الملكة السابقة فريدة..

وتصور أنها هى التى حرضته على عدم الاشتراك فى تشيع الجنازة..

* * *



.. بعد أن اختارها الملك لتكون شريكة حياته..
قالوا لها: يجب أن تنسى أهلك وأقاربك.. وتبتعدى عن كل الناس.

الفصل الثالث

رسائل مكتوبة بأحمر الشفايف
ومرسوم فيها قلوب وأسهم كيوبيد
من ناريمان إلى فاروق!

وهنا يجب أن أتوقف قليلا لأروى بعض التفاصيل المثيرة فى قصتي مع فاروق وكيف أصبحت قريبا من ناريمان فى حياتها معه..

أنها وصية أخى وهو على فراش الموت التى دفعتني لأن أهتم بشئونها، ولأن أكون قريبا منها..

وكما سبق أن قلت.. لقد كنت أبعد الناس عن قصة ابنة أخى عندما قرر فاروق اختطافها من عريسها الدكتور زكى هاشم، ليجعل منها ملكة..

وكما سمعت فى تلك الأيام.. لقد طلبوا إلى ناريمان أن تنسى تماما أن لها أهلا وأقارب..

قالوا لها.. يجب أن تبتعدي عن كل الناس بعد أن اختارها الملك لكى تصبح شريكة حياته..

وعملت ناريمان على تنفيذ هذه التعليمات بدقة خوفا من أن يعدل العريس الجديد.. أقصد الملك.. عن رأيه.. !

ونسيت ناريمان فى تلك الأثناء (عمو) مصطفى الذى كان يحنو عليها ويداعبها منذ أن كانت طفلة صغيرة.. وكانت تجد الراحة والسعادة فى أن تجلس إلى جواره لتهمس فى أذنيه بكل أسرارها..

ولا أخفى.. إننى فرحت، كما فرح جميع أفراد أسرتنا لأن ناريمان قد وقع عليها اختيار فاروق ليتزوجها، وليجعل منها ملكة..

ولكن صدقوني.. لقد كان آخر ما يمكن أن يتبادر إلى خاطري فى تلك الأيام هو أننى سأصبح مع زواج ناريمان وفاروق واحدا من حاشية الملك..

أو أننى سأكون مقربا إليه.. !

وصية أخى على فراش الموت:

وأعود بذاكرتي إلى تلك الليلة التى توفى فيها أخى حسين..

لقد كنت جالسا إلى جوار فراشه، وفجأة سمعته يهمس باسم ابنته ناريمان..

كان يريد أن يلقى عليها نظرة وداع أخيرة، ولكنه فى نفس الوقت لم يكن يرغب فى أن تراه، وهو فى حشرجة الموت..

وكما سبق أن قلت.. حاولت ناريمان أن تدخل حجرة والدها لتطمئن على حالته، ولكن أخى صرخ فى وجهها قائلا:

- أخرجي بره... يا ناريمان.. !

وأذكر أن أخى تلفت ناحيتي، ثم أمسك بيدي وأخذ يضغط عليها، وهو يقول بصوته المتهالك:

مصطفى خد بالك من ناريمان..

ثم سكت، ولم يقل شيئا بعد ذلك..

لقد مات.. وهو يتمتم باسم ابنته الوحيدة..

المهم.. بادرت بالعمل بوصية أخى، وكان أن أخذت فى التردد على أحمد نجيب الجواهرجى فى كل يوم، تماما كما كان أخى حسين يفعل ليستفسر عن آخر تطورات الموقف..

ومرت عدة أيام دون أن نسمع أى خبر جديد من القصر الملكى.. أو من الملك..

وكان الملك قد اختفى تماما بعد أن جاء بين ناريمان ليعزيها فى وفاة والدها..

إنه لم يتصل بها فى التليفون كما كان يفعل قبل وفاة أخى حسين..

كما أنه لم يحاول أن يقول لها شيئا..

ولم يكن فى وسعنا إلا أن ننتظر..

ولا أريد أن أقول.. إننا كنا نتوقع فى تلك الأيام أن تعلن الخطبة الملكية بين لحظة وأخرى..

وساعدنا على ذلك الاعتقاد أن مصر كلها كانت قد عرفت بزيارة الملك لبيت ناريمان، كما عرفت بقصة الدكتور زكى هاشم، كيف اضطر للانسحاب حتى يفسح الطريق أمام الملك..

وأكد اعتقادنا.. ما كان أحمد نجيب الجواهرجى يردده أمامى كلما ذهبت إليه..

كان يقول لى:

- لقد صبرتم طويلا، ولم تبق سوى بعض الإجراءات الشكلية.. !

وترددت فى تلك الأيام إشاعات كثيرة تقول أن أزمة حادة قد نشبت بين الملك وحسين سرى..

كان يشغل منصب رئيس الديوان الملكى، وكان الملك يتأهب لطرده من منصبه..

وأثارني ما كنت أسمعه حول هذه الأزمة، مما دفعني لسؤال أحمد نجيب الجواهرجى مرة عن حقيقة ما يتردد حولها..

قلت له: الناس بتقول إن الملك قرر أن يطرد حسين سرى من منصبه لأنه لم يشترك فى جنازة أخى المرحوم حسين صادق..

وانفجر أحمد نجيب الجواهرجى بالضحك، وهو يقول لى:

- لسه بدرى عليك يا مصطفى علشان تفهم.. !

ثم استطرد يقول لى:

- أنت عارف.. فيه مسمار لما تشده من الحيطة ينخلع بسهولة وبسرعة، ولكن سى حسين سرى مسمار ناشف قوى، وعلشان تخلعه لازم.. تخلخله.. أى لازم تهزه عدة مرات، وتجيبه شمال ويمين، وهو لسه زى الحيطة، ولما يطرى يتخلخل تقوم تشده وترميه بره..

- وسكت أحمد نجيب الجواهرجى عدة ثوان، ثم لمعت عيناه ببريق عجيب وهو يقول لى:

- إحنا خلاص خلخلنا حسين سرى.. هزناه جامد.. وبعدين فى الوقت المناسب حنشده ونرميه بره.. نرميه بره.. فاهم..

وأدركت ما يعنى، ولذلك بادرته قائلا:

- آه فهمت خلاص يا أفندم.. !

كان يكره حسين سرى..

ولم يكن فى وسعى إلا أن أقول له.. إننى قد فهمته... ولا أظن أنه كان ممكنا لى أن أعارضه.. فقد كان الرجل صاحب نفوذ كبير عند الملك..

ولم يكن أمامى إلا أن أؤكد له أننى أدركت ما كان يعينه..

وكما سمعت فى تلك الأيام.. لقد تكالب أعداء حسين سرى فى القصر الملكى عليه..

وكان أن أوغروا صدر الملك ضده استطاعوا إقناعه بالموافقة على التخلص منه..

وفى اعتقادي أن أحمد نجيب الجواهرجى كان واحدا من هؤلاء الأعداء الذين تآمروا ضد حسين سرى، فقد كان يكرهه لسبب لم أعرفه حتى الآن.. !

وردة حمراء مع كل رسالة:

وأعود مرة أخرى إلى قصة ناريمان مع فاروق..

إننا لم نسمع منه شيئا منذ أن جاء إلى البيت ليعزى فى وفاة أخى حسين لقد بقى مدة نصف ساعة ثم اختفى.. وكان علينا أن ننتظر.. أو هكذا كانت التعليمات التى أبلغت إلينا..

وكان هو وحده الذى يملك أن يقرر الخطوة التالية..

ومرت عدة أسابيع، قبل أن يظهر الملك من جديد، ولكن على طريقة (تلامذة) المدراس.. فقد أخذ يتبادل الخطابات الغرامية مع ناريمان، وكان أن أخذ فى مبادلتها الرسائل.. ومع كل رسالة يرسل إليها وردة من اللون الأحمر القانى..

وكانت عادته أن يبعث إليها كل أسبوعين رسالة.. وللدقة رسالتين فى كل شهر وكان يكتب جميع رسائله باللغة الفرنسية..

وفى هذه الرسائل كان فاروق يبث لناريمان غرامه..

وكان يروى لها قصصا خيالية كثيرة كان يقول أنها أحلام تراوده أثناء نومه منذ رؤيته أياها لأول مرة عند أحمد نجيب الجواهرجى.. !

وكان يقول لها كلاما فارغا من كل نوع.. وفى بعض هذه الرسائل كان يرسم لها قلوبا تقطر بالدم، وقد اخترقتها أسهم كيوبيد.. آلهه الحب والغرام عند الإغريق.. !

وأنا نفسى قرأت بعض هذه الرسائل، ولا أستطيع أن أقول عنها إلا أنها كانت أشبه بالرسائل التى يمكن أن يكتبها تلميذ صغير بإحدى المدارس الثانوية ليعاكس بها ابنة الجيران.. !

* * *

خطابات بأحمر الشفايف:

وما حدث عندما تلقت ناريمان أول رسالة من فاروق..

لقد اجتمعنا حولها.. أنا وأصيلة هانم وبعض أفراد العائلة..

وقرأنا جميعا الرسالة، ثم أخذنا نترجمها كلمة.. كلمة..

وكانت المشكلة.. كيف يمكن لناريمان أن ترد على تلك الرسالة المكتوبة باللغة الفرنسية..

قلنا.. ماذا يمكن أن تقول له؟ ! وهل يليق بها عندما تكتب للملك أن ترسم له القلوب والأسهم التى تقطر بالدم كما فعل فى رسالته إليها.. ؟

ولم يكن أمامى إلا أن أذهب إلى أحمد نجيب الجواهرجى لأستشيره كعادتى باسم عائلة ناريمان..

قلت له: أيه رأيك.. الملك أرسل رسالة إلى ناريمان.. ترد عليها إزاى ؟..

قال بعد أن قرأ رسالة الملك إلى ناريمان: يا أخى.. الملك بيفرح بالحاجات بتاعة شغل زمان.. !

قلت له: حاجات إيه؟

قال لى: أسمع خلى ناريمان تطبع على جواباتها قبلات روج وأحمر شفايف.. وخليها ترسم له قلوب وأسهم مشعللة بالنار زى اللى بيرسمها لها..

قلت له: أنا خايف يزعل.. إزاى تعمل كده للملك.. !

قال: أنا عارف فاروق.. وعارف إيه اللى بيعجبه.. !

كانت نصيحة غريبة، وقد ترددت كثيرا فى أن أوافق على أن تعمل ناريمان بها..

خشيت أن تعمل ناريمان بهذه النصيحة، فيغضب الملك..

ولا أريد أن أقول.. أننى كنت متخوفا من أن تقع ناريمان فى خطأ قد يؤدى إلى عدول الملك عن رأيه فلا يتزوج بها..

وكان أن قررت أن أعمل المستحيل للحيلولة دون وقوعها فى مثل هذا الخطأ..

كنت أريدها أن تصبح ملكة بأى ثمن !

ولذلك بادرت أقول لأحمد نجيب: إيه رأيك.. أنت عارف ناريمان ضعيفة فى الفرنساوي وصحيح أنها تعلمت فى المدراس الفرنسية إلا أن أسلوبها لا يؤهلها لأن تكتب رسالة للملك..

قال: وأيه العمل.. لازم ترد عليه..

قلت له: اكتب أنت الجوابات وهى تبيضها بخط أيدها ثم ترسلها للملك..

قال: والله فكره..

واتفقنا على أن يكتب أحمد نجيب الجواهرجى رسائل ناريمان إلى فاروق..

وأعد أحمد نجيب الرد على أول رسالة..

وكانت مفاجأة عندما اكتشفت أنه هو الآخر ضعيف فى كتابة اللغة الفرنسية..

كان يتكلمها بطلاقة، ولكنه لم يكن يتقن الكتابة بها..

وكان أن أخذ يفتش فى قواميس اللغة الفرنسية على الألفاظ التى يمكن أن تضمها رسائل ناريمان لفاروق، كما أشترى كتابا

فرنسيا يحتوى على مجموعة من الخطابات الغرامية ليقتبس منها بعض العبارات الرقيقة التى تستخدم عادة فى رسائل العشق والغرام..

ولم أتمالك نفسى من الدهشة وأنا أقول له:

- الظاهر ناريمان بتعرف فرنساوي أحسن منك..

وابتسم أحمد نجيب، وهو يقول لى:

- أنا بفتش عن أحسن العبارات التى يمكن أن تجمع بين الحب والاحترام فى وقت واحد..

المهم.. أعد أحمد نجيب الرد على رسالة فاروق، ثم أخذ يقرأها أمامى بزهو وهو يقول:

- ده جواب مضبوط خالص.. خلى ناريمان تكتبه بخط أيديها وتحط عليه كام بوسه بالروج وأحمر الشفايف قبل ما تبعته للملك

وانتظرت حتى فرغ الرجل من قراءة الرسالة وترجمتها باللغة العربي، ثم قلت له: أنا شايف فيه كلمة أو كلمتين مش تمام..

قال لى: ولا يهمك.. فاروق بيعجبه الكلام ده..

قلت له: إزاى تقول له ناريمان فى أول رسالة تبعث بها إليه.. يامولاى..

أنا مشتاقة لكى أقبلك بين عينيك مليون قبلة.. !

وأخذ الرجل يقهقه عندما حاولت إقناعه بالعدول عن هذه الفقرة، وهو يقول لى:

- بكرة تعرف.. الكلام ده هو اللى يعجب فاروق..

لم أقل شيئا.. ولم يكن فى وسعى إلا أن أحمل الرسالة التى أعدها أحمد نجيب الجواهرجى وذهبت بها إلى بيت ناريمان..

كانت فى انتظاري وهى فى أشد حالات التلهف لمعرفة ما كتبه الرجل فى أول رسائلها إلى فاروق، ووجدت معها آنسة فرنسية كانت تعطيها بعض الدروس الخصوصية فى اللغة الفرنسية..

وهذه الآنسة كانت تعمل مدرسة بمدرسة الليسيه الفرنسية، وقد أرادت ناريمان أن تستعين بها فى مراجعة الرسالة..

وكانت مفاجأة مثيرة، عندما قرأت الآنسة الفرنسية الرسالة ثم أخذت تتأفف وهى تقول.. أن الرسالة مليئة بالأخطاء النحوية والهجائية.. !

واضطرت ناريمان لأن تطلب إلى مدرستها الفرنسية أن تعيد كتابة الرسالة من جديد بلغة فرنسية سليمة وأن تصحح أخطاءها..

كانت رسالة رقيقة، وقد نقلتها ناريمان بخط يدها ثم بعثنا بها إلى فاروق بواسطة أحمد نجيب الجواهرجى..

وأذكر أن فاروق أرسل إلى ناريمان فى تلك الأيام أكثر من عشرين رسالة، وكانت كلها مكتوبة بنفس الأسلوب الذى يكتبه تلميذ فى إحدى المدارس الثانوية عندما يعاكس بنت الجيران..

وقد قامت ناريمان بالرد على كل واحدة من هذه الرسائل بنفس الطريقة وبنفس الأسلوب.. وللدقة.. كانت ترد عليه بأسلوب أحمد نجيب الجواهرجى ولكن بعد التصحيح.. !

وكان فاروق سعيدا بالرسائل التى يتلقاها من ناريمان.. !

وعلى كل واحدة من هذه الرسائل كانت ناريمان تطبع عدة قبلات بأحمر الشفايف تنفيذا لتعليمات الرجل الذى كنت أطلق عليه وأنا أداعب ناريمان اسم: حامل رسائل الغرام إلى الملك..

وبقينا على هذا الحال ننتظر..

وفى كل يوم.. ومع كل رسالة كنا نتوقع أن يكف الملك عن مهزلة هذه الرسائل..

وكان فى تصورنا أن يبادر الملك بإعلان خطبته رسميا لناريمان، ولكن الملك أحب لعبة تبادل هذه الرسائل، وكان أن استمر فيها..

وكان فى نفس الوقت يفكر فى شئ آخر..

وأذكر أنه قد حدث فى إحدى الليالي بعد وفاة أخى حسين بعدة أشهر، أن دق جرس التليفون فى بيت ناريمان..

ورفعت ناريمان سماعة التليفون لتسمع من يقول لها:

- هالوه.. شيرى.. أى عزيزتى..

قالت له: مين.. بيتكلم.. مين حضرتك...

قال لها: أنت مش عرفانى..

وعلى طريقة تلاميذ المدارس أيضا أخذ المتطفل الذى أقلق راحة ناريمان يعاكسها فى التليفون..

وهددت ناريمان بأن تغلق السماعة فى وجه ذلك المتطفل، ولكنه بادرها بقوله وهو يقهقه:

- أنا فاروق..

كانت أول مرة يتحدث فيها الملك إلى ناريمان بالتليفون منذ وفاة أخى المرحوم حسين..

وكانت أول مرة أيضا تسمع فيها صوته وهو يقهقه عندما يضحك على طريقته..

وتصورت ناريمان أن فاروق سيدخل تعديلا على خطة الاتصال بها..

وكان أن تبادر إلى خاطرها أنه سيكف عن كتابة الرسائل الغرامية إليها، وأنه قد يتوقف نهائيا عن رسم القلوب و الأسهم

المشتعلة بنار الحب ليبدأ معها لعبة جديدة هى.. المعاكسات التليفونية..

قالت له: إيه الحكاية يا مولاى..

إيه رأيك يا شيرى تسيبي مصر، وتسافرى بلاد بره..!!

* * *



الملك فاروق فى وسامة الشباب.. وثراء الأغنيـــاء



قرر فاروق أن تسافر ناريمان إلى إيطاليا فى رحلة ثقافية
لتدريبها على أن تصبح ملكة.

بأمر الملك :
مدرسة للرقص داخل السفارة المصرية !

لم تكن ناريمان تتوقع أن يقول لها فاروق فى التليفون:

- أنت لازم تسيبي مصر، وتسافرى بلاد بره..

كانت تتوقع أنه سوف يقول لها إنه قد قرر إعلان الخطبة رسميا.. أو أى شئ من هذا القبيل..

وكان أن تلعثمت ناريمان، ولم تعرف ماذا تقول له..

ولكنه بادرها بقوله، وهو يضحك بطريقته:

- أيه رأيك يا شيرى.. لازم تسافرى إلى أوروبا فى رحلة لكام شهر قبل ما نعلن الخطوبة رسميا.

ولم تستطع ناريمان أن تتمالك نفسها فأخذت فى النحيب بصوت مسموع وهى تتحدث معه فى التليفون..

كان هو يضحك .. وهى تبكى..

تصورت أن فاروق يريد أن يتخلص من وعوده لها،و أنه قد عزف عن فكرة الزواج بها..

وتلاشت فى لحظة واحدة كل أحلامها وآمالها، فى أن تصبح ملكة وعندما تمالكت نفسها قالت له وهى تتلعثم:

- أسافر لوحدى.. ماما مش حتيجى معايا.. ؟

وكان رد فاروق بسرعة:

- لا.. عمك مصطفى هو اللى حيسافر معاكى أنا عملت ترتيب كل حاجة..

وهكذا رفض فاروق بكلمة واحدة أن تصطحب ناريمان والدتها أصيلة هانم فى تلك الرحلة..

قال لناريمان: لا.. ولم يكن فى وسعها أن تعترض.. أو أن تقول له شيئا..

* * *

كان عليّ الاتصال بكريم ثابت لأتفق معه على برنامج رحلة ناريمان ولم أنتظر، وبادرت بالذهاب إليه فى مكتبه بقصر عابدين..

كانت أول مرة أراه فيها فى حياتى..

وعندما دخلت إلى حجرته وجدته جالسا مع ثلاثة أو أربعة من الصحفيين المعروفين.. كان يتحدث إليهم عن فضيحة زواج رياض غالى بالأميرة السابقة فتحية صغرى شقيقات فاروق.

وجلست فى أحد أركان الحجرة أنتظر..

وأخذت فى مراقبة كريم ثابت من مكانى، وكنت فى نفس الوقت أنصت إلى حديثه مع الصحفيين..

كان يرسم معهم الخطوط الرئيسية لحملة صحفية قال لهم إن الملك يريد أن يشنها ضد زواج أخته من رياض غالى..

وأثارنى حديث كريم ثابت.. ولا أريد أن أقول إنه كان يبدو وقد انتفخت أوداجه وهو جالس إلى مكتبه أشبه بقائد عسكرى فى الميدان وهو يتكلم مع أركان حربه..

وسمعته وهو يقول للصحفيين بالحرف الواحد:

- عاوزكم تمشوا فى الموضوع ده أسبوعين، وبعدين تتركوه أربعة أيام. وبعدها عاوز أسبوع كامل تشنيع على نازلى..

وفى تلك الأيام كانت مصر كلها تتحدث عن زواج رياض غالى وفتحية..

وكان الملك ـ كما سمعت فيما بعد ـ ثائرا لأن أخته لم تستشره أو تستأنس برأيه قبل أن تقدم على هذا الزواج..

ولكن أحدا لم يكن يتصور أن يستدعى كريم ثابت ـ وهو المستشار الصحفى للملك ـ الصحفيين ليطلب إليهم التشنيع على أم الملك..

ولكنها كانت رغبة الملك نفسه.. أو هكذا سمعت كريم ثابت يقول للصحفيين.. !

رحلة لتدريب الملكة سرا:

واستأذن الصحفيون فى الانصراف، وقام كريم ثابت من مكانه ليودعهم أمام باب حجرته ثم عاد ليقول لى، وهو يكاد أن ينفجر من الضحك:

- أنت قاعد معانا أكثر من ربع ساعة.. ولا واحد منهم واخد باله أنت مين.. ولا أنت جاى ليه .. !

ثم ابتسم، وهو يقول: تعرف أى واحد منهم مستعد يدفع نصف عمره علشان يعرف أنت جاى ليه..؟

قلت له: أنا شخصيا مش فاهم أنا جاى ليه.. وأيه الحكاية بالضبط..

قال وهو يجلس إلى جوارى:

- الملك قرر أن تسافر ناريمان هانم إلى أوروبا فى رحلة ثقافية، ليتم تدريبها فى إيطاليا بالذات على أن تصبح ملكة.. !

وحاولت أن أقول شيئا، ولكن كريم ثابت استطرد قائلا:

- أنت عارف أن ناريمان هانم فتاة عادية خالص، وفى رأى الملك أنها محتاجة لتدريب طويل حتى يمكنها أن تحتل المركز الدقيق الذى يريد الملك أن يرفعها إليه.. وهو مركز الملكة..

وأدركت لأول مرة سر هذه الرحلة التى قررها فاروق فجأة، وكانت السبب فى انزعاج ناريمان وبكائها عندما كانت تتكلم مع الملك فى التليفون..!

وأثناء هذا اللقاء عرفت من كريم ثابت بعض الترتيبات التى أعدت لسفر ناريمان قال لى.. إنه قد تقرر أن تسافر إلى إيطاليا تحت اسم مستعار هو سعاد صادق..

كما عرفت.. أن الملك كان قد استدعى عبد العزيز بدر سفيرنا فى روما فى تلك الأيام، هو وزوجته إلى القاهرة، وقام بنفسه بالاتفاق معهما على برنامج تدريب ناريمان..

وأنه قد اتفق معها على أن تنزل ناريمان فى دار السفارة المصرية فى ضيافة السفير وزوجته..

أما أنا، فقد تقرر نزولى بفندق (الإكسليسيور) فى روما..

ولما سألت عن سر اختيار الاسم هذا المستعار لناريمان، قال لى كريم ثابت:

- إن عبد العزيز بدر من رجال القصر، وقد عمل سنوات طويلة فى خدمة الملك، وهو متزوج من ابنة على (بك) صادق، وقد تقرر أن تنزل ناريمان (هانم) فى ضيافته على أنها ابنة عم زوجته..

وكما فهمت.. لقد وضع الملك كل ترتيبات هذه الرحلة بنفسه.

كان يعرف اسم عائلة زوجة السفير عبد العزيز بدر..

إنها لا تمت إلينا بصلة القربى، وإن كانت تحمل مثلنا اسم صادق..

وقد أعجب هذا التشابه فى الأسماء الملك..

وكان هو الذى واتته فكرة اختيار اسم سعاد صادق ليكون اسما مستعارا لناريمان فى رحلتها إلى أوروبا..

أزمة قبل السفر بيومين:

أخذنا نتأهب للسفر.. ولكن قبل الموعد المحدد بيومين وقع شئ لم يكن فى الحسبان..

كنت موجودا فى بيت ناريمان عندما جاء الملك وبصحبته أنطونى بوللى..

وجلس فاروق يشرب الشاي مع ناريمان..

وفجأة أثار بوللى قصة غريبة عن واحد اسمه أحمد الشربينى.. قال إنه قد أدعى فى رسالة بعث بها إلى الديوان الملكى أن أخى المرحوم حسين والد ناريمان كان قد استدان منه قبل أن يموت بالسكته القلبية مبلغ ثلاثة آلاف جنيه.

وسأل الملك قائلا:

- أيه حكاية الراجل ده.. ؟

وحاول بوللى أن يدخل فى روع الملك أن الرجل على حق..

وحاولنا من جانبنا أن نؤكد أنه أفاق..

قلت للملك: والله يا مولاى.. لقد بحثنا فى جميع أوراق المرحوم، ولم نجد فيها دليلا واحدا يثبت ادعاءات هذا الرجل..

واحتدمت المناقشة حول الموضوع لمدة ساعتين كاملتين..

وأذكر أن بوللى كان يتكلم بطريقة استفزازية بالدرجة التى جعلتنى أشعر أن قرار السفر.. إن لم يكن مشروع الزواج كله قد أصبح فى مهب الريح.. وأنه متوقف على نتيجة ما يمكن أن تسفر عنه هذه المناقشة..

وكان عليّ أن أجد حلا لهذه الأزمة المثيرة بأسرع ما يمكن..

وهنا يجب أن أقول شيئا له أهميته..

كان أنطونى بوللى منذ أول لحظة غير راض عن اختيار الملك لناريمان لتكون له زوجة وملكة..

وتذكرت عندما أثار الرجل موضوع أحمد الشربينى أمام الملك كلمة قالها لى أحمد نجيب الجواهرجى مرة عندما كنت أتردد عليه فى محل مجوهراته فى شارع قصر النيل..

كان قد قال لى بالحرف الواحد وهو يحذرني من بوللى:

- أنا خايف على الجوازة دية من بوللى.. خايف يخلى الملك يغير رأيه..

وعندما احتدمت المناقشة حول الموضوع تصورت أن بوللى يريد أن يفسد على ناريمان الحلم الجميل الذى أخذت تعيش فيه وهو أن تتزوج فاروق وأن تصبح ملكة..

وتصورت أيضا بعض عناصر الفساد فى حاشية الملك، وقد أخذت تعمل جاهدة على أن يفشل هذا الزواج الملكى..

وتبادر إلى خاطري أكثر من ذلك احتمال أن يكون الملك نفسه قد اصطحب بوللى معه إلى بيت ناريمان ليثير هذا الموضوع حتى يتسنى له- أى الملك- أن يحقق فيه بنفسه.. وكان أحمد الشربينى متزوجا من سيدة يونانية، وكما عرفت كان بوللى يتردد عليه وعلى زوجته، فى بيتهما فى الإسكندرية.

وكانت هذه الحقيقة وحدها كافيه لأن يقف بوللى هذا الموقف من ناريمان وكانت أصيلة هانم.. أم ناريمان.. تجلس معنا..

وعندما أثار بوللى موضوع أحمد الشربينى، أخذت كل تلك الأفكار تتوارد بسرعة على ذهنى..

وأذكر أننى تلفت ناحية أصيلة هانم، لأراها شاحبة اللون وهى تحرك يديها بطريقة عصبية، وكانت تبدو كمن يريد أن يولول، ويقول:

يا لهوى.. يا لهوى. باظ كل شئ..

ولكن فجأة أنقذ الموقف عندما قال الملك:

- لو كان فيه ديون.. أنا قررت أدفعها من جيبى ..

ولم أنتظر، وبادرته بقولى:

- المسألة يا مولاى مش مسألة فلوس، بقدر ما هى مسألة مبدأ .. إزاى تدفع مليم لواحد زى ده وليس عنده ما يثبت أن المرحوم قد استدان منه قبل وفاته.. !

واستطردت قائلا:

- إذا فرضنا أننا دفعنا له.. يمكن يظهر بكره عشرين آخرين بنفس الإدعاء، وبدون أدلة أو مستندات.. ولن يكون أمامنا إلا الدفع إليهم أيضا..

واقتنع الملك، ليقول وهو يحسم الموقف كله بسرعة:

- مضبوط.. ده كلام فارغ.. أنتم لازم تسافروا بعد بكره.. !

طائرة خاصة لناريمان:

وجاء يوم السفر..

وكان مقررا أن نسافر - أنا و ناريمان - على إحدى الطائرات العادية حتى لا نلفت الأنظار إلى الرحلة التى ستقوم بها..

وأعد جوازا سفر دبلوماسيان.. واحد بأسمى والثاني باسم سعاد صادق..

اسم ناريمان المستعار..

وضحكت وأنا أتسلم جوازي السفر من الموظف الذى حملهما إلى البيت..

لقد أصبحت ناريمان بين يوم وليلة ابنة عم السيدة زوجة سفير مصر فى روما..

وبقيت أنا عم ناريمان..

وبمعنى آخر كان على أن أصبح أيضا عما لزوجة السفير..

وذهبنا إلى المطار لنستقل الطائرة..

وكانت مفاجأة عندما تبين أن كريم ثابت قد قام باستئجار طائرة خاصة من شركة(سعيدة) لتنقل ناريمان إلى روما..

وكان أن سافرنا معا على طائرة خاصة تسع ٣٣ راكبا ..

ولم يكن معنا فى صالون الطائرة سوى المضيفة الحسناء التى رافقتنا فى الرحلة..

وفى مطار (كابيتشينو) فى روما كان عبد العزيز بدر وزوجته فى استقبالنا..

وكان معهما أيضا أمين فهيم سكرتير السفارة الذى عمل فترة من الوقت سكرتيرا لفاروق فى إيطاليا بعد تنازله عن العرش..

وذهبت ناريمان مع السفير وزوجته إلى دار السفارة..

وذهبت أنا مع أمين فهيم إلى فندق الإكسليسيور حيث تقررت إقامتى به:.

وأثناء الطريق استطعت أن أدرك بسهوله أن أمين فهيم شخصية يجب أن يعمل لها ألف حساب، فقد كانت تربطه صداقة متينة مع أنطونى بوللى.. وكانت هذه الصداقة سببا فى أن يصبح الحاكم بأمره فى سفارة مصر فى روما..

وأن سلطات السفير تتضاءل أمام نفوذ أمين فهيم..

وكما سمعت فيما بعد.. لقد كان مكلفا من بوللى بالتجسس على ناريمان أثناء إقامتها فى روما لحسابه..

ويحتمل أيضا أن يكون ذلك لحساب الملك نفسه !

*　*　*

وأثار انتباهى أن استقبال عبد العزيز بدر لناريمان كان حماسيا وبلا حدود..

وعلى العكس كان استقبال زوجته لها فاترا..

كانت تبدو كمن اضطرت لأن تصحب زوجها إلى المطار تأدية لإحدى واجباتها كزوجة للسفير..

وكان السفير عبد العزيز بدر يبدو سعيدا بالمهمة التى وضعها الملك على عاتقه..

كان مطلوبا منه أن يدرب ناريمان على أن تصبح ملكة..

واعتبر السفير هذا التكليف شرفا كبيرا لم ينعم به الملك على غيره من السفراء المصريين فى الخارج..

أما زوجته مدام بدر، وكان زوجها يناديها باسم (آنى) فقد ظلت طوال المدة التى عشناها معها فى روما، لا تريد أن تصدق أن الملك قد اختار ناريمان لتكون زوجته وإنها ستصبح ملكة مصر..

وكان فى رأيها أن الملك يلعب مع ناريمان لعبة خطرة على طريقته..

وأن هذه اللعبة يمكن أن تنتهى بمجرد أن يغرر بها مدعيا رغبته فى الزواج منها..

وكان أن ظلت زوجة السفير تعامل ناريمان ببرود..

وفى إحدى المرات قالت رأيها صراحة أمام ناريمان..

وكان موقفها سببا فى مشادة عنيفة بينها وبين زوجها السفير..

مدرسة للرقص فى دار السفارة:

وكان عبد العزيز بدر قبل وصولنا إلى روما قد أعد برنامجا كاملا لتدريب ناريمان على أن تصبح ملكة..

تعاقد مع مدرسة إنجليزية اسمها (براون) لتدريس اللغة الإنجليزية لها، كما اتفق مع الكونتس مارتيلينى، وكانت تعمل كبيرة لوصيفات القصر الملكى فى إيطاليا أيام الملك فكتور عمانويل لتدريس البروتوكول الإيطالي لها..

أما البروتوكول المصرى، فقد تولى السفير تدريسه بنفسه لناريمان..

وفى نفس الوقت قام السفير بتحويل جناح كامل من قصر سافوى وهو القصر الذى تشغله دار السفارة المصرية فى روما ليكون مدرسة رقص لناريمان..

وقام بالتعاقد مع جماعة من أساتذة الرقص فى إيطاليا لتدريس رقص الباليه والكلاسيك لها .. !

وكانت تعليمات فاروق إلى السفير صريحة وواضحة بأن لا يجعل ناريمان تغيب عن نظره لحظة واحدة..

قال له.. إن عليه أن يصطحبها بنفسه إلى جميع الدروس..

وكان على السفير أن يبعث إلى الملك فى كل أسبوع بتقرير عن تقدمها فى الدراسة..

ولم يعد للسفير أى عمل إلا أن يصطحب ناريمان فى روحاتها وغدواتها..

وفى إحدى المرات اضطر لأن يعتذر عن موعد تحدد لمقابلة هامة مع وزير خارجية إيطاليا.. والسبب أنه كان مضطرا لأن يصطحب ناريمان إلى مدرسة الرقص..

وكان عبد العزيز بدر يبدو فى شعره الأبيض ورزانته ووقاره ودبلوماسيته أشبه بمربية أطفال ولكن فى ثوب سفير.. !

الطواف فى بلاد أوروبا فى سيارة:

ومع تقدم ناريمان فى دراستها، طلب فاروق إلى السفير أن يصطحبها فى رحلة ثقافية لزيارة مختلف أنحاء أوروبا..

وكان من رأى فاروق أن ناريمان لا يمكن أن تصلح لأن تكون ملكة إلا إذا طافت بهذه البلاد وشاهدت آثارها ومتاحفها..

وتنفيذا لتعليمات الملك أشترى السفير سيارة فيات صغيرة، وأعدها لتقوم بهذه الرحلة واتفقنا على أن أتولى (أنا) قيادة السيارة حتى لا نلفت الأنظار إلينا..

ولا أعرف كيف تسرب الخبر إلى الصحفيين.. وكانت بعض وكالات الأنباء قد نشرت قصة الدكتور زكى هاشم، وكيف أن فاروق اختطف منه خطيبته..

وأخذت الصحف فى مختلف أنحاء العالم تسعى للحصول على صورة هذه الخطيبة الحسناء التى امتلكت قلب فاروق..

وعرضت إحدى وكالات الأنباء خمسة آلاف دولار مكافأة للمصور الذى يحصل على صورة ناريمان أثناء رحلتها فى إيطاليا..

وكان طبيعيا أن نتعرض لمضايقات من المصورين والصحفيين الذين تنافسوا للحصول على هذه المكافأة.. !

وكانت تعليمات الملك واضحة بأن نعمل المستحيل لإبعاد ناريمان عن كل الأضواء..

وكان على السفير أن يتم تدريبها سرا، وفى هدوء..

ولكن ماذا كان فى وسع السفير أو غيره أن يفعل إزاء ما كنا نلاقيه فى كل صباح ومساء من مضايقات المصورين والصحفيين..

وأذكر ما حدث عندما ذهبنا إلى مدينة ميلانو أثناء رحلة ناريمان الثقافية فقد حاصر الصحفيون فندق (دومينو) الذى نزلنا فيه مما اضطرنا لأن نحجز ناريمان داخل الفندق لمدة ثلاثة أيام كاملة، بحيث لم يكن فى وسعها أن تغادره..

ولم ييأس المصورون والصحفيين وقد استعان بعضهم بالسلالم كما تسلق آخرون أبراج الكنيسة التى فى مواجهة الفندق فى محاولة لالتقاط صورة واحدة لناريمان بواسطة العدسات المقربة أثناء إقامتها فى الفندق.. واضطررنا لأن نعيش وراء الأبواب، وأن نغلق النوافذ حتى لا يراها أحد تنفيذا لتعليمات الملك..

وكان علينا أن نفعل شيئا..

ولم يكن أمامنا إلا أن نهرب من الباب الخلفي للفندق عند منتصف الليل..

وكان أن اصطحبت زوجة السفير فى السيارة إلى محطة بنزين قريبه لشراء البنزين اللازم للرحلة التالية فى رحلتنا الثقافية..

وكانت مفاجأة عندما تأهبت لمغادرة محطة البنزين عندما أقبلت إحدى السيارات بسرعة، ثم وقفت أمام سيارتنا لتسد الطريق أمامنا..

وجاءت فى تلك الأثناء سيارة أخرى كانت تسير وراء السيارة الأولى، ثم أخذت تلتقط عدة صور لزوجة السفير..

لقد ظنوها ناريمان، ولما اكتشفوا خطأهم أخذوا يلعنون ويسبون وهم يلوحون بأيديهم فى وجهى، وفى وجه زوجة السفير، ونالنى جانبا كبيرا من لعناتهم وسبابهم..

قالت ناريمان :
يعني إيه البلبلة ..
فشتمها زوجة السفير !

بقيت زوجة السفير عبد العزيز بدر، وهى لا تريد أن تصدق أن قصة زواج ناريمان من فاروق يمكن أن تتم..

وكان اقتناعها.. أن الملك يلهو بتنفيذ مسرحية جديدة، وأنه سرعان ما ينسى ناريمان بمجرد أن يقوم بالتغرير بها..

وبمعنى آخر تصورت.. أنه يعد ناريمان لكى تقوم بدور عشيقة الملك..

وعلى العكس كان زوجها السفير، فقد كان كالجندي المطيع يعمل على تنفيذ التعليمات التى صدرت إليه من الملك، ولم يكن يهمه كثيرا ما يمكن أن تنتهى إليه قصة ناريمان..

وفى رأيى أنه كان ينظر إلى تكليف الملك فاروق باعتباره شرفا كبيرا..

وكان أن أخذ فى تنفيذ تعليمات فاروق بدقه واهتمام..

وكان عدم اقتناع زوجة السفير بالمهمة التى أوكلها الملك إلى زوجها سبب فى الكثير من المشاكل التى وقعت بينها وبين السفير..

وأذكر ما حدث مرة بينهما عندما كنا نتناول طعامنا، نحن الأربعة..أنا وناريمان، والسفير عبد العزيز بدر وزوجته..

كان السفير يروى قصة، عندما جاء ذكر (البلبلة) على لسانه أثناء الحديث..وقالت ناريمان بدلع:

- يعنى أيه بليلة؟..

قالتها ناريمان بطريقة مثيرة بالدرجة التى جعلتنى (أتسمر) فى مكانى عندما سمعتها تسأل عن البليلة..

كانت (تتدلع) وتصورت زوجة السفير أن ناريمان تعمل على إهانتها بالسخرية منها أو من زوجها.وكان أن أنتفضت من مكانها، ثم اندفعت قائلة لناريمان:

طبعا اللى زيكم ما يعرفش (البليلة)، ولكن الناس إللي قد حالنا هم بس اللى يعرفوها.. !

* * *

كنت أعرف أن ناريمان قد ارتكبت خطأ كبيرا، ولكن كلام زوجة السفير كان جارحا.. وخشيت إذا تركت الموضوع يمر فى هدوء أن تتمادى الزوجة فى إهاناتها لناريمان..

ولم يكن أمامى إلا أن أقف موقفا حازما.. وكان أن قمت من مكانى ثم غادرت قاعة الطعام معبرا عن احتجاجى على إهانة زوجة السفير لناريمان.. وقامت ناريمان ورائى لتلحق بى..

وفى حجرة ناريمان اتفقت معها على خطة لمواجهة الموقف..

قلت لها: عليك أن تقومى بتمثيل دور (الزعلانه)، وقولى للسفير إنك قد قررت العودة فورا إلى مصر، وسأحاول من جانبى أن أمثل دور من يحاول تهدئة الموقف، وإقناعك بالبقاء..

واتفقنا على أن تتشدد ناريمان فى موقفها إذا ما وجدت من السفير وزوجته التساهل، والرغبة فى الاعتذار.. وأن تتساهل إذا وجدت منهما تشددا أو صلابة..

ولم تمر عدة دقائق حتى جاء عبد العزيز بدر، وزوجته..

كان يبكى، وهو يمد يده ليمسك بيد ناريمان محاولا تقبيلها..

أتقنت ناريمان تمثيل الدور وكان أن أخذت فى الضرب بقدميها وهى تقول له:

- مش ممكن.. لازم أسافر دلوقتى..

ومثلت أنا أيضا دورى بإتقان عندما أخذت أهدئ من روع ناريمان وأنا أقول لها:

- ياستى إعقلى.. الست زوجة السفير غلطت وهو جه يعتذر..

وظلت ناريمان تصرخ فى وجه السفير وزوجته..

وأخيرا وافقت على أن تقبل الاعتذار.. وكان درسا قاسيا لزوجة السفير.!

ولكن عبد العزيز بدر السفير لم يكن بالرجل الطيب السهل كما تبادر إلى خاطرى فى بادئ الأمر..

كان أزرق الناب، كما يقول المثل العامى..

وفى تصورى أن المسرحية التى قمت بتمثيلها بالاتفاق مع ناريمان لم تخل عليه فقد استطاع الرجل بسهولة أن يدرك أن ناريمان وهى الفتاة الوديعة الهادئة، لا يمكن أن تقف منه ومن زوجته مثل هذا الموقف إلا إذا كان ذلك بإيعاز منى..

وكان من السهل عليّ أن أدرك أن هذه الحادثة قد لفتت انتباهه إلى دورى جانب ناريمان وكان أن أخذ فى معاملتي بحذر شديد..

وبمعنى آخر .. أخذ يعمل ألف حساب لكل كلمة أقولها له..

ولم يعد يتحدث معى إلا بعد أن يقلب كل ما أقوله له على جميع الأوجه..

وحدث أننى قلت له مرة:

- صحيح الدنيا أمطرت إمبارح بالليل؟ ..

ولم تكن مفاجأة عندما أخذ السفير يحملق فى وجهى دون أن يرد عليّ..

وفى بادئ الأمر تصورت أنه لم يسمعنى.. وكان أن كررت سؤالي عليه..

وقاطعنى السفير وهو يقول:

- أنت بتسال السؤال ده ليه؟

كان سؤالا بريئًا.. ولكن السفير كان قد أصبح فى حالة نفسية جعلته لا يتصور أبدا أننى قد أوجه إليه أية كلمة إلا إذا كنت أخفى وراءها سببا خبيثا..

ولم يكن أمامى إلا أن أنفجر فى الضحك، وأنا أقول لزوجته:

- إشهدى ياستى.. شوفى جوزك بيقول أيه !

* * *

ولم تنته المشاكل والخناقات طوال الرحلة حتى وصلنا إلى باريس..

وأبرق القصر الملكى فى القاهرة فى تلك الأثناء إلى (جرمين لو كنت) مصممة الأزياء المعروفة يقول لها: (إن فتاة مصرية اسمها سعاد صادق ستحضر إلى باريس، ويهم الملك أن تبدى مدام جرمين بنفسها عناية خاصة بهذه الفتاة..)

وذهبنا لنشهد إحدى حفلات عرض الأزياء فى محلات مدام (جرمين لو كنت) فى باريس تنفيذا لتعليمات تلقاها السفير برقيا من القاهرة..

وفى بادئ الأمر، لم نقل شيئا.. ولم يكن فى وسعنا إلا أن ننتظر حتى نهاية عرض الأزياء..

وبعدها قام السفير من مكانه واتجه إلى مدام جرمين ثم همس فى أذنها بعدة كلمات..

وفى الحال اتجهت مصممة الأزياء إلى ناريمان وهى تقول لها:

عزيزتى.. أنا فى انتظارك منذ عدة أسابيع.

ثم قامت مدام جرمين بإعادة عرض الأزياء من بدايته أمام ناريمان وقامت ناريمان بشراء عشرين فستانا دفعة واحدة..!

* * *

وتنفيذا لتعليمات الملك كان السفير يبعث إلى فاروق بتقاريره عن ناريمان مرة كل أسبوع..

كان يبعث بها إلى السفارة المصرية فى روما ليقوم أمين فهيم بحملها بنفسه إلى الملك فى القاهرة..

وخشيت بعد أن ساءت العلاقة بيننا وبين السفير وزوجته أن يحاول الرجل تصوير المشاكل والخناقات فى تلك التقارير بما يخالف الواقع..

وكان أن تداولت فى الموضوع مع ناريمان، وأن أقول لها:

- زى ما أنت شايفه.. السفير لخبط سياسته معانا.. وأنا خايف يكتب للملك ويقول له حاجه تبوظ الحكاية..

وكان هذا يعنى أن تتلاشى أحلام ناريمان كلها فى الزواج من فاروق وبالتالي تضيع عليها الفرصة فى أن تصبح ملكة...

وكان هذا يعنى أيضا أن تتلاشى أحلامى فى أن أصبح عما للملكة..

ودمعت عينا ناريمان وهى تقول لى:

- والله يا أونكل.. أنا كمان خايفة منه..

وقررنا أن نتقرب إلى السفير، وإلى زوجته من جديد.. !

ناريمان تكسب فى الحالتين:

وهنا يجب أن أقول شيئا له أهميته:

عاشت ناريمان منذ وصولنا إلى روما وهى فى دراسات مستمرة..

كانت تقضى كل أيامها متنقلة بين مدرستي الرقص والموسيقى.. وبين مدارس اللغات الأجنبية.. وبروتوكولات القصور الملكية فى أوروبا..

وبمعنى آخر.. أنهم لم يمنحوها دقيقة واحدة للراحة..

واندفعت ناريمان بحماسة تقضى أوقاتها بين هذه الدروس.. والمدرسين..

وكانت كما يقول المثل.. (سرقاها السكينة) !

وكان واضحا أنها كانت تتمسك بأهداب أمل واحد.. وهو أن يتحقق حلمها فى أن تتزوج الملك.. وأن تصبح ملكة..

ولكن ناريمان.. كانت كثيرا ما تفيق لنفسها، كما كانت تشرد بتفكيرها كثيرا..

وكان أن انتهزت أول فرصة التقت فيها معى لتقول لى:

- ياترى يا أونكل.. الحكاية حتنفع.. ولا لأ..

ولم يكن أمامى إلا أن أقول لها:

أسمعى يا ناريمان.. إحنا مش حنخسر حاجه.. إما أن تتم (الجوازة) وفى هذه الحالة لن نخسر.. وإما أن لا تتم وفى هذه الحالة لن نخسر أيضا..

وقلت لها: المهم أن تحافظي على نفسك حتى تتم الحكاية.. !

* * *

وفى باريس التقينا بأحمد نجيب الجواهرجى..

كان ينزل فى فندق (الكونتننتال)..

وكانت مفاجأة مثيرة عندما عرفنا لأول مرة أن (آنى) زوجة السفير هى ابنة أخت أحمد نجيب الجواهرجى هو بالذات..

إن أحد لم يقل لنا ذلك من قبل..

وتصورت أن العناية الإلهية وحدها هى التى بعثت به لكى يلتقى بنا فى باريس..

كان هو الذى اكتشف ناريمان..وهو الذى رشحها لكى تتزوج الملك..

وكان عليه أن يعمل على إزالة سوء التفاهم الذى نشب بيننا وبين السفير وزوجته.. ابنة أخته..

ولكن أحمد نجيب لم يفعل شيئا أكثر من أنه أصر على أن تنزل ناريمان معه فى فندق الكونتننتال ..

ورفضت بحجة أن عددا كبيرا من المصريين المعروفين كان ينزل وقتئذ فى نفس الفندق..

وكان من بينهم على ما أذكر الدكتور أحمد حسين الذى كان سفيرا فى واشنطن والأستاذ يوسف وهبى..

وكانت حجتى،هى خوفى من أن يفضح هؤلاء المصريون الحقيقة وراء رحلة ناريمان..

وكان أن قلت له: إنها تعليمات الملك الصريحة والواضحة - كما تعرف - بأن تقوم ناريمان بهذه الرحلة الثقافية دون أن يعرف الناس عنها شيئا..

وتمسك أحمد نجيب برأيه قائلا:

- متخفش.. أنا المسئول..

قلت له: أعمل معروف.. خلينا نمشى حسب تعليمات الملك..

وتدخلت زوجة السفير فى المناقشة لتثير أزمة جديدة..

قالت لى وكانت تبدو وكأنها تصرخ فى وجهى:

- ما بقاش إلا خالى كمان مش عاوز تسمع كلامه..

وسكت ولم أقل لها شيئا.. ولم يكن فى وسعى إلا أن ألتفت ناحية زوجها السفير متمنيا أن يتدخل ليهدئ من ثورة زوجته، ولكنه سكت ولم يقل لها كلمة واحدة !

بوللى يقول.. ياخرابى:

اتخذ السفير قرارا فى تلك اللحظة، وهو أن يشكونى إلى الملك..

وكان أن أرسل تقريرا سريا عاجلا إلى القاهرة روى فيه تفاصيل كثيرة عن مشاجراتي معه.. ومع زوجته.. والمشاجرات التى أخذت تحتدم مع أحمد نجيب..

وأكثر من ذلك حاول السفير فى تقريره أن يحملني مسئولية فشل البرنامج الذى وضعه بالاتفاق مع الملك لتدريب ناريمان على أن تصبح ملكة..

وتلقى الملك هذا التقرير ليطلب إلى "بوللى" السفر على أول طائرة إلى باريس ليقوم بالتحقيق بنفسه فى الموضوع..

وكانت مفاجأة عندما وصل بوللى.. ثم أخذ يلاحقني بالأسئلة..

قلت له: إن تصرفاتى كلها كانت تتفق مع الخطة التى رسمها الملك للرحلة..

قال: ولكن الملك زعلان لأنك بتتخانق مع كل الناس..

قلت له: كل الناس زى مين؟

قال: أحمد نجيب.. إزاى تتخانق معاه؟ ..

قلت له: كنت عاوزنى أسكت لما نكون قاعدين معاه فى صالون الفندق اللي نازل فيه ويقوم أحمد نجيب من مكانه ويشد ناريمان من أيدها أمام كل المصريين الموجودين بالفندق.. وكنت عاوزنى كمان أسكت لما يطلب منها تقعد جنبه على كرسى واحد !

كنت أعرف أن بوللى لا يرتاح كثيرا إلى أحمد نجيب.. وكان أحمد نجيب بدوره لا يميل إليه.. ولا أريد أن أقول أنه كان يكرهه من كل قلبه.

وأثارت هذه القصة بوللى فأخذ يتمتم وهو يقول:

- مستحيل... دى حكاية غريبة.. الملك حيبقى زعلان خالص لما يسمعها..

قلت له بسرعة: الحكاية دى بس.. شوف ياسيدى .. من يومين كان أحمد نجيب معانا فى التياترو،وكان قاعد جنب ناريمان فى البنوار.. وبص أحمد نجيب شاف بنت حلوة فى الصالة، قام ساب ناريمان وقعد يتكلم مع البنت الحلوة من مكانه فى البنوار..

قال بوللى: ياخرابى.. دى حصل.. !

قلت له: وحياتك حصل.. وأنا اتخانقت معاه بسبب الحكاية دى.. !

ناريمان تهدد للمرة الثانية:

تركنى بوللى، وذهب ليحقق بنفسه مع السفير حتى يتعرف على وجهة نظره.. كما قام بالتحقيق مع (أنى) زوجة السفير..

ولا أعرف ماذا قال الاثنان عنى.. وعن ناريمان..

ولكننى سمعت همسا قويا يتردد ويقول بأن النية قد اتجهت لإعادتي إلى القاهرة..

وكان هذا يعنى أن أترك ناريمان وحدها..

وكان طبيعيا ألا أوافق.. وكان قرارى أن أبقى إلى جانب ناريمان بأى ثمن.

وتداولت معها فى الأمر، ثم اتفقنا على أن نقوم بتمثيلية جديدة..

وكان أن ذهبت ناريمان إلى بوللى وقالت له بصراحة:

- إذا سافر عمى.. أنا مسافرة معاه فى الحال..

وارتبك بوللى وهو يقول لها:

- ناريمان هانم.. مين قال عمك يسافر.. !

وعرفت فى تلك الأثناء أن السفير اتصل بكريم ثابت فى التليفون.

وكما فهمت.. لقد شكانى إليه، وطلب منه أن يتدخل حتى يأمر الملك بإعادتي إلى القاهرة..

وذهب كريم ثابت إلى الملك ليقول له بالحرف الواحد:

- مصطفى صادق وصل ناريمان إلى إيطاليا وكان المفروض أن يعود، ولكنه ظل معها وهو معاها دلوقتى فى باريس..

وكانت مفاجأة عندما رد عليه الملك قائلا ببرود:

- يعود ليه.. أنا قلت..أنه يبقى معها على طول.. !

وفشلت هذه المحاولة أيضا.. !

لم يحاول الملك أن يتصل بناريمان طوال كل هذه الأزمات.. كما إنه لم يبعث إليها بكلمة واحدة..

كما توقفت رسائله المعطرة التى كان يبعث بها إليها فى القاهرة بعد أن يزينها برسوم القلوب الملتهبة بالنيران واسهم كيوبيد رمز الحب والغرام..

وكان هذا الموقف من الملك يثير أعصاب ناريمان ..

كانت تبكي وهى تقول لى:

- الحكاية (بايظة) .. تصور الملك مش عاوز يبعث لى بكلمة واحدة..

وفى إحدى المرات قالت لى:

- ده الظاهر بيضحك علينا..

وكعادتي كنت أقول لها:

- إحنا خسرانين أيه.. خلينا فى الحكاية للنهاية.. إما تمت.. وإما (باظت).. مش حنخسر حاجة..

ولكن فجأة تذكر الملك عيد ميلاد ناريمان.. وكان أن أرسل إليها مع أمين فهيم.. وكان فى زيارة للقاهرة، خاتما من السولتير الثمين..

وكانت تعليمات الملك لأمين فهيم أن يسلم هذا الخاتم للسفير ليعطيه بدوره إلى ناريمان هدية من الملك فى عيد ميلادها..

ووجدت ناريمان فى خاتم السولتير ترضية كافية لها!

* * *



بدت ناريمان فتاة جذابة وجميلة.. وهي في فترة الخطبة للملك وانتشرت صورها في كل وسائل الإعلام.

اعتذرت أصيلة هانم للملك فقرر أن يعلن خطوبته رسميا لناريمان !

استغرقت رحلة ناريمان ما يقرب من السبعة شهور..

وفجأة تلقينا برقية من القاهرة تطلب إلينا نعود فورا.. وتبلغنا أن الملك سيكون فى انتظارنا بالقاهرة..

وتقرر أن نستقل الباخرة (إكسكاليبار) من ميناء نابولى إلى الإسكندرية..

وعاد معنا السفير وزوجته مدام (أنى) ..

كان يريد أن يقدم إلى الملك تقريره النهائي عن الرحلة..

وعلى ظهر الباخرة التقينا بالأمير السابق محمد على إبراهيم، وزوجته الأميرة الجميلة هانزادة ابنة الأمير العثمانى عمر الفاروق وشقيقة الأميرة نسل شاه..

وتعمدنا أن لا يعرف الأمير السابق أو زوجته عن ناريمان شيئا

وفى ميناء الإسكندرية فوجئنا بأن الميناء مغلق بسبب اشتداد العواصف..

وصدرت التعليمات من القصر الملكى بالسماح للباخرة بدخول الميناء..

وأراد الملك أن يعد مفاجأة لناريمان..

وكان أن أمر بإعداد استقبال رسمى للباخرة التى حملتها إلى الإسكندرية وخرج كبار المسئولين فى القصر الملكى، كما

خرجت الوصيفات فى مجموعة من اللنشات البحرية لاستقبال ناريمان فى البحر قبل وصول الباخرة إلى رصيف الميناء..

وأطل الأمير محمد على إبراهيم من فوق سياج الباخرة ليرى هذه اللنشات وهى تتقدم ناحية السلم..

وكان أن تصور أن هذا الاستقبال قد أعد خصيصا له..

ولم يتمالك الأمير نفسه من الدهشة، فاعتدل فى مكانه، ثم انتفخت أوداجه وهو يطلب إلى زوجته أن تستعد لهذا الاستقبال الرسمي الذى أعدلهما..

* * *

صعد رجال الحاشية الملكية، والوصيفات على سلم الباخرة، وكانت تتقدم الجميع السيدة "أداكحيل" وهى تحمل بين يديها باقة كبيرة من الزهور الملونة..

والتفت ناحية صالون الباخرة لأشاهد الأمير محمد على إبراهيم وزوجته، وقد جلسا بوقار فى انتظار بعثة الشرف التى صعدت إلى الباخرة وكان تصورهما وتصورنا أيضا أنها قد جاءت خصيصا لاستقبالهما..

وكنت أقف أنا وناريمان فى تلك اللحظة فى جانب آخر من الصالون نراقب ما يحدث فى صمت وسكون...

كنا نريد أن نتحين الفرصة لكى نتسلل من الباخرة هابطين فى هدوء دون أن يشعرنا أحد، ولم يكن قد تبادر إلى خاطرنا حتى تلك اللحظة أن هذا الاستقبال الرسمى قد أعد خصيصا لناريمان..

المهم.. دخلت السيدة "أداكحيل" إلى الصالون فبادرت الأميرة السابقة هانزادة بالوقوف لاستقبالها، واستقبال رجال القصر الملكى..

وكانت المفاجأة المثيرة عندما حيت السيدة "أداكحيل" هانزادة بإيماءة خفيفة من رأسها، ثم اتجهت ناحية ناريمان لتقدم إليها باقة الزهور..

وأدركت ساعتها لأول مرة أن تطورات كثيرة قد وقعت فى القاهرة، وأن الملك على وشك أن يعلن خطبته رسميا لناريمان..

وانتهزت أول فرصة لأهمس فى أذنها قائلا:

مبروك الحكاية الظاهر نفعت..

قالت لى.. وهى تكاد تطير من الفرح:

- باين كده.. من الاستقبال الرسمى ده.. يا أونكل. !

ولم نبق طويلا فى الباخرة، فقد دعينا لكى نستقل أحد اللنشات..

وقال لنا أحد رجال الحاشية الملكية.. إن علينا أن نرتاح قليلا فى قصر رأس التين، على أن نستقل بعد ذلك السيارات رأسا إلى القاهرة حيث سيكون الملك فى انتظارنا..

ولكن الملك كان يعد لناريمان مفاجأة أخرى.. فقد فوجئنا به يظهر أمامنا بمجرد نزولنا من اللنشات على الرصيف، وصعودنا إلى قصر رأس التين..

وأخذ الملك يقهقه بطريقته المعروفة وهو يقول لناريمان:

- حمد لله على السلامة.. والله أحلويتى عن أيام زمان..

ثم أمسك بيد ناريمان وهو يقول لها:

- عاوز أشوف الفرنساوي بتاعك دلوقتى.. لازم بقيتى لبلبة فيه..

وتلفت الملك.. ناحية عبد العزيز بدر وكان فى تصورى أنه سيقول له.. متشكر.. أو أية كلمة مجاملة من هذا القبيل..

ألم يكن هو السفير الذى إئتمنه الملك دون كل سفراء مصر فى الخارج ليدرب خطيبته على أن تصبح ملكة..

ولكن الملك فاجأه بقوله:

- النهار ده سواقين التاكسي عاملين إضراب فى الإسكندرية.. حتروح بيتك إزاى..

وسكت عبد العزيز بدر ولم يقل شيئا..

ولكن الملك بادره قائلا:

- إن شاء الله نأجر لك تاكسى (بعارضة)..

وارتبك السفير، ثم أخذ بتلعثم وهو يقول للملك:

- مولاى.. يعنى أيه تاكسى (بعارضه)..

وكاد الملك أن ينفجر من الضحك.. ثم ربت بكف يده على ظهر السفير وهو يقول لى:

- قوله يا سى مصطفى يعنى أيه تاكسى بعارضه.. أصله ابن ذوات..

وكان من السهل أن أدرك أن الملك يريد أن ينتقم من السفير لمشاحناته المتعددة مع ناريمان.. وفى تصورى.. أنه أنتظر حتى أتم السفير مهمته، ثم استدعاه ليعود مع ناريمان حتى يستقبله بهذه النكتة..

وابتسمت وأنا أقول للملك:

- تاكسى بعارضه.. يعنى.. عربية كارو.. !

نام وترك خطيبته فى السيارة:

وخرجنا من قصر رأس التين فى موكب من السيارات فى الطريق إلى القاهرة..

وكان الملك يقود سيارته بنفسه، وقد جلست إلى جواره ناريمان..

وفى المقعد الخلفى جلس بوللى..

ومن خلف سيارة الملك تحركت ١٥سيارة تحمل رجال الحاشية الملكية.. والوصيفات..

وركبت أنا واحدة من هذه السيارات..

وكان الملك يقود سيارته بسرعة رهيبة مما اضطر باقى السيارات أن تلحق بسيارته بنفس السرعة..

وفى الطريق الصحراوى وقبل أن يصل الموكب إلى استراحة منتصف الطريق، توقفت سيارة الملك..

وتوقفت وراء سيارته بقية السيارات..

وتسللت من السيارة، التى كنت أركبها، وتقدمت ناحية سيارة الملك.. ولمحت ناريمان.. كانت جالسة فى مكانها وهى تتلفت حولها لا تعرف كيف تتصرف؟ ..

أشرت إليها بيدي مستفسرا عما حدث..

قالت لى بنفس الإشارة:

- الملك نائم.. !

لقد أوقف سيارته ثم ألقى برأسه فوق عجلة القيادة..

وظل الملك نائما فى مكانه ساعة كاملة، وظلت بقية السيارات تنتظر حتى استيقظ من نومه..

أستيقظ الملك من نومه.. ثم أخذ يقود سيارته بنفس السرعة الرهيبة، من جديد ولم يقل لناريمان كلمة واحدة..

وتحركت وراء سيارته بقية السيارات إلى القاهرة. !

مشادة بين الملك وأصيلة:

وفى القاهرة أخذ الملك يتردد على بيت ناريمان بين الآونة والأخرى وكثرت زياراته حتى أنه لم يترك يوما واحد دون أن يمر عليها، أو أن يتصل بها فى التليفون..

وكان أن توقعنا أن يبادر الملك بإعلان خطبته رسميا، ولكن فجأة.. ولم يكن قد مر أكثر من ثلاثة أسابيع على عودة ناريمان من أوروبا، وقعت مشادة عنيفة بين الملك وأصيلة هانم والدة ناريمان..

وثار الملك فى وجه أصيلة هانم وهو يقول لها:

- طيب ياستى خلاص مفيش جواز..

ولم أكن موجودا فى بيت ناريمان عندما وقعت هذه المشادة..

ولكننى أذكر ما حدث بالضبط فى تلك الليلة فقد كانت الساعة قد جاوزت العاشرة والنصف مساء بقليل وكنت قد تأهبت لكى أخلع ملابسى بعد عودتى إلى بيتى قبل أن استلقى على فراش النوم.. وفجأة دق جرس التليفون بجوار سريرى، ورفعت سماعة التليفون لأسمع أصيلة هانم تقول لى، وهى تجهش بالبكاء:

- مصطفى.. مصيبة وقعت.. تعال بسرعة...

وحاولت أن استفسر منها عما حدث، ولكنها انفجرت باكية وهى تردد:

- بعدين لما تيجى تعرف.. !

كانت أصيلة هانم تتكلم بعصبية، وهى فى أشد حالات الإرتباك، وقد تركتني عندما أغلقت سماعة التليفون نهبا للأفكار السوداء من كل نوع..

إنها لم تقل لى شيئا أكثر من أن مصيبة قد وقعت..

وأخذت أحدث نفسى قائلا:

- يا ترى.. أيه اللى حصل؟ !

وتبادر إلى ذهنى خاطر جعلنى أقفز من مكانى وأسرع فى ارتداء ملابسى لأذهب إلى بيت ناريمان..

تذكرت أنى قد اتصلت بناريمان بعد الظهر فى التليفون. وعرفت منها أن الملك سيزورها بعد العشاء..

وتصورت المصيبة الوحيدة التى يمكن أن تقع عندما يذهب فاروق إلى بيت ناريمان وينفرد معها فى حجرة واحدة..

هذا ما تبادر إلى خاطرى فلم تكن هناك مصيبة أخرى محتمله..

وحاولت أن أطرد تلك الأفكار السوداء من مخيلتي..

قلت لنفسى: والله دى تبقى مصيبة صحيح.. ولكن إزاى حاقدر أواجه الموقف..

واندفعت كالمجنون إلى بيت ناريمان !

الحكاية انتهت خلاص:

اقتربت من البيت ليتطرق إلى سمعي صوت (نهنهة) حزينة وقد اختلطت بالصراخ والعويل.. واستقبلتني إحدى الخادمات وهو تولول فى وجهى قائلة:

- شبابك ياست ناريمان.. يا عين الست الكبيرة ياست ناريمان..

واندفعت الخادمة تبكى بحيث تبادر إلى ذهنى أن المصيبة من نوع آخر..

تصورت أن ناريمان قد ماتت، فقد كان كل ما فى البيت يوحى بوفاتها.. أو أن شيئا من هذا القبيل قد وقع لها !

واندفعت أجرى إلى داخل البيت وأنا أصرخ بطريقة لا شعورية..

- فين ناريمان جرى لها أيه؟

ولم أتوقف إلا عندما رأيتها جالسة على مقعد فى الصالون..

كانت حية ترزق، ولكنها كانت تبكى بطريقة هستيرية..

وكانت أصيلة هانم تجلس إلى جوارها أيضا وهى تبكى..

قلت لها: أيه الحكاية.. جرى أيه؟ !

قالت أصيلة: الحكاية انتهت.. وكل حاجة خلصت..

أمسكت بكتفها ثم أخذت أهزها بعنف وأن أقول لها:

- حكاية أيه.. فهميني.. أيه اللى حصل؟

قالت وهى تحاول أن تتمالك شعورها:

- فاروق كان عندنا، وقال إنه مش حيتجوز؟

كدت أن أقع (من طولى) كما يقول المثل العامى، فقد كان آخر ما يمكن أن أتصوره هو أن يتخذ الملك مثل هذا القرار..

وانهارت أحلامى، وأحلام ناريمان كلها مع هذه الكلمة التى خرجت من فم الملك..

وألقيت بنفسى على مقعد إلى جوار ناريمان..

وحتى تلك اللحظة لم أكن قد عرفت بالضبط حقيقة ما وقع بين أصيلة هانم والملك فقد كنا جميعا نتكلم بطريقة هستيرية..

وكانت كل تصرفاتنا أيضا هستيرية..

وقد ظلت الأفكار السوداء التى تبادرت إلى ذهنى قبل أن أصل إلى البيت تتراقص أمام مخيلتي وتتحكم فى تفكيري..

وبقيت فى مكانى صامتا حتى أخذنا فى تمالك شعورنا..

وعرفت ما حدث بالضبط..

كان الملك موجودا بالبيت عندما قرر أن يصطحب ناريمان معه فى نزهة بالسيارة..

وغضبت أصيلة هانم، وهى تقول له:

- إزاى تخرج معاها قبل ما تعلن الخطبة بصفة رسمية..

قال لها الملك:

- يعنى حيكون فيه إعلان أكثر من أن الدنيا كلها عرفت بأني بعتها فى رحلة طويلة إلى أوروبا، وأنى حضرت جنازة أبوها.

قالت له أصيلة وهى ما تزال عند رأيها:

- الإعلان الرسمى يختلف..

وثار الملك فى وجهها وهو يقول:

- يعنى أنت معندكيش ثقة فىّ. ده أى عريس هلفوت بيلبس خطيبته دبلة ذهب باثنين جنيه، يقدر يأخذها ويخرج يتفسح معاها..

وكما قالت لى أصيلة هانم: كانت رغبة الملك فى أن يأخذ ناريمان معه إلى خارج البيت مفاجأة لم تكن تتوقعها..

ولما فشل الملك فى إقناعها.. ثار فى وجهها وهو يقول لها:

- طيب ياستى.. أهى بنتك عندك.. أنا مش حاتجوز..

وعندما غادر فاروق البيت التفت ناحية أصيلة هانم، وهو يقول لها :

- اعتبري الموضوع أنتهي.. وأنا حابعت بوللى علشان ينهى الحكاية، ونقطع العلاقة بينى وبينكم.. !

* * *

أدركت سبب ثورة الملك، وسبب هذا القرار المفاجئ الذى اتخذه وهو يغادر البيت.. لقد شعر لأول مرة بأننا لا نثق فيه..

وقررت أن أقوم بمحاولة يائسة لإنقاذ الموقف..

وكان أن قلت لأصيلة: أنت طعنتيه فى كبريائه، لازم تعتذري له بسرعة قبل ما يكبرها رجال الحاشية فى رأسه..

قالت وقد أنفرجت أساريرها بعد أن وجدت بارقة أمل فى هذا الاقتراح:

- نعتذر له إزاى.. ده كان ثائر وهو سايب البيت وكان بيقول.. أنا مش عايز أشوف وشك تانى..

قلت لها: بسيطة ولكن المهم أن نعتذر للملك بسرعة، وأن نحاول تخفيف أثر الحكاية فى نفسه..

ولا أعرف ماذا حدث بالضبط فى تلك اللحظة فقد فوجئت بأصيلة هانم تثور فى وجهى، وهى تقول لى:

- تخفف حكاية إيه.. دى مصيبة.. ونزلت علينا..

ولم تهدأ أصيلة هانم إلا بعد أن تدخلت أبنتها ناريمان فى الحديث، وهى تقول لأمها:

- مامى.. وحياتى عندك.. أسمعى كلام (أونكل) مصطفى.. خليه يشوف لنا حل.. !

وأضطرت أصيلة هانم لأن تسكت.. ولأن تكف عن الصراخ فى وجهى!

اتفقنا على أن تقوم أصيلة هانم بالاتصال بأنطونى بوللى فى التليفون..

كان عليها أن تطلب إليه أن يبلغ اعتذارها للملك وأن تقول له أن ثقتها بالملك لم تكن فى أية لحظة موضع أى بحث أو مناقشة..

ورفعت أصيلة هانم سماعة التليفون. ثم أخذت تدير القرص لتطلب رقم تليفون بوللى..

ولكن ناريمان أسرعت إليها ثم أمسكت بيدها ، وهى تقول لها :

- مامى.. نقرأ الفاتحة الأول.. علشان ربنا يساعدنا..

- وقرأنا الفاتحة، ثم عادت أصيلة هانم تطلب بوللى فى التليفون..

ومما عرفته أن الملك كان يتوقع أن تبادر أصيلة هانم بالاتصال ببولى فى التليفون لتعتذر إليه، فظل فى مكتبه بالقصر الملكى لا يغادره..

كما طلب إلى بوللى أن ينتظر هو أيضا فى مكتبه حتى تتصل به أصيلة..

وكان بين المكتبين اتصال تليفونى بحيث يستطيع الملك أن يسترق السمع إلى كل ما يدور من أحاديث فى تليفون بوللى..

الصلح بعد منتصف الليل:

أخذت أصيلة هانم تعتذر لبوللى..

وقال لها بوللى: الملك زعلان كثير، ودي حكاية مش تمام..

وحاولت أصيلة هانم أن تقنعه بأن الملك فهم موقفها خطأ، وهى تقول له:

- يا مسيو بوللى.. لازم تقدر موقفى.. ناريمان دى وحيدتي.. وأنا كأي أم كنت عاوزه أطمئن عليها..

وسمع الملك صوت أصيلة هانم وهى تعتذر لبوللى..

وكنت فى تلك الأثناء بالقرب منها أنا وناريمان نتابع الحديث..

وفجأة تدخل الملك فى المكالمة التليفونية وهو يقول لأصيلة هانم:

- مش عيب تعملي فيّ كده..

وعرفت أصيلة هانم صوت الملك، فارتبكت، ولم تعرف ماذا يمكنها أن تقول له.. فأخذت تتلعثم..

ولم ينتظر الملك، وبادرها بقوله:

- ياستى ما تزعليش.. أنا قررت ما فيش خروج ولا حاجة.. وأنا جاى عندكم دلوقتى..

وكانت الساعة قد جاوزت الواحدة بعد منتصف الليل عندما تم الصلح فى التليفون..

ولم يكن فى وسعى إلا أن أنسحب بسرعة من البيت قبل أن يصل الملك، فقد كان ضروريا أن أختفي تماما من الصورة حتى ندخل فى روع الملك أن أصيلة هانم قد اعتذرت له من تلقاء نفسها..

وما كان منى إلا أن غادرت بيت ناريمان فى سيارتي فى نفس اللحظة التى كان الملك يدفع فيها بسيارته ليدخل إلى البيت !

* * *

ومرت عدة أيام، وكانت الأزمة قد سويت تماما بين فاروق وأصيلة هانم..

وقرر الملك أن يعلن خطبته رسميا..

إن أحدا لم يقل لى أى شئ عن قرار الملك..

ولكننى أذكر أننى كنت أتناول طعام الغذاء فى بيت الأميرلاى أحمد حليم زوج ابنة أخى محمد، عندما فتحنا الراديو لكى نستمع إلى نشرة الأخبار..

وكانت المفاجأة عندما سمعنا المذيع وهو يعلن نبأ الخطبة الملكية..

واندفعت إلى التليفون لأهنئ ناريمان..

كانت كما يقول المثل (طايرة من الفرح..) وكانت تقهقه وتضحك من قلبها..

وسمعت صوت الملك إلى جوارها، وهو يقول لها:

- مين ده ياستى اللى بيتكلم.. !

قالت وهى تضحك:

- ده أونكل.. ده عمى مصطفى..

قال لها.. خليه ييجى بسرعة أنا عاوزه..

جدي بتاع دخان:

وأسرعت إلى بيت ناريمان..

كان كل واحد فيه يبدو سعيدا بإعلان الخطبة الملكية..

وكان البيت مملوءًا بالأقارب والأهل وقد جاءوا جميعا لتهنئة ناريمان..

وصافحني الملك وهو يقول لى:

- عرفت بقى ياسى مصطفى إننا مبنضحكش على حد.. وإننا لما نقول كلام مستحيل نرجع فيه..

وحاولت أن أقول أى شئ للملك، ولكنه استطرد قائلا:

- عاوز أقولك حاجة.. الناس بتقول أنا خطبت ناريمان فى خمس دقائق.. وده صحيح.. ولازم تعرف أننى ورثت عن جدودي حاجتين أفهم فيهم كويس خالص، الدخان، والستات..

وسكت الملك عدة ثوان، ثم استطرد يقول وهو يربت على كتفى:

- فى خمس دقائق أستطيع أشم باكو دخان وأحكم عليه أنه كويس.. أو على واحدة ست بأنها حلوة.. !

ثم قهقه الملك بضحكته المعهودة وهو يقول:

- أنت عارف محمد على كان إيه.. كان بتاع دخان.. وكل جدودي كانوا بتوع نسوان!

لم أعرف ماذا أقول للملك.. وأنقذتني ناريمان عندما اقتربت منه ثم تعلقت فى ذراعه بدلال.. فأخذ يداعبها.. ويربت على كتفها..

وتصورت أنه سيكف عن حديث الستات والدخان.

ولكنه استطرد يقول أمام ناريمان:

- بيقولوا على بتاع نسوان.. دى مش تهمة.. كمان هيه.. مش عيب.. ولكن الحمد لله ما قالوش شئ آخر عنى..

وأحمر وجه ناريمان، كما احمر وجه كل السيدات اللاتي كن فى البيت، .. قال الملك هذا الكلام.. ثم أخذ يقهقه كعادته، ثم مد يده إلى شعر ناريمان وأخذ يداعبه..

كان كلامه غريبا للغاية فى يوم إعلان الخطبة الرسمى.. ولا أعرف حتى هذه اللحظة ما الذى دفعه لكى يقول هذا الكلام.

ولكن فاروق حسب تجربتي معه كان رجلا شاذا، ولم يكن يجد أبدا أى حرج فى أن يقول أى كلام يحلو له، ولم يكن يهمه إذا ما كان هذا الكلام يمكن أن يحرج السيدات.. أو خطيبته.. !

الفصل السابع

كانت تغار من فريدة.. فأخذت تمثل دور زوجة الأب مع بنات فاروق!

تحدد موعد الزواج الملكى..

وانشغلت ناريمان بالاستعداد لهذا اليوم الكبير..

وأذكر كيف اتصلت بى أصيلة هانم أحد الأيام فى التليفون، كانت ثائرة كعادتها، وهى تقول لي:

- مصطفى.. أنا اكتشفت شئ خطير..

قلت لها: خير إن شاء الله.

قالت: تصور كنت فاكره علب الملبس كلها من الذهب الحقيقى ولكنهم غشونا وعملوا العلب نوعين.. نوع فضة مطلية بالذهب.. ونوع عادى خالص ومطلى باللون الذهبى..!

قلت لها: وعوزاني أعمل أيه..

قالت: ولا حاجة.. بس حبيت أقول لك..

كانت ملاحظة غريبة من أصيلة هانم والدة ناريمان.. ولا أريد أن أقول أنها أصيبت على أثر إعلان الخطبة الملكية رسميا بحالة هى خليط من العنطزة والعظمة الكذابة... وأنها لم تعد أصيلة هانم زوجة أخى المرحوم حسين صادق كما كنت أعرفها..

كما أنها لم تعد أم ناريمان التى أخذت تتوسل فى التليفون لأنطونى بوللى حتى ينقل اعتذارها إلى الملك..

لقد استأسدت فجأة، وأخذت تمثل دور أم الملكة..

وكان تصورها أن فى وسعها أن تلعب دورا إلى جانب ناريمان..

ومن الطريف.. أن أصيلة هانم حاولت أن تمثل نفس الدور عليّ، فلم تعد تصافحنى إلا بأطراف أصابعها، إلا أننى استطعت أن أوقفها عند حدها منذ أول دقيقة.

ناريمان.. والملكة فريدة:

وشئ آخر.. أثار أنتباهى، أن جماهير الشعب قد استقبلت زواج فاروق بناريمان بفتور شديد..

وعندما ظهرت ناريمان مع الأميرة السابقة فوزية لأول مرة فى الموكب الرسمى الذى حملها من بيت والدها إلى قصر القبة لم يستقبلها أحد بالتصفيق أو الهتاف مما أوحى لى.. أن الشعب لم يتحمس كثيرا لهذا الزواج..

واستطعت كأى مواطن عادى.. وكواحد من أبناء شعبنا الطيب تصور السبب، فقد كان حادث طلاق الملك من زوجته الأولى فريدة، ما يزال عالقا فى الأذهان، وكان عطف الشعب على فريدة بلا حدود..

وكانت قد ترددت شائعات كثيرة قبل إعلان الخطبة رسميا تقول.. أن الملك قد ذهب لزيارة فريدة..

وقالت بعض هذه الشائعات أنه يزمع أن يعيدها إلى عصمته..

وسمعت ناريمان بهذه الشائعات فانزعجت بشدة، ولا أريد أن أقول أن الغيرة أكلت قلبها كثيرا، وأقلقتها إلى حد كبير..

وكانت مثل هذه الشائعات لا تعنى إلا شيئا واحدا، وهو أن الملك لن يتزوج ناريمان..

وذهبت إلى أحمد نجيب الجواهرجى أسأله عما يتردد حول اللقاء بين فاروق وفريدة..

وضحك الرجل وهو يقول لى:

- ده كلام فارغ، وأنا عندى من الأسباب بحيث لو شفت بعيني فاروق وفريدة قاعدين فى غرفة واحدة ومعهم المأذون.. برضه مستحيل أصدق إنه يرجعها إلى عصمته..

زوجة أب لبنات فريدة:

قلت هذا الكلام لناريمان..

ولكنها كانت طفلة كبيرة، فأخذت تبكى وهى تردد أمامى:

- أونكل.. ممكن يعملها..

وحاولت إقناعها لكى تخفف من حدة الغيرة التى أنتابتها فجأة مع ما كان يتردد من إشاعات..

وثارت أصيلة هانم فى وجهى، وكانت تجلس معنا، وهى تقول:

- أنا مش فاهمة.. أنت معانا.. ولا ومعاها..

قلت لها.. ياستى لازم تتصوري ناريمان فى مكانها..

وسكتت أصيلة هانم، ولم تقل شيئا..

ولكن ناريمان بقيت والغيرة تكاد تعصف بقلبها..

ولن أكون مخطئا إذا ما قلت أن ناريمان عاشت بسبب هذه الغيرة فى حياتها مع فاروق وهى لا تطيق أن يذكر اسم فريدة أمامها..

وكانت هذه الغيرة هى التى جعلتها دائما تحاول أن تمثل دور زوجة الأب فى علاقتها مع فريال، وبقية بنات الملك من فريدة.. !

وكانت هذه الغيرة هى السبب أيضا فى الكثير من المتاعب التى صادفتها فى حياتها الزوجية مع فاروق..

الملك يوافق وحيدر لا يوافق:

المهم.. أصبحت على أثر الزواج الملكى.. فى ليلة وضحاها.. عما للملكة.. ونسيبا للملك..

وهكذا وجدت نفسى فى وضع اجتماعي وأدبي جديد..

وبدأت أعاني الكثير من المفارقات فى حياتى..

وتصوروا مثلا ما كان يحدث لى عندما كنت ضابطا صغيرا فى سلاح الطيران..

لقد كنت أعمل حسابا فى علاقاتى مع الكثيرين من رؤسائي.. ولكن فجأة وجدت جميع هؤلاء الرؤساء وهم يعملون لى ألف حساب..

ولم أعد أستقبل - كلما ذهبت إلى رئاسة السلاح - إلا بالبروجي، وكراكون السلاح أمام الباب، تماما كما كانوا يستقبلون اللواء الشعرواى قائد السلاح..

وأذكر أننى تقابلت مع اللواء الشعرواى بعد الزواج الملكى بيومين أو ثلاثة استقبلنى بترحاب عجيب.. ثم قام من مكتبه وأغلق الباب وهو يقول لى:

- عاوز أكلمك فى موضوع هام يا مصطفى (بك)..

قلت له: يا أفندم أنت خيرك علينا دائما.. وأنا فى خدمتك..

قال لى: أنت عارف حكاية صلاح إبني يمكن الملك يسمع إنه كان قد تقدم لخطبة الملكة.. أعمل معروف لو سأل قول له أننا كنا قد تقدمنا.. وأنتم إللى رفضتوه.

قلت له: دى مسألة ممكن تتسوى..

قال لى: ومسألة أخرى.. أنت عارف إنى أقدم لواء فى الجيش.. ولكن الظاهر إن حظي واقف.. أيه رأيك تتكلم مع الملك علشان ينعم عليّ بالباشوية..

قلت له: والله يا أفندم سأعمل كل جهدى..

ولم أنتظر، وذهبت إلى الملك فعلا حيث تكلمت معه فى الموضوع..

قلت له: اللواء الشعرواى أقدم لواء فى الجيش وكان دائما موضع ثقتكم، ثم ألتمست إلى الملك أن ينعم عليه برتبة الباشوية.

قال الملك: هو أنا باعطى الرتب.. خلى حيدر يرشح إسمه.. وأنا موافق علشان خاطرك ياسى مصطفى..

كانت أول مرة أتقدم فيها إلى الملك بمثل هذه الرغبة.. وكان فى تصورى أن الفريق حيدر لن يعارض، ولذلك بادرت بالذهاب إليه، وقمت بالتحدث إليه فى الموضوع..

قلت له: الملك نفسه موافق..

واعترض الفريق حيدر باشا وهو يقول لى:

- لو أنعم الملك على اللواء الشعرواى بالباشوية أخشى أن يثير ذلك هياجا بين الضباط..

ولما اشتد إلحاحى عليه، ألتفت ناحيتي متوسلا، وهو يقول لى:

- أعمل معروف ياسى مصطفى سيبك من الموضوع ده دلوقتى.

* * *

وشئ آخر.. أصبحت فى وضع غريب وشاذ بعد الزواج الملكى، فقد كنت قبل أن يتم هذا الزواج ضابطا فى سلاح الطيران برتبة قائد سرب، ولم يكن راتبي يزيد على الأربعين جنيها فى الشهر..

وكنت أعيش فى إحدى شقق العمارة رقم ٣٠ شارع أبو بكر الصديق بمصر الجديدة، وهى شقة صغيرة تتكون من أربع حجرات..

وكان إيجار هذه الشقة لا يزيد عن سبعة جنيهات فى الشهر..

وقبل أن تصبح ناريمان ملكة، وقبل أن يتقدم الملك لخطبتها كان راتبي يكفيني..

ولكن تغير هذا الوضع بعد أن أصبحت عما للملكة.. وتضاعفت إلتزاماتى عدة مرات لتزيد على الخمسمائة جنيه فى كل شهر..

واضطررت لأن أبيع عدة أفدنه ورثتها عن والدي لأبدو دائما فى المظهر المشرف كعم للملكة.. وكنسيب للملك.. وحتى أغطى جانبا من الالتزامات التى فرضها عليّ وضعى الاجتماعي الجديد.. وأذكر أننى ذهبت مرة إلى أصيلة هانم بعد الزواج الملكى، وقلت لها: مفيش مساعدات ولا أيه.. وأيه الحكاية هو الملك مش يكون فى عينه نظر ويعمل لنا ترتيب..

وقلبت أصيلة هانم شفتيها من الحسرة والألم، ثم التفتت ناحيتى، وهى تقول:

- كلنا فى نفس الحالة ياسى مصطفى.. لا أحمر.. ولا أبيض. !

وابتسمت، ولم أقل شيئا، فقد كنت أعرف أنها كانت تعانى من نفس ظروفى وأنها على نفس الحال: فقر وعنطزة.. !

* * *

الفصل الثامن

قالت ناريمان لوصيفه الملكة :
ساعديني فى خلع حذائى..
فلقنتها الوصيفة درسا فى الأخلاق !

كان علينا أن ننتظر الفرج..

وكان الملك قد سافر إلى كابرى ليقضى بها شهر العسل مع ناريمان..

وفى كابرى احتدمت المشاحنات بين ناريمان وفاروق..

كانت تطلب إليه أن يصطحبها معه فى كل سهراته..

ولم تكن تريده أن يفارقها لحظة واحدة..

وأخذ فاروق يتبرم فى شهر العسل من تصرفات عروسه..

وكنت فى القاهرة لا أعرف شيئا عن هذه المشاحنات التى وقعت بين فاروق وناريمان..

كما أن أصيلة هانم لم تكن تعرف شيئا عنها..

وكان فى تصورنا أن ناريمان سعيدة فى حياتها مع فاروق بعد أن تحقق حلمها فى أن تصبح ملكة..

ولم يكن فى وسع ناريمان أن تكتب إلينا بما وقع بينها وبين الملك، فقد كان فاروق يفرض بنفسه رقابة شديدة على رسائلها من كابرى إلى القاهرة.

كان يقوم بفتح رسائلها سرا ،و يمزق مالا يعجبه منها..

وفجأة قرر الملك بعد أن اشتدت المشاحنات بينه وبين ناريمان أن يدعونى للحاق به وبعروسه فى كابرى..

فقام أحد رجال القصر الملكى بالاتصال بى تليفونيا ليقول لى:

- جهز نفسك علشان تسافر بكره..

قلت له: خير حصل حاجة..

قال: معرفش.. ولكن دى تعليمات الملك..

قلت له: والباسبور أعمل فيه أيه؟

قال: متحملش هم.. إحنا طلعنا لك باسبور (اسبسيال) .. أى جواز سفر خاص..

واستطرد الرجل يقول لى: وفيه حاجة تانية.. الملك عاوزك تسافر خفيف.. !

قلت له: خفيف يعنى أيه؟

قال: يعنى عاوزك تأخذ معاك شنطة صغيرة.. وغيارين بس!

كانت هذه هى تعليمات الملك، وقد تبادر إلى خاطرى أنه قد استدعانى للحاق به فى كابرى لتكليفي بمهمة تخصه، وإننى لن أبقى فى هذه المهمة أكثر من يوم وليلة ثم أعود بعدها إلى القاهرة..

وأذكر أننى، اتصلت بأصيلة هانم فى التليفون وقلت لها:

الملك عاوزنى فى كابرى.. أنا مسافر بكرة.. عاوزة حاجة من ناريمان..

ولم تتمالك أصيلة هانم نفسها من الدهشة فقالت لى بلهفة:

- عاوزك.أنت لوحدك..

وكان من السهل عليّ أن أدرك ما راودها من مشاعر عندما عرفت بخبر استدعائى للسفر إلى كابرى، فقد كانت تتمنى أن تذهب معى لترى إبنتها فى شهر العسل..

وابتسمت وأنا أقول لها:

- والله يا أصيلة هانم دى تعليمات الملك.. والظاهر إنه عاوزنى فى مسألة خاصة..

وسكتت أصيلة هانم، ثم وضعت سماعة التليفون فى مكانها دون أن تقول شيئا..

* * *

المهم.. وصلت إلى كابرى لأذهب إلى فندق (سانت أوجست) حيث كان فاروق يقضى شهر العسل مع عروسه..

وفوجئت بالملك وهو يستقبلني بفتور ظاهر..

كان جالسا مع فريد الكسان يلعب الطاولة..

وكانت ناريمان تجلس إلى جواره وهى تراقبه فى صمت..

وتلفت الملك ناحيتى عندما سمع صوتى وأن أحييه، ثم قال:

- أنت جيت ياسى مصطفى.. وروه أودته..

واستقبلتني ناريمان هى أيضا بفتور غريب، وكانت تبدو وكأنها لم ترني، أو تسمع صوتى..

وأذهلنى هذا الاستقبال..

وكادت الأرض أن تهتز تحت قدمى، وأنا فى طريقى إلى حجرتى..

وألقيت بنفسى فوق أحد المقاعد، ثم أخذت أفكر محاولا أن أجد تفسيرا لهذا الاستقبال الفاتر..

كان مفاجأة لم أتوقعها أبدا..

وهنا يجب أن أقول شيئا بصراحة عن بعض ما كان يراودني من أفكار وأنا أستقل الطائرة من القاهرة لألحق بالملك فى كابرى..

لقد كنت سعيدا لأن الملك قد استدعانى ليكلفنى بمهمة خاصة كما تبادر إلى ذهنى..

وكنت سعيدا بمثل ذلك التكليف، وكان قرارى أن أتفانى فى خدمته حتى تزداد ثقته بى..

وتصورت أن هذا الاستدعاء المفاجئ هو بداية الطريق حتى ألتحق بزمرة مرافقى الملك والمقربين إليه من رجال حاشيته الخصوصية..

كان التقرب إلى الملك أحد أحلامى التى تمنيت أن تتحقق بعد أن تزوجته ناريمان وأصبحت نسيبا للملك.. وعما للملكة..

وأخذت وأنا فى الطائرة أفكر فيما يمكن أن أؤديه للملك من خدمات حتى يتحقق حلمى الكبير فى التقرب إليه..

وتصوروا شعوري بعد هذا الاستقبال الفاتر الغريب..

لقد انهارت معه كل آمالى وأحلامى فى أقل من دقيقة واحدة..

وأخذ اليأس يتطرق إلى قلبي..

ولكن فجأة فتح الباب، ودخلت ناريمان، لتلقى بنفسها بين ذراعى، وهى تبكى بحرارة وحرقة..

وكان من الواضح أنها تعانى من أزمة نفسية حادة.. وعرفت لأول مرة أن ناريمان ليست سعيدة فى حياتها مع فاروق.. وأن كل أحلامها قد أنهارت مع أول ليلة من ليالي شهر العسل..

واندفعت ناريمان والدموع تملأ عينيها تقول لى:

أعذرني يا أونكل لأني قابلتك كده.. كنت خايفة الملك يرجعك.. وأنا هنا باسمع كل شئ يقولوه له..

قلت لها وقد أثارنى هذا الكلام:

- يرجعني ليه هو أنا عملت حاجة؟ !

قالت ناريمان وهى ما تزال تبكى:

- الوصيفات قالوا لى.. الملك بيكره اهتمامك بأحد غيره حتى لو كان أبوك أو عمك !

وابتسمت ولم أستطع أن أقول لها شيئا..

وعرفت من ناريمان سبب المشاحنات التى وقعت بينها وبين فاروق أثناء رحلة شهر العسل..

كانت تريد أن ترافقه فى كل سهراته، ولم تكن تريده أن يفارقها دقيقة واحدة..

وأخذت أهدئ من روعها، وأنا أقول لها:

- كان لازم تتصرفي فى الموقف بحكمة، ومش ضروري تثيري مشاكل معاه..

قالت: يا أونكل.. ده سايبنى.. وبيخرج لوحده.. وعمره ما بييجى قبل وش الفجر..

* * *

كانت ناريمان ما تزال طفلة فى تصرفاتها وكان آخر ما يمكن أن تتصوره، هو أن فاروق قد درج على أسلوب غريب فى حياته قبل أن يتزوجها، وبالتالي لم يكن فى وسعه أن يغير من أسلوبه بين يوم وليلة..

وكما قالت لى.. لقد كانت تبكى كلما رأته يخرج للسهرة، وكانت تتعلق بذراعيه.. كما كانت تظل ساهرة لا تنام فى غرفتها حتى يعود عند الفجر..

وكان أن أحالت حياته كلها فى شهر العسل إلى مشاحنات وخناقات..

وأخذ فاروق يتبرم من تصرفاتها..

وعرفت لماذا استدعاني الملك للحاقه فى كابرى..

لقد طلب منى أن أرافق ناريمان عندما يذهب للسهر بعيدا عنها..

كان عليّ أن أظل إلى جوارها فى كل ليلة حتى تنام، وبعدها ألحق به وأبقى إلى جانبه حتى يعود إلى الفندق..

ولم يكن فاروق يعود من سهراته كل ليلة كالعادة إلا عند الفجر..

وفى كابرى عرفت سر تعليمات الملك عندما أبرق إلى القاهرة لكى ألحق به عندما طلب أن أسافر (خفيف) أى بدون ملابس كافيه..

وأذكر أننى كنت جالسا معه فى إحدى الليالي وإذا به يقهقه وهو يكاد أن ينفجر من الضحك..

وتلفت حولي محاولا أن أعرف السبب، ولكنه بادرني بقوله:

تعرف أنا ضربتك مقلب مضبوط.. خليتك تيجى بسرعة.. وببدلة واحدة وأنا قاصد إنك تقعد معانا على طول..

وضربني الملك بكف يده فوق كتفى بقوة.. وهو يقهقه قائلا:

- تعيش ياسى مصطفى.. وتأخذ غيرها..

على حساب صاحب الجلالة:

وكان طبيعيا أن تنفذ النقود التى كانت معى،فقد سافرت بسرعة من القاهرة دون أتصور أننى سأبقى مع الملك حتى نهاية رحلة شهر العسل..

وحاولت أن أستدين من ناريمان،ولكنها كانت لاتحمل نقودا معها..

وسألت يوسف رشاد..وكان يرافق الملك فى الرحلة.. !

وكانت مفاجأة عندما وجدته مفلسا هو الآخر..

قال لى أنه لا يحمل معه مليما واحدا..

وهكذا وجدت نفسى فجأة فى ورطة ولم أكن أعرف من أين تنفق حاشية الملك.. ومرت عدة أيام قبل أن أكتشف أن فاروق كان له حساب مفتوح فى كل مكان يذهب إليه..

وإن من حق حاشيته ومرافقيه أن ينفقوا ما يشاءون.. وأن يشتروا أيضا ما يشاءون ثم يضيفوا الثمن على هذا الحساب..

اكتشفت ذلك صدفة عندما دعاني يوسف رشاد بتناول كأس من الويسكي فى بار الفندق وسمعته وهو يقول للبارمان:

- على حساب صاحبة الجلالة..

ولم أتردد فى اليوم التالى فى توجيه الدعوة إلى يوسف رشاد لتناول كأس من الويسكى وقبل أن نغادر البار، نفخت فى أوداجى ثم قلت للبارمان:

- يمكنك أن تضيف الفاتورة على حساب صاحب الجلالة..

وبعدها أصبحت كل نفقاتى على حساب فاروق المفتوح فى كل مكان.. !

* * *

وفى سان ريمو.. وقعت حادثة لا يمكن أن أنساها أبدا..

وكنا قد خرجنا مع الملك فى رحلة بالسيارات لنطوف بعض بلاد أوروبا..

كانت للملك بعض تصرفات غريبة تكشف إلى حد كبير عن عقليته الصبيانية..

ووقعت هذه الحادثة فى حمام السباحة فى سان ريمو..

وأذكر أننى كنت واقفا بالقرب من حافة حمام السباحة عندما اقترب منى الملك، ثم قال لى بصوت خافت:

- مصطفى.. أدفعنى بقوة بيدك لأسقط فى الماء داخل حمام السباحة..

قلت له، وأنا لا أكاد أصدق أن هذه هى رغبة الملك:

- مولاى.. أدفعك إزاى فى المية..

قال وكان يبدو جادا فى رغبته:

- الناس كلها بتلعب.. أدفعنى بسرعة..

وترددت، ولكن الملك أصر على طلبه، وهو يقول لى:

- سى مصطفى.. هذا أمر.. قلت لك أدفعنى بسرعة.. أنا عاوز الناس تقول عنى.. إننى ملك ديمقراطي..

ولم أنتظر إزاء أمر الملك، وكان أن رفعت يدى بكل احترام، ثم دفعت صاحب الجلالة فى الماء، وبعدها جريت من مكانى حتى أمثل دور الذى يلعب مع جلالته..

وسمعت صوت الملك، وهو يسقط فى الماء وهو يقهقه بضحكته المعروفة حتى يلفت الأنظار إليه..

وحتى يعرف الناس فى سان ريمو.. أنه ملك ديمقراطي..

نسيت أن أقول.. أن صاحب حمام السباحة فى سان ريمو كان إسرائيليا كما كان غالبية نزلاء هذا الحمام من الإسرائيليين.. !

لعبة جديدة ولكن مع الوصيفات:

وخرج الملك من الماء ليبدأ لعبة جديدة، فقد أخذ يمسك بالوصيفات واحدة بعد الأخرى، ثم يلقى بهن فى الماء..

ووقفت فى طرف حمام السباحة أراقبه عن كثب...

لقد تصور أن جريه وراء الوصيفات ليلقى بهن فى الماء سيجعل منه ملكا ديمقراطيا يتحدث عنه الناس..

وشاءت الصدفة أن تصل السيدة تاتو أبو العز وصيفة ناريمان إلى حمام السباحة فى تلك اللحظة..

ورآها الملك، وكانت ترتدى ملابسها كاملة.. وكانت مفاجأة عندما أسرع فاروق ناحيتها، ثم دفعها بملابسها لتسقط فى الماء.

وصرخت السيدة تاتو أبو العز.. ولم أنتظر وبادرت وأنا فى أشد حالات الدهشة بمد يدى إليها حتى أساعدها على الصعود إلى حافة الحمام..

وخرجت وصيفة الملكة من الماء لتقف عند حافة الحمام، وكانت ترتعد من البرد، وقد تلطخت ملابسها بالدم.. !

وانفجر فاروق ضاحكا.. إن عضلة واحدة لم تختلج فى وجهه، كما أنه لم يتأثر بمنظر الدم الذى لطخ ملابسها..

إنه لم يخجل لفعلته، بل على العكس أخذ يهلل وهو يعبر عن سعادته لا لشيء سوى أن قام بإلقاء وصيفة الملكة فى الماء وهى بكامل ملابسها..

وثارت السيدة تاتو أبو العزم فى وجه الملك..

وقالت له.. أنها لن تبقى دقيقة واحدة فى صحبته وصحبة زوجته الملكة، وطلبت إليه أن يتخذ فورا إجراءات عودتها إلى زوجها فى القاهرة..

كانت تتكلم بعصبية ونرفزه ثم أخذت تشتم وتلعن وهى تقول للملك:

- ده مش أصول.. وده كلام فارغ..

وتدخل أحد رجال الحاشية ليهدئ من روعها، فقال لها:

- وأيه يكون العمل لو رجعت مصر.. ووجدت جوزك فى السودان.. ده ضابط وبيتلقى أوامر..

* * *

أصيبت تاتو أبو العزم بمرض أقعدها الفراش لمدة أسبوعين كاملين بسبب هذا الحادث..

وتألمت كثيرا عندما علمت بمرضها، فقد كانت سيدة كريمة، كما كانت السيدة الوحيدة بين سيدات الحاشية الملكية، ووصيفات الملكة التى أجبرت فاروق على احترامها..

كما كانت الوحيدة التى أجبرته أيضا على أن يعتذر لها..

ولا يعرف كثيرون أن أزمة حادة كانت وقعت بينها وبين ناريمان على أثر اختيارها لتعمل وصيفة للملكة بعد الزواج الملكى..

إن ناريمان لم تكن تعرف أنه يقع الاختيار على وصيفة الملكة دائما من بين سيدات الأسر الكريمة.. وتصورت أنها شغالة نظيفة، وأن من واجبات الوصيفة أن تعاون الملكة فى خلع ملابسها..

ومما سمعته أن ناريمان مدت ساقها إلى الوصيفة، ثم طلبت إليها أن تساعدها فى خلع حذائها..

وثارت السيدة تاتو أبو العز فى وجهها، ولا أريد أن أقول.. أنها قامت بتلقينها درسا فى الأدب..

واضطرت ناريمان لأن تعتذر لها..

نصيحة من ناهد رشاد:

وأثناء رحلة شهر العسل، لعبت السيدة أدة كحيل دورا مثيرا للإفساد بين فاروق وناريمان..

فقد كانت تتفنن فى إثارة ناريمان..

ومما سمعته.. أنها ذهبت مرة إلى ناريمان، وقالت لها:

- الملك سهران، وبجواره بنت حلوة.

وصدقتها ناريمان، فأخذت تبكى بحرقة، وبقيت ساهرة فى غرفتها حتى عاد فاروق عند الفجر..

وكانت خناقه، خرج بعدها فاروق من غرفة ناريمان، وهو يسب ويلعن.. ولم يكن فى وسعى أن أتدخل، فقد كنت أعرف أن كل سيدات الحاشية ضد ناريمان إلا سيدة واحدة هى السيدة تاتو أبو العز..

وكانت هى التى تعمل على تهدئتها..

وأذكر أننى سمعت مرة السيدة ناهد رشاد، وهى تقول لناريمان بالحرف الواحد:

- أنت حتعذبى نفسك لأمتى.. سبيه واهربي بجلدك.. !

وحاولت أكثر من مرة أن أشكو إلى الملك تلك النصائح المريبة.. ولكننى كنت دائما أتراجع قبل أن أتحدث معه فى الموضوع خوفا من أن تجر علينا مثل هذه الشكوى مضاعفات لم يكن فى وسعى تقدير مداها أو أبعادها..

وخشيت أن يأمر الملك بعودتي إلى القاهرة على أول طائرة..

ولم يكن فى وسعى إلا أن أقف موقفا سلبيا فى وجه كل ما كان يحيكه رجال الحاشية الملكية وسيداتها من مؤامرات ودسائس للإفساد بين فاروق وناريمان..!!

وأقولها بصراحة.. كانت هذه الدسائس والمؤامرات أقوى منى ومن ناريمان..

ولم يكن فى مقدورنا أن نفعل شيئا فى مواجهتها..

فاروق مع نصاب آل كابونى:

وأثناء رحلة شهر العسل، التقى فاروق لأول مرة بالنصاب العالمى أنطونى فرناندو بازنوفالى..

وأذكر أننى كنت أستحم فى حمام السباحة بمدينة كان..

وخرجت من الماء لأجد فى انتظارى رجلا نحيفا يبدو كالمومياء..

كان ينظر إليّ فى فضول غريب، وقد أثار انتباهى بسبب نحافته..

وتقدم الرجل ناحيتى.. ثم قال باللغة الإنجليزية:

- أريد أن أتكلم معك لمدة خمس دقائق فى موضوع هام للغاية..

قلت له.. ليس عندى مانع، ثم أنتحيت به جانبا، وأخذت أستمع إليه وهو يحدثني عن قصة غريبة كانت أعجب ما سمعته فى حياتى..

قال لى: إنه كان يعمل لفترة طويلة شريكا لآل كابونى زعيم العصابة الدولية التى أرهبت الولايات المتحدة فترة من الوقت.. وأنه كان على رأس شبكة واسعة النطاق لتهريب الويسكى والخمور إلى أمريكا، وأن عمليات التهريب قد درت عليه عدة ملايين من الجنيهات..

وروى لى.. كيف أنه أودع كل هذه الملايين بأسماء مستعارة مختلفة فى خزائن عدد من البنوك الأمريكية..

وقال لى.. إنه يستخدم فى التعامل مع كل واحد من هذه البنوك توقيعا خاصا لا يعترف البنك إلا به، وأنه قد أودع كل توقيعاته التى تتفق مع الأسماء المستعارة فى كتاب يحمله معه..

ولم أتمالك نفسى من الدهشة، وأنا أقول له:

- وما الذى يمنعك من أن تسترد أموالك الآن، وقد نسى الناس قصة آل كابونى؟ ..

قال الرجل وهو يضحك: ليس فى وسعى أن أستردها، لأنهم يريدون القبض عليّ فى الولايات المتحدة، وليس فى وسعى السفر إليها..

قلت له: وما هو المطلوب منى؟

وسكت الرجل الذى أثارت طريقته فى الحديث انتباهى، فقد كان يتكلم بطريقة توحي بالثقة فيه لأي واحد يستمع إليه، ولكنه سرعان ما عاد يقول لى:

- الحكاية بسيطة.. أنا عاوز الملك بتاعكم يساعدنى.. حاديكم الكتاب اللى فيه التوقيعات ومفاتيح الخزائن، ويمكن أن تحضروا الفلوس فى الحقيبة الدبلوماسية لسفارتكم فى واشنطن.. وأنا على استعداد لأن أدفع للملك عمولة كبيرة مقابل ذلك..

صدقت الرجل، دون أن يتبادر إلى خاطرى أنه نصاب عالمى..

كان يبدو كرجل جنتلمان، وكان جرسونات حمام السباحة يشيرون إليه على أنه مليونير كبير..

* * *

أخذت أستدرج الرجل فى الحديث.. ولم أتصور فى تلك اللحظة، أنه كان هو الآخر يعمل على إستدراجى حتى يثير إهتمامى بالموضوع، وحتى يدفعنى لتقديمه إلى فاروق..

وكانت مفاجأة عندما عرفت منه أنه أمى يجهل القراءة أو الكتابة..

قلت له: كيف إذن يمكنك أن تكتب توقيعاتك التى تعترف بها البنوك؟

ولم ينتظر الرجل، وبادر بإخراج كتاب صغير من جيبه، ثم أخذ يلوح به أمام وجهى... وهو يقول لى:

- فى هذا الكتاب خمسون توقيعا.. و أى خبير فى العالم لا يعرف كيف يقوم بتزويرها..

ثم ابتسم وهو يقول لى:

- لقد اخترت طريقة كتابتها بنفسى، بحيث أقوم برسمها بيدي.. وأعتقد أنه فى استطاعتي وحدي أن أعيد رسمها من جديد فى أى وقت !

كان رجلا غريبا.. وعرفت منه أنه يتكلم تسع لغات أجنبية بطلاقة..

ولم يكن أمامى.. وإزاء قوة اقتناعي بحديثه إلا أن أقدمه، إلى الملك..

وتصوروا كيف انبسطت أسارير فاروق، وهو يتكلم مع هذا النصاب العالمي، فقد كان يبدو سعيدا لأنه التقى به..

* * *

وتكلم الرجل مع الملك بصراحة.. قال له.. إنه حاول أكثر من مرة أن يفتش عن رأسماليين وهيئات تعاونه فى استرداد ثروته..

وعرض على الملك أن يدفع له ٥٠ فى المائة من ملايين الجنيهات التى قال أنها مودعه باسمه فى خزائن بنوك أمريكا..

ولمعت عينا فاروق وهو يسمع عن هذه الملايين..

وفجأة ألتفت ناحيتى، ثم قال باللغة العربية:

- دى حكاية لازم يكون لنا فيها نصيب.. مش كده برضه ياسى مصطفى؟..

قلت له: طبعا.. ياMolاى..

ولم يكن فى وسعى أن أقول له شيئا غير ذلك !

عملية نصب على الفاتيكان:

كان لهذا الرجل قدرة عجيبة على إقناع أى إنسان يستمع إليه، مهما كان هذا الإنسان على جانب كبير من الذكاء..

ومما عرفناه فيما بعد.. أن الرجل كانت له طريقته فى النصب على جماعات الرأسماليين، فقد كان يتصل بمجموعة منهم، ثم يضع لهم الخطط والمشروعات لمساعدته فى استرداد ثروته المزعومة..

وكانت هذه الجماعات لا تتردد فى أن تدفع إليه مبالغ ضخمة تحت الحساب..

وكانت عادته أن يختفي كلما تكشفت لعبته قبل أن يلجأ إلى جماعات أخرى..

وكان يشترط على الجماعات الجديدة أن تسدد ديونه، والمبالغ التى سحبها من جماعات الرأسماليين التى سبق أن تعامل معها..

وعندما التقى الرجل بفاروق، قال له بصراحة.. إنه كان قد لجأ إلى بعض الرأسماليين من رجال الفاتيكان، وأنه قد حصل منهم على مبالغ مختلفة تحت الحساب..

وحاول الملك أن يقول شيئا، ولكن الرجل كان أسرع منه، عندما قال للملك:

- أنا لن أدخل مع جلالتكم فى تفاصيل أى إتفاق، إلا إذا وافق جلالتكم على تسديد ديوني لهؤلاء الناس.. أى لرجال الفاتيكان.

وأراد الرجل أن يزيد من اقتناع الملك به، فأخرج من جيبه عدة صور أطلع الملك عليها.. وكانت لبعض رجال الفاتيكان

المشهورين، وهم يزورونه عندما كان مريضا فى إحدى مستشفيات إيطاليا. !

كان الرجل يتكلم بأسلوب يثير الإقناع..

ولمعت عينا فاروق ببريق عجيب، وقد شرد بتفكيره، متصورا أن فى وسعه أن يضع يده على ملايين هذا الرجل..

وكان الرجل كما سبق أن قلت من الذكاء بحيث استطاع أن يدرك بسرعة، أنه قد أصاب هدفه مع فاروق..

ولم ينتظر الرجل وأسرع يقول لفاروق:

- البابا عرف بالموضوع.. كما أن بنوك الفاتيكان أبدت اهتماما كبيرا به..

وتكلم فاروق ليوجه للرجل عدة أسئلة سريعة، ولكن الرجل قاطعه، وهو يقول:

- يمكنك يا صاحب الجلالة أن تتأكد من كلامي، إذا سألت فلانا.. وفلانا.. ثم أخذ النصاب العالمي يعدد لفاروق أسماء كثيرة لبعض الكردينالات المعروفين من زعماء الدين فى الفاتيكان..

ولكن فاروق كان قد اقتنع تماما وبالتالي لم يكن فى حاجة لأن يسأل أى إنسان ليتأكد من صحة رواية الرجل..

وأراد النصاب العالمي أن يزيد من اقتناع الملك، فسلم إليه الكتاب الذى قال إنه يحتوى على توقيعاته فى البنوك، وهو يقول له:

- إن كل التوقيعات مكتوبة بحبر سرى بحيث يظهر التوقيع واضحا عندما تقرب صفحات الكتاب من النار..

وانبسطت أسارير الملك، وهو يضع الكتاب على الطاولة التى كانت إلى جواره..

وكان تصوره أن كل ملايين الرجل قد أصبحت بين يديه، واتفق الملك مع الرجل على أن يتصل به بعد أن يعود إلى القاهرة..

كان يريد أن يقوم ببعض التحريات لحسابه الخاص حتى يطمئن تماما إلى أن الرجل صادق فى قصته وقبل أن يدخل معه فى تفصيلات أخرى، ولم يمانع الرجل، وهو يقول للملك:

- أنا وثقت فيك.. وسلمتك الكتاب... إنه كل رأسمالي. !!

ووضع الملك الكتاب فى جيبه، وقد ظل هذا الكتاب لا يفارقه..

وكان الملك يحمله معه إلى أى مكان يذهب إليه..

* * *

وأذكر بعد عودتنا إلى القاهرة بعدة أسابيع، أن تلقى فاروق برقيه من الرجل يقول له فيها.. إنه مريض فى باريس وأنه فى أشد الحاجة إلى مبلغ عشرة آلاف جنيه تحت الحساب..

واستدعاني الملك ثم طلب إليّ أن أطير فورا إلى باريس..

قال لى: روح شوف أيه الحكاية.. وإن كان عيان وإلا لأ..

وكلفني فى نفس الوقت أن أقوم بتحريات حول قصة هذه الملايين..

وسافرت إلى باريس لأتوجه وبصحبتي فريد الكسان إلى فرع (تشيس بنك أوف أمريكا).. حيث استفسرنا عما إذا كانت البنوك الأمريكية تقبل تأجير خزائنها بالطريقة التى أدعاها هذا الرجل..

وقال أحد المسئولين فى البنك:

- وأيه اللى يمنع.. يمكنك أن تؤجر الخزائة.. ثم تأخذ المفتاح معك وتذهب.. وأحيانا يمكنك أن تكتفي برقم سرى تحتفظ به لديك..

وكان هذا يعنى أن العملية ممكنة..

وأسرعت أبرق إلى الملك فى القاهرة بما سمعته من المسئولين فى البنك الأمريكي!

* * *

واتصلنا بالرجل فى المستشفى الذى كان يقيم به تليفونيا..

قلنا له.. أن الملك طلب إلينا زيارته للاستفسار عن صحته..

وكانت مفاجأة عندما قال لنا الرجل.. أنه سيحضر بنفسه إلينا فى الفندق..

وجاء الرجل. وكان يعتمد بذراعه على ممرضه حسناء إصطحبها معه من المستشفى..

كان مريضا حقا، وكان يتدلى من مكان عملية جراحية فى بطنه، الخرطوم الذى وضعه الطبيب فى مكان العملية..

وقال لنا الرجل.. إن مكان العلمية لم يلتئم بعد، ولكنه استطاع أن يقنع الطبيب أن يسمح له بالخروج من المستشفى لمدة ساعة واحدة، قائلا للطبيب..

أن الموضوع حيوي للغاية بالنسبة له..

ووافق الطبيب، ولكن بعد أن أشترط أن تذهب الممرضة معه..

ولا أخفى إننى قد تأثرت كثيرا لمنظر الرجل، حتى أننى أبرقت إلى الملك أقول له:

- الحكاية مضبوطة ألف فى المائة.. !

* * *

أعود مرة أخرى إلى قصة ناريمان مع فاروق فى شهر العسل..

إن الخناقات والمشاحنات لم تتوقف بين الإثنين، ولكن فاروق كان كثيرا ما يحاول أن يكون لطيفا مع ناريمان..

وحدث عندما وصلنا إلى (فيلا دستى) أنه قد طلب إليها أن ترقص معه على نغمات موسيقى التانجو..

كانت مفاجأة لم تتوقعها، فقد كانت أول مرة يطلب الملك فيها إلى عروسه أن ترقص معه..

وأخذ فاروق يرقص مع ناريمان وكان يبدو وهو يتحرك إلى جوارها كعسكري من الخشب..

كان يرقص بوقار حتى لا تضيع هيبته أمام رجال حاشيته..

ورفض الملك أن يسمح لناريمان أن ترقص بعدها مع أى واحد منهم كما رفض أن يسمح لها أن ترقص معى أنا أيضا..

ولما قلت له: إننى عمها..

قال لى بغضب: ولو .. ياسى مصطفى !

* * *



عادت ناريمان إلى القاهرة لتعيش حياة عادية وكان قرارها في بادئ الأمر ألا تتزوج مرة أخرى بعد أن يتم طلاقها من فاروق.. والصورة لناريمان صاحبة الجلالة سابقا مع عمها مصطفى صادق الذي كان في استقبالها عند وصولها إلى مطار القاهرة من روما.

الفصل التاسع

عندما طلبت ناريمان الطلاق من فاروق في شهر العسل .. !

استغرقت رحلة شهر العسل أربعة أشهر كاملة، وظهرت علامات الحمل على ناريمان عندما وصلنا إلى مدينة كان..

وكان فاروق سعيدا لأن ناريمان قد حملت منه بسرعة.

كان يريدها أن تنجب له ولدا، فأخذ يضحك معها وهو يقول لي:

- لو جبت بنت حاخرب بيتك..

وبقيت أنا إلى جانب ناريمان.. كنت أرافقها في جميع تنقلاتها..

وكنت أظل معها في كل ليلة حتى تنام، وبعدها كنت أذهب لأرافق الملك في سهراته، حيث كان يقضي غالبية لياليه في لعب القمار..

ونادرا ما كان الملك يعود إلى الفندق قبل الفجر..

ولم يكن الملك يسمح لناريمان بأن تذهب معه إلى الكازينو لتشاهده وهو يقامر كان لا يريدها أن تراه وهو يخسر..

ولكنه في نفس الوقت كان يسمح لها بالخروج معي لنذهب إلى المسارح الليلية.. وكان في كل مرة يقول لي: لازم ترجعها إلى الفندق قبل منتصف الليل..

وأذكر أنني اصطحبت ناريمان مرة إلى مسرح الكازينو..

وأعجبت ناريمان بصوت مغن إيطالي كان يقدم استعراضا غنائيا أمام الميكروفون وكان أن أخذت تنصت إليه بكل حواسها، وهى تقول لى بين الآونة والأخرى:

- ده صوته جميل خالص يا أونكل..

وفجأة نشبت مشادة كلامية بين رجل وسيدة، كانا يجلسان على مائدة بجوارنا.. واحتدمت المناقشات بين الاثنين، وكانت خناقة ملأت المكان حولنا، وتضايق المغنى، أو هكذا تظاهر، فكف عن الغناء، ثم التفت ناحية الرجل وهو يقول له:

من فضلك أسكت حتى أتمكن من مواصلة الغناء.

وترك الرجل السيدة، وانقلب يسب المغنى، وهو يصيح فى وجهه:

أنت بتغني أيه.. ؟ بلاش كلام فارغ.. أنا باغنى أحسن منك..

وبدأت مشاحنة جديدة ولكن فى هذه المرة بين الرجل والمغنى.. أنا باغنى أحسن منك... لا.. أنا اللى باغنى...

وأخيرا سحب المغنى الميكروفون من فوق المسرح، وقام بوضعه أمام الرجل، وهو يقول له:

طيب ياسيدى.. غنى علشان الناس تسمع صوتك..

وكانت مفاجأة عندما تبين أن الخناقة كلها كانت مفتعلة، وإنها كانت جزءا من البرنامج، وأن الرجل والسيدة أصلا أعضاء فى فرقة المغنيين التى تعمل على المسرح.

فاروق يشرب المقلب:

أخذت ناريمان تضحك وتقهقه.. وفجأة لمعت عيناها ببريق عجيب، وهى تقول لى:

- لازم أجيب فاروق بكره يشوف البرنامج ده، ويشرب المقلب زى ما شربناه واتفقنا على ألا تقول ناريمان له شيئا عن تمثيلية الخناقة بين الرجل والسيدة..

كانت ناريمان تريد أن تداعبه..

ولا أعرف كيف استطاعت فى اليوم التالى أن تقنع فاروق بأن يذهب معها إلى المسرح..

وذهبت معها باعتباري مرافقا للملكة فى تنقلاتها أثناء رحلة شهر العسل..

كما ذهب معنا جماعة من رجال وسيدات الحاشية..

وانتظرنا حتى جاء المغنى على المسرح ثم أخذ يغنى.. وأعجب به فاروق حتى أنه وصفه قائلا:

- ده أحسن مغنى سمعته فى حياتى..

وفجأة نشبت الخناقة المصطنعة بين نفس الرجل والسيدة ولم يكن فاروق قد أتم حديثه عن رأيه فى المغنى..

ولا تتصوروا كيف تضايق فاروق بحيث أخذ يتطلع إليها بنرفزة وتبرم، وظل يسب ويلعن، ثم استدعى الجرسون، وطلب إليه أن يتدخل حتى ينهى الخناقة..

وتكشفت الحقيقة عندما تدخل المغنى ليتحدى الرجل ممسكا بالميكروفون وهو يطلب إليه أن يغنى فى مكانه..

وعرف فاروق أن الخناقة كلها كانت مجرد تمثيلية متفق عليها بين المغنى والرجل، فأخذ يضحك ويقهقه بطريقته المعروفة.

وانفجرت ناريمان تضحك بطريقة هيسترية، فقد كانت سعيده لأن فاروق شرب المقلب..

وأدرك الملك أنها قد ضحكت عليه فثار فى وجهها، وهو يقول لها:

- أنت فكراني مغفل علشان تضحكي على.. أن لازم أوريكى شغلك..

وكانت أول مرة يهين فيها فاروق ناريمان أمام رجال وسيدات الحاشية..

* * *

تركنا فاروق ثم ذهب يستأنف سهرته فى لعب القمار.. كان يقامر بجنون فى كل ليلة، ولم يكن يكسب أبدا..

وتضاعفت خسائره حتى أنها لم تكن تقل فى السهرة الواحدة عن الألفين أو الثلاثة آلاف جنيه..

ولم يكن فاروق يباللي بكل هذه الخسائر، وبكل هذه الألوف من الجنيهات التى كان يفقدها فى كل ليلة على موائد القمار..

كان يقول أنها لا تخرج عن كونها طعم يرميه فوق مائدة القمار حتى يكسب وكثيرا ما كان يقول لنا:

- أنا عارف إنى مولود فى ساعة نحس، ولكن لازم حظي حييجى، وأعوض كل الخسائر بتاعتى..

كما كان يقول.. أنه يقامر على (النحس) حتى يجلب الحظ لنفسه..

ولكن النحس ظل يلازمه، ولم يواته الحظ أبدا..

وكسب فاروق مرة ما يقرب من العشرة آلاف جنيه..

كسبها فى أقل من عشر دقائق فى أول السهرة.. وكان أن تصور أن النحس قد فارقه.. فأخذ يقهقه.. ويضحك..

وانبسطت أساريره، ثم التفت ناحيتى وكنت أقف إلى جواره، ليقول لى:

- شايف الحظ لما بيجى.. أنا لازم أفلس البنك..

قلت له: الأحسن نأخذ المكسب ونمشى..

وأبدى فاروق تبرما بنصيحتي، وكان أن التفت ناحيتى وهو يقول :

- أنا أمشى.. مستحيل.. أنت مجنون.. أنا لازم أفلس البنك..

وطارت العشرة آلاف جنيه، كما طارت معها ثلاثة آلاف جنيه أخرى فى نفس الليلة..

* * *

إن فاروق ظل يخسر فى لعب القمار، وهو لم يكسب أبدا.

وفى تقديري أن خسائره فى القمار أثناء رحلة شهر العسل وحدها لم تقل عن المائتى ألف جنيه..

ولم يكن فاروق وحده الذى خسر كل هذه المبالغ الطائلة أثناء رحلة شهر العسل.. فقد تورط يوسف رشاد هو الآخر نتيجة لاندفاعه فى لعب القمار وراء الملك..

كان قد حاول أن يجرب حظه، وكان أن خسر فى إحدى الليالي أكثر من ألفى جنيه..

وكما سبق أن قلت كان يوسف رشاد مفلسا عندما سافر مع الملك فى رحلة شهر العسل، فلم يستطع أن يسدد خسارته لإدارة كازينو القمار..

وذهب يوسف رشاد إلى الملك وطلب إليه أن (يغطيه).. وبمعنى آخر أن يدفع خسائره نيابة عنه..

وذهب ناهد رشاد هى الأخرى إلى الملك تطلب إليه أن ينقذ زوجها من الورطة التى تردى فيها..

قالت للملك: أدفعها عنه حتى يعود إلى مصر..

ولكن الملك كان يجد لذة فى تعذيب الناس مهما كانوا مقربين إليه..

وكان أن رفض أن يستجيب لرجاء ناهد رشاد، وهو يقول لها:

- لما هو مش قد اللعب.. بيلعب ليه.. ؟

ولم يكن أمام يوسف رشاد إلا أن يطلب إلى إدارة الكازينو اعتبار المبلغ دين قمار، ووعد المسئولين فى الكازينو بشرفه.. أنه سيقوم بتسديد هذا الدين فى أول فرصة بعد أن يعود إلى مصر..

ولكن يوسف رشاد عاد إلى مصر بعد رحلة شهر العسل، ولم يسدد هذا الدين..

ومرت عدة أشهر دون أن يفي بالوعد الذى قطعه على نفسه أمام المسئولين فى إدارة الكازينو..

وكما جرت العادة اضطرت إدارة الكازينو لأن تدرج إسمه فى القوائم السوداء للممنوعين من المقامرة فى الكازينو مرة أخرى..

وكما جرت العادة أيضا علقوا صورته أمام باب الكازينو، حتى يمنعه حراس الأمن من الدخول إلى صالات المقامرة.

وكتبت إدارة الكازينو تحت الصورة إسمه وجنسيته.. وكذلك مهنته كطبيب فاروق الخاص..

وبقيت هذه الصورة فى مكانها حتى اليوم الذى ولد فيه أحمد فؤاد ابن ناريمان من فاروق، فقد أراد الملك فى ذلك اليوم أن يكافئ يوسف رشاد فقرر أن يدفع نيابة عنه دين القمار المستحق عليه..

قال له: هديتي لك.. هى أننى سأغطيك وأدفع دينك للكازينو..

واكتفى فاروق بهذه الهدية فلم يمنح يوسف رشاد رتبة الباشوية كما فعل مع بقية الأطباء الذين أشرفوا على ولادة أحمد فؤاد..

* * *

أعود مرة أخرى إلى ناريمان وفاروق فى شهر العسل..

كانت الخناقات بينهما مستمرة ولا تنتهى أبدا..

وحدث أن سمعت ناريمان من السيدة أده كحيل أن الملك سهران مع فتاة جميلة فى الكازينو..

وكان أن أنتابتها ثورة نفسية عنيفة بحيث أخذت فى تحطيم كل ما كان فى حجرتها بطريقة هيسترية..

ولم تنم ناريمان فى تلك الليلة، وظلت ساهرة وهى تبكى بحرقة حتى عاد الملك من الكازينو عند الفجر..

وحاول الملك أن يهدئ من روعها، ولكنها ثارت فى وجهه وهى تقول له:

- أنا لازم أتطلق.. مش عايزه أعيش معاك..

وأراد فاروق أن يعرف منها سبب هذه الثورة ولكنها لم تقل له شيئا، واكتفت بأن صرخت فى وجه وهى تقول له:

- أنت مش عارف.. أنا عملت لك أيه علشان تخوني.. ؟

وطبعا لم يفهم الملك شيئا لأنه كان يخونها، فى كل يوم وفى كل ليلة من ليالي شهر العسل..

وكان أمرا عاديا أن يخونها، وهى زوجته، كلما التقي بفتاة جميلة..

وكان آخر ما يمكن أن يتصوره أن تكون علاقاته مع النساء الأخريات فى شهر العسل سببا فى ثورة زوجته الملكة..

* * *

أمسك الملك سماعة التليفون ثم اتصل بى فى حجرتى ليقول لى:

- مصطفى.. تعالى بسرعة..

وكنت فى تلك اللحظة أتأهب لخلع ملابسى حتى أنام بعد أن عدت إلى الفندق برفقة الملك..

وهرولت إلى جناح الملك والملكة فى الفندق..

وهناك رأيت ناريمان وقد إرتمت على طرف فراشها وهى تكاد أن تتشنج من البكاء.. وكانت ما تزال تقول للملك:

- عاوزه أتطلق دلوقتى..

كان يقف إلى جوارها وهو فى أشد حالات الارتباك ولم يكن يعرف ما يمكن أن يفعله.

ورآني الملك ليقول لى، وكان يبدو كمن يريد أن يستنجد بى:

تعال شوف المجنونة بنت أخيك بتقول أيه؟

قلت لها: يا ناريمان اعقلي.. وبلاش فضائح!

ثم أخذت أهدئ من روعها، وأنا أحاول أن أعرف منها سبب ثورتها..

قال لى وكانت لا تزال تبكى:

- إزاى يا أونكل يروح يسهر مع النسوان، ويسبني لوحدى..

واضطررت أن أقسم لها بشرفي أن كل ما سمعته كلام فارغ..

كنت أريد أن أطيب خاطرها، وكان أن صدقتني..

وقد اضطررت لأن أكذب عليها فى تلك الليلة حتى أنهى الأزمة بينها وبين فاروق.. !

ملك فى بلاد الشيوعيين:

كان فاروق ملكا غريبا شاذا، وكانت له تصرفات تكشف عن الكثير من مركبات النقص التى كان يعانى منها، وقد استطعت أثناء رحلة شهر العسل أن أعرف فاروق على حقيقته من متابعة تصرفاته.

حدث مثلا أثناء الرحلة التى قمنا بها لنطوف فى أرجاء أوروبا بقافلة من السيارات، أن وصلنا إلى إحدى المدن التى عرفت بانتشار الشيوعية فيها..

وأثارت بعض تصرفات فاروق انتباهي، فقد أخذ يكشر وينتفخ، كما انتابته نوبة من مظاهر العنجهية والعظمة الكذابة، وهو يقول لنا:

- اسمعوا البلد دى شيوعية.. ولازم أعمل فيها ملك مظبوط..

وعلى العكس فى البلاد الأخرى غير الشيوعية كان ينسى نفسه، كما كان يتساهل فى معاملته للناس بل إنه كثيرا ما كان ينسى أنه هو نفسه ملك..

وكان فاروق يجد السعادة فى أن يقوم بتصرفات لا يريد من ورائها إلا أن يشعر من حوله بأن ثقافته واسعة، وأنه كما يقول المثل البلدي: يفهم فى كل شئ..

كانت عقدته النفسية.. أنه يعرف أن ثقافته محدودة.. كما كان يعرف أنه لم يكمل دراسته..

وتبلورت هذه الحقيقة فى نفسه ثم ترسبت فى شخصيته حتى أصبحت واحدة من أخطر مركبات النقص التى كان يعانيها فى حياته..

وأذكر ما حدث عندما كان الملك يتناول إفطاره فى فندق (فيلا روستى) وهو واحد من أكبر الفنادق العالمية التى عرفت بخدمتها الممتازة..

إنه فندق مشهور.. وغالبية نزلائه من أصحاب الملايين..

وأمام كل النزلاء إستدعى الملك الجرسون، ثم أمسك بوعاء اللبن وهو يصيح فى وجهه قائلا:

- أنا عاوز لبن طازج.. اللبن ده بقى له يومين.

واهتزت إدارة الفندق لملاحظة الملك، فقد كانت أول مره توجه إليها مثل هذه الملاحظة..

وكان فاروق يريد من ورائها أن يعرف كل نزلاء الفندق أنه يفهم كل شئ حتى اللبن الحليب..

معارك بالشلاليت مع الصحفيين:

وشئ آخر.. أخذ فاروق يعانى كثيرا أثناء رحلة شهر العسل بسبب ملاحقة الصحفيين له و لناريمان.. وهاجمته بعض الصحف بسبب تصرفاته الشاذة، وبسبب إدمانه على المقامرة، والجري وراء السيدات الجميلات فى المواخير والحانات بعد منتصف الليل..

وكانت تعليمات الملك بأن نكون على استعداد لأن ندخل فى معارك بالبوكس والشلاليت فى أى وقت مع الصحفيين الذين كانوا يلاحقونه فى كل تنقلاته..

وكان يكره الصحفيين بسبب ما كانوا يكتبونه عنه..

ولكن واحد من هؤلاء الصحفيين إستطاع أن يثير إعجاب فاروق.. إننى لا أذكر أسم هذا الصحفى بالضبط، وكل ما أذكره هو أن كتب عن فاروق أغرب مقال يمكن أن يكتب عن ملك فى العالم..

قال عن فاروق أنه جاء إلى إيطاليا ليعلم الشعب الإيطالي النظافة..

وهذا المقال له قصة طريفة وقعت فى حمام السباحة الذى أشتهر باسم (أيدان روك) فى مدينة كان..

كان الجو باردا.. وخشى الملك أن يكون ماء الحمام باردا هو الآخر، وكان أن أقترح علينا أن نأخذ (دوش) قبل أن ننزل إلى الماء..

وعملنا جميعا بنصيحة الملك:

ويبدو أن هذا الصحفى كان جالسا بجوار حوض السباحة، وقد رأى بعينيه الملك وهو يأخذ الدوش قبل أن ينزل إلى ماء الحمام..

وفى اليوم التالى خرج علينا الصحفى بمقاله الذى قال فيه: أن فاروق قد جاء إلى إيطاليا ليعلم الشعب الإيطالي النظافة..

وضحك الملك وهو يقرأ هذا المقال ثم التفت ناحيتى وهو يقول:

- الحمد لله.. جت سليمة.. بس المغفل ده كان لازم يفهم إن المية كانت باردة..

* * *

وفى مدينة كان ظهرت علامات الحمل على ناريمان، فانبسطت أسارير فاروق وأخذ يبدى اهتماما بالغا بها.. وكان أن أخذ يهتم بطعامها، وبالفيتامينات التى أمر الأطباء أن تتناولها أثناء فترة الحمل..

وتغيرت طريقة معاملته لناريمان فلم يعد يوجه إليها الإهانات أمام الخدم ورجال الحاشية..

وأثار انتباهي أنه لم يكن يراها تقدم عليه حتى كان يهب من مكانه ليستقبلها وكان يسندها بنفسه ليساعدها على الجلوس على أحد المقاعد..

وكان يضع لها الوسادات خلف ظهرها عندما تستلقي لتستريح فى فراش النوم..

وكان يبدو فى تصرفاته الجديدة معها كمن يريد أن يحافظ على الجنين الذى تحمله فى أحشائها بأى ثمن..

وتوقعت أن تنتهى متاعب ناريمان مع فاروق، ولكن فاروق كان رجلا شاذا، بحيث لم تمر عدة أيام بدأت الخناقات تدب من جديد بينه وبين ناريمان.

وهكذا لم تستمر معاملته الطيبة لها أكثر من أسبوع واحد..

* * *

ولن أنسى فى حياتى ما حدث من فاروق فى مدينة فينسيا..

وكان عبد العزيز بدر سفير مصر وقتئذ فى روما، قد أنتهز فرصة زيارة الملك وعروسه للمدينة فأقام حفل تكريم للملك فى فندق (بادن أوتيل) .. وهو من أفخم فنادق المدينة..

وكان السفير قد وجه الدعوة إلى عدد كبير من رجال السلك السياسي وكبار الشخصيات الإيطالية لحضور هذا الحفل..

ووقف الجميع أمام مدخل الفندق ينتظرون الملك، ولكن الملك جاء من ناحية المدخل الخلفى للفندق..

وهرج السفير.. ومعه كبار المستقبلين لتحية الملك..

وكانت مفاجأة عندما إنفجر الملك فى السفير يشتمه أمام الضيوف، وهو يقول له:

أنت سفير مش عارف شغلك.. وأنتم كده لما تطلعوا بره بتنسوا أنفسكم..

وحاول السفير أن يقول للملك أن أحدا لم يكن يتصور أنه سيصل من الباب الخلفى للفندق..

ولكن الملك قاطعه قائلا:

- أنت سفير مش نافع. كان لازم تسأل أنا جاى منين..

وتدخلنا حتى هدأنا من روع الملك..

وقبل العشاء أخذت إحدى فرق الموسيقى تعزف بعض المقطوعات الموسيقية الجميلة فى جندول كان يتحرك ببطء فى بركة حول موائد العشاء..

وكان السفير قد أستأجر هذا الجندول خصيصا حتى يجعل جو الحفلة

(رومانتيكيا) وليدخل البهجة والسرور فى نفس الملك وعروسه بمناسبة شهر العسل..

ولكن الملك جلس فى مكانه وقد وضع يده فوق جبهته..

وكان يبدو فى أشد حالات القلق والانزعاج، فلم يأكل..

وانتظر المدعون أن يمد الملك يده إلى الطعام حتى يشاركوه فى الأكل، ولكنه لم يفعل، وظل فى مكانه صامتا لا يتحرك.. وتصور بعضهم أنه يعانى من أزمة نفسية حادة..

واضطر السفير لأن يهمس فى أذن مدير الفندق حتى يكف الموسيقيون عن العزف..

وعم الصمت فى المكان كله.. وفجأة إلتفت الملك ناحية أنطونى بوللى، وهو يقول له:

يالا يا بوللى نقوم..

وغادر الملك مكان الحفل ومن ورائه أنطونى بوللى دون أن يقول كلمة واحدة..

ذهب الملك، وترك عروسه وراءه على المائدة الرئيسية التى كانت تجلس عليها إلى جواره ..

إنه لم يأخذها معه.. وتلفتت ناريمان ناحيتى وهى فى أشد حالات الحرج..

ولم يكن أمامى إلا أن أذهب إليها ثم قمت بإصطحابها إلى الفندق..

وفى الطريق قالت لى ناريمان والدموع تملأ عينيها:

- شفت إزاى يا أونكل بيعاملنى.. ده خلاني لا أشعر بأني آدمية.. وهو نازل جرح فى شعوري فى كل يوم.. ومن الغريب إنه عاوزنى أعيش بجواره كملكة..

قلت لها: زى بعضه إتحملى يا ناريمان..

وأخذت كعادتى أهدئ من روعها حتى كفت عن البكاء..

تقارير من مصر:

ولكن فجأة قرر الملك أن يقطع أجازه شهر العسل.. وأن يعود إلى القاهرة..

وعرفت السبب، فقد وصلت إليه عدة تقارير من القاهرة..

وكان أحد هذه التقارير ـ على ما أذكره ـ من المرحوم إدجار جلاد صاحب جريدة ((الجورنال دى أيجيب)) .. وكان معروفا عنه صلته بالقصر الملكى..

وقال إدجار فى تقريره.. إن مصطفى النحاس يعتزم إلغاء المعاهدة..

وأن من رأيه.. أن يبادر الملك بمباركة هذه الخطوة حتى يتسنى له أن يسحب السجادة من تحت قدمى النحاس..

وقال له: إن مثل هذه الخطوة يمكن أن تكسبه - أى الملك - شعبية تفوق الوصف..

وكان هذا يكفى لأن يقتنع الملك، فقد فوجئت به يلتفت ناحيتى ثم يقول لى:

- حكاية إلغاء المعاهدة.. الظاهر مظبوطه.. فين المراسيم علشان أمضيها..

وأدركت أنه لن يتردد لحظة واحدة فى التوقيع على مراسيم إلغاء المعاهدة..

وكان اعتقاد الملك.. أنه بموافقته على إلغاء المعاهدة يمكن أن يصبح بطلا شعبيا، وأن جماهير الشعب ستخرج لاستقباله عند عودته إلى القاهرة بالطبل والمزامير..

وكان أن قرر قطع إجازة شهر العسل، والعودة إلى مصر..

* * *

وعاد فاروق إلى القاهرة..

وكانت المفاجأة.. عندما وجد فى انتظاره استقبالا فاترا، وليس كما كان يشتهى أو يتمنى..

وفى يوم وصولنا إلى القاهرة إصطحبني فاروق معه فى جولة بسيارته..

كان يسير بسرعة جنونية وهو يضرب الكلاكس بصورة لافتة للأنظار وهو يقول لى..

- أنا عاوز الناس تفتكرنا.. أحسن زمانهم نسيونا..



الفصل العاشر

قالوا لفاروق : ولد ..
فأبعد الأطباء ومديده ليخرج ابنه إلى النور !

أخذت الحوادث تجرى بسرعة بعد عودتنا إلى القاهرة.

وانتقل الملك من قصر القبة إلى قصر عابدين.. حتى يتسنى لناريمان أن تلد فى مقره الرسمى.

وكان يقول لنا: أنا أتولدت فى قصر عابدين.. ولازم إبني يتولد هو أيضا فى عابدين.

وتنفيذا لتعليمات الملك أعددت بسرعة داخل القصر حجرة عمليات كاملة للولادة تكلفت أكثر من ١٥ ألف جنيه فى تلك الأيام.

وزودت هذه الحجرة بكل معدات البنج والتعقيم، وبكل الأدوات الجراحية التى يمكن أن يحتاج إليها الأطباء أثناء عملية الولادة.

وقام القصر فى نفس الوقت باستدعاء ممرضتين من ألمانيا الغربية لتشرفا على المولود بعد ولادته.

وكان أسم إحداهما مس آن رشرسيد، واسم الثانية مس جانيت دى مبيو. وظل الملك ينتظر فى قصر عابدين، وهو فى أشد حالات القلق والانزعاج..

كان يريد من ناريمان أن تلد له ولدا بفارغ الصبر.

ولا أظن أنه قد تبادر إلى خاطره فى أى لحظة احتمال أن يكون المولود المنتظر بنتا.

كان تفكيره غريبا وشاذا، وقد تزايد يقيني بأن كل الترتيبات التى أعدها الملك لم تكن من أجل راحة ناريمان بقدر ما كانت للاطمئنان على سلامة المولود الجديد.

ولا أعرف من أين عرف الملك أن أصيلة هانم قد لاقت عسر ولادة كاد أن يودى بحياتها أثناء ولادتها لناريمان، وأنها قد بقيت مريضة فى فراشها لمدة تزيد على التسعة أشهر بعد أن أتمت عملية الولادة، فقد أخذ يروى ذلك لكل من يقابله، وهو يقول:

- أنا خايف ناريمان تعملها زى أمها.

كان فى أشد حالات القلق بحيث كان يقول لناريمان دائما:

- إذا جبتي بنت تبقى مصيبة.. أوعى تعمليها أحسن أخرب بيتك..

وكانت ناريمان تسمع ذلك من فاروق، فلا ترد عليه.

كانت تنسحب من أمامه ثم تذهب إلى حجرتها وتبكى.

ولم يكن يهم فاروق أن تتحطم أعصاب زوجته الملكة فى أشهر حملها الأخيرة..

* * *

وأذكر أننى دخلت مرة على الملك فوجدته يعد أمامه كشفا يحتوى على أسماء غالبية أفراد أسرة ناريمان.

وأخذ الملك يراجع هذه الأسماء ثم أشار لى لكى أقترب منه.. وهو يقول لى:

- تعالى شوف ياسيدى الحكاية ديه.. ديه حاجة تجنن صحيح..

وكان طبيعيا أن أتوجس خيفة عندما اقتربت منه، ولذلك بادرت أقول له:

- خير إن شاء الله.. حصل إيه؟

قال الملك: خير إيه وبتاع إيه.. شوف ياسيدى أبو ناريمان جاب بنت.. وأخوك محمد راخر مخلفش إلا بنت.. وأنت كمان جايب ولد.. وبقية خلفتك بنات.

أدركت ما كان يخامر فكر الملك، فقد تصور أن عائلتنا لا تنجب إلا البنات وكان أن بادرته بقولى:

- ولكن دى مسألة قسمة ونصيب.. وكل اللى يجيبه ربنا كويس.

قل الملك: والله أنا خايف تكون الحكاية وراثية؟

قلت له: ربنا يطمنك ويجيب لك ولد.

قال الملك: هو بس كده.. أنا كمان ياسى مصطفى.. أديك زى مانت شايف كل خلفتى بنات فى بنات.

وابتسمت، وأنا أدير وجهى إلى الناحية الأخرى، حتى لا يلمح الملك ابتسامتي ولم أقل شيئا.

* * *

أنتابت الملك ثورة نفسية جامحة عندما تذكر أن كل خلفته بنات فى بنات .

قال لى: الحكاية واضحة زى الشمس.. وناريمان مش حاتجيب إلا بنت.

قلت له: بإذن الله ربنا يطمنك.. وتجيب ولد.

واستطردت أقول له حتى أهدئ الثورة التى أنتابته فجأة:

- عموما دى حكاية بتاعة ربنا.

ولكن فاروق لم يهدأ وكان أن أخذ يلوح فى وجهى قائلا:

- تعرف لو عملتها ناريمان وجابت بنت أعمل فيها أيه؟

سكت ولم أقل شيئا، وأنا أحاول أن أنتقل بالحديث إلى أى موضوع آخر:

ولكن الملك استطرد يقول:

- حاولع فيكم كلكم نار.

هكذا بقيت حكاية الولد أو البنت عالقة بذهن الملك.

كانت تشغل كل تفكيره، وخاصة فى أيام الحمل الأخيرة.

كان يريد ولدا بأى ثمن.

وكانت ناريمان تعرف ما يدور فى خاطر الملك، ولذلك بقيت ساكتة، ولا تقول له شيئا.

وكانت كلما رأتني انخرطت فى البكاء.. وفى إحدى المرات قالت لى ناريمان:

- افرض جبت له بنت.. إيه ذنبي أنا يأونكل.. حأعمل له إيه.

وحاولت أن أطيب خاطرها، وأنا أقول لها:

- شدي حيلك أنت بس يا ناريمان.. ولنا رب.

لم يكن فى وسعى إلا أن أقول لها ذلك، وأنا فى أشد حالات التأثر لحالتها ولم أنتظر، وبادرت بالابتعاد عنها..

وأذكر إنه قد تبادر إلى ذهنى فى تلك اللحظة خاطر غريب.

قلت لنفسى: ما الذى يمكن أن يفعله الملك بنا إذا ما خيبت ناريمان أمله فى أن تنجب له الولد الذى يريده.

إن أقصى ما يستطيع أن يفعله هو أن يتزوج فتاة غيرها أو أن يطلقها. وأخذت الهواجس تنتابني عندما أخذت أتساءل:

- وماذا يمكن أن يحدث لو تعسرت الولادة أثناء عملية الوضع، وكان المولود ولد كما يريد الملك.

لقد أعد الملك حجرة عمليات كاملة، وقد قام بتزويدها بجميع أدوات الجراحة. وقلت لنفسى: لقد جرت العادة أل يضحى الأطباء فى حالة الخطر بحياة المولود لكى يبقوا على حياة الأم.

وتصورت ما قد يحدث عندما يقرر الملك أن يضحى بالأم.. من أجل المولود.. وكان هذا هو سر قلق ناريمان.

وحدث قبل أن تلد ناريمان بعشرة أيام فقط، أن وضعت زوجتى وكانت حاملا، مولود أنثى.

وتشاءم فاروق لأننى أنجبت هذه المولود الأنثى.. وقد أشتد قلقه وأنتابته حالة رعب مثيرة بحيث أنتهز أول فرصة ليقول لناريمان:

- والله حتجيبى بنت زى مرات عمك.. وده تبقى مصيبة كبيرة.

وألتفت الملك ناحيتى ثم قال لى أنا أيضا أمام ناريمان:

- جاك داهية يا سى مصطفى.. شاطر تجيب بنت دلوقتى.. كان لازم تستنى لما تولد ناريمان علشان متقلدكوش!.

البلد مقلوبة.. والملك نائم:

وجاء اليوم الذى ظل فاروق يترقبه بقلق شديد..

وكنت قد ذهبت لألحق بالملك فى نادى السيارات كعادتى فى كل يوم.

وقال لى أحدهم إنه لم يسهر فى النادي كعادته.. وأنه قد ترك النادى مبكرا لسبب لا يعرفه أحد.

وكان أن تصورت أن شيئا قد وقع لناريمان.

ولم أنتظر، وبادرت بالتوجه إلى القصر الملكى.

وصعدت رأسا إلى جناح الملكة لكى أطمئن على صحتها.

ولم يكن فاروق قد عاد إلى القصر، فبقيت أتحدث معها فى حجرة نومها ما يقرب من نصف الساعة..

وجاء الملك.. وكان يبدو فى أشد حالات القلق والانزعاج..

وعرفت منه السبب.. لقد عاد إلى مكتبه، ليجد عدة تقارير فى انتظاره..

وألقى الملك بنفسه على أحد المقاعد..، وهو يقول لى:

- البلد مقلوبة.. وإحنا نايمين.

ولم يكمل الملك كلامه، فقد قامت ناريمان من المكان الذى كانت تجلس فيه ثم اتجهت ناحية سريرها لتستلقي عليه.

كانت تريد أن تستريح.

وفجأة قبل أن تصل إلى السرير صرخت من ألم مفاجئ.

وأسرعت أنا والملك لنساعدها.

وكان الملك أسرع منى.. فحملها بين يديه ثم أرقدها فوق السرير.

والتفت فاروق ناحيتى وهو يقول لى:

- يظهر حيكون عندنا شغل كثير الليلة.

وأدركت ما كان يعنى.. إن ناريمان قد جاءها المخاض!.

* * *

وأسرع الملك إلى (سويتش) التليفون، وجلس أمامه ثم أخذ يتصل بالأطباء بنفسه.

وكان الملك قد أعد كشفا بأسماء كل الذين يجب إستدعاؤهم عندما تحين ساعة الولادة.

وكان أن اتصل بالدكتور أحمد النقيب فى الإسكندرية وقال له:

- لازم تيجى بسرعة.

واستقل الدكتور النقيب طائرة خاصة إلى القاهرة ليصل إليها فى أقل من ساعة ونصف.

واتصل الملك أيضا بالدكتور إبراهيم مجدى فى منزله وكان يسكن على ما أذكر فى شارع نوال بالدقى.

وكان الدكتور إبراهيم مجدى نائما، ولما أيقظوه قال له الملك:

- ألبس بسرعة.. وعربية من السراية جاية تجيبك.

ثم أشار إلىّ لكى أعطى أمرا إلى الجراجات الملكية لتبعث بسيارة إلى بيت الدكتور مجدى لتحمله بسرعة إلى القصر.

واتصل الملك بالدكتور عبد الحكيم طبيب البنج ثمّ قام بإستدعائه بنفسه. ثم اتصل بالدكتور يوسف رشاد، وبالدكتور عباس الكفراوى.. وبقية الأسماء التى كان قد أدرجها فى الكشف.

لقد استدعاهم جميعا بنفسه!

* * *

استغرقت هذه العملية عشر دقائق.

وكان الملك يبدو كالمحموم، وهو يتصل بكل هؤلاء الأطباء.

كان قلقا.. وفى حالة غير طبيعية.. وكان يتكلم - كما يقول المثل - بسرعة ألف كلمة فى الدقيقة.

وفجأة تذكر الملك أنه قد نسى حسن يوسف وكيل الديوان الملكى، قال... إنه لم يتصل به، وكان أن عاد مرة أخرى إلى (سويتش) التليفون وأخذ يدق له جرس التليفون فى بيته.

ولم يرد (حسن يوسف) فقد كان يغط فى نوم عميق.

وأخذ الملك يشتم ويلعن وهو يقول:

- لازم يصحى.. لازم ييجى.. مين يعمل إجراءات إعلان ولادة ولى العهد.

وفشلت كل المحاولات لإيقاظ حسن يوسف.

ولم يكن من الملك إلا أنه أستدعى أحد ضباط الحرس الملكى ثم قال له:

- روح بيت حسن يوسف فى الزمالك واكسروا باب شقته وهاتوه.

واصطحب الضابط عددا من عساكر المطافئ وجنود الحرس الملكى، ثم توجه معهم إلى بيت حسن يوسف..

وتنفيذا لتعليمات الملك قام الضباط وجنود الحرس الملكى بكسر باب الشقة، ثم دخلوا على حسن يوسف ليجدوه نائما.

وفوجئ حسن يوسف يالضابط وهو يهزه من كتفيه وهو فى سرير النوم..

ثم يطلب إليه أن يستيقظ ليذهب إلى القصر بناءا على أمر الملك.

ولا أظن أن حسن يوسف يمكن أن ينسى فى حياته حالة الانزعاج التى أصيب بها فى تلك الليلة ! .

ممنوع سماع الملكة وهى تصرخ:

أعود إلى ناريمان.. لقد تركناها فى حجرتها فى رعاية الممرضتين الألمانيتين.

كانت تتأوه من الألم بعد أن جاءها المخاض. ولم تمر ساعة واحدة حتى أخذت ناريمان تصرخ بسبب آلام الطلق.

وأمر الملك بإخلاء الممرات المؤدية إلى جناح الملكة من رجال الحرس الملكى، فقد عز عليه وهو ملك.. أن يستمع جنود الحرس الملكى إلى صراخ زوجته الملكة بسبب آلام الطلق.

وبقينا ننتظر، ونحن فى أشد حالات القلق والانزعاج، حتى وصل الأطباء وكان رأيهم بأن عملية الولادة يمكن أن تتم عند الفجر.

وفى الوقت المحدد قام الأطباء بنقل ناريمان إلى حجرة الولادة.. وكانت مفاجأة عندما لبس الملك بالطو أبيض، ثم قام بوضع قناع من الشاش المعقم. فوق وجهه..

وأدركت هدفه.. كان يريد أن يكون أول من يعرف إن كان المولود ولدا أو بنتا.

وانهارت أعصابي.. وأنا واقف بجوار حجرة العمليات.

وأخذت فى تلك الأثناء أردد كل ما تبادر إلى ذهنى من آيات القرآن الكريم كما قمت بقراءة سورة (ياسين) أكثر من مائة مرة وكنت بين الآونة والأخرى أقول لنفسى ربنا يستر لأن الله يعلم ماذا يمكن أن يحدث لو عملتها ناريمان وجابت بنت..

كانت الدقائق فى تلك الأثناء تمر ببطء.

وبقينا طوال الليل ساهرين ننتظر.

وكان الملك لا يزال فى حجرة العمليات مع الأطباء..

وتسرب الخبر إلى خارج القصر أثناء الليل.

وأخذ أفراد عائلة ناريمان يتصلون بالتليفون للاستفسار عما إذا كانت ناريمان قد أتمت عملية وضع مولودها.. وعما إذا كان هذا المولود ولدا.. أم بنت.

وفى حوالى الساعة الخامسة عند الفجر خرج أحد الأطباء من حجرة العمليات ثم همس فى أذنى بعدة كلمات.

قال لى: الملك بيقولك.. بلغ الإذاعة علشان تستعد.

قلت له: الإذاعة تستعد على إيه.. ولد؟

قال: الله أعلم فالولادة لم تتم بعد وإن كان الملك قد سأل الدكتور مجدى عما سيكون عليه المولود.. وقد رد عليه مطمئنا: غالبا ولد.

وكاد الملك أن يفقد سيطرته على أعصابه فى داخل حجرة الولادة فأخذ يرقص من الفرح.

ولم تكن الولادة قد تمت بعد!

* * *

وفى حوالى الساعة السادسة خرج الملك من حجرة الولادة.

كان لا يزال لابسا البالطو الأبيض، ويضع القناع الشاش على وجهه.

وكان البالطو ملطخا ببقع الدم.

ورآني الملك فقام بإزاحة قناع الشاش الذى كان يغطى وجهه، ثم صاح بأعلى صوته:

مصطفى تعالى بوسني.

واندفعت ناحيته، كما أندفع إليه كل أفراد العائلة الذين كانوا إلى جوارى.

وكان واضحا أن المولود قد جاء كما تمنى فاروق.. وأنه ولد، ولم أنتظر فأخذت أحتضن الملك وأقبله.

وكدت أن أفقد وعى فى تلك اللحظة من السعادة التى انتابتني.

واستطرد الملك يقول وهو ما يزال يصرخ:

أنا مش عبيط زيك أجيب بنات.. أنا جدع... وبأخلف صبيان!.

وانتشر الخبر فى القصر .. إن فاروق قد أنجب ولدا لأول مرة فى حياته.

واندفع الجميع يهنئونه ويباركون له.

وانفجرت بعض السيدات يبكين بطريقه هستيرية من شدة الانفعال. وأخذ الملك يقهقه ويضحك من شدة الفرح..

ومما سمعته إنه قد ساهم فى عملية ولادة أبنه.

كان واقفا إلى جانب الأطباء عندما اشتد الطلق وأخذت ناريمان تلد وفجأة صرخ الدكتور مجدى قائلا:

ولد.. يا مولاى.

ولم ينتظر فاروق، وبادر بإزاحة الأطباء جانبا ثم قام بإخراج الولد بنفسه إلى النور !.

علم ولى العهد:

هدأت أعصاب الملك بعد فترة من الوقت، وكان يبدو سعيدا لأن ناريمان أنجبت له مولود ذكرا.

وأذكر إنه قام باستدعاء حسن يوسف، ثم طلب إليه اتخاذ الإجراءات اللازمة لإعلان مولد ولى العهد.

وقرر الملك فى نفس الوقت أن يرفع علما خاصا بولي العهد فوق القصر إلى جوار علم الملك.

ولكن رجال البروتوكول فى القصر إعترضوا.

قالوا له: لا يليق أن يرفع علم ولى العهد إلى جوار علم الملك.

وكان رأيهم أن مرسوما ملكيا كان قد صدر أثر تولية فاروق العرش يمنع رفع علم الأمير السابق محمد توفيق ولى العهد وقتئذ إلى جوار علم الملك.

وثار الملك فى وجه رجال البروتوكول، وهو يقول لهم:

- بروتوكول إيه.. وبتاع إيه.

وتدخلت لأقول للملك:

- بسيطة.. تطلع مرسوم جديد يلغى المرسوم القديم.. ونرفع علم ولى العهد.

وانبسطت أسارير الملك لاقتراحي وبادر يقول بسرعة:

- والله فكرة.. يطلع مرسوم جديد فى الحال..

ثم أمسك الملك بسماعة التليفون، وطلب إلى حسن يوسف إعداد المرسوم الذى إقترحته..

وصدر المرسوم فى أقل من خمس دقائق.

ورفع علم ولى العهد إلى جوار الملك!.

ودعاني الملك لتناول طعام الإفطار على مائدته، كما دعا جميع الأطباء الذين اشتركوا فى عملية ولادة ناريمان.

وجلست إلى جوار الملك، بينما أنتشر الأطباء ورجال الحاشية على طول المائدة.

وأثناء تناول الإفطار قال الملك، بصوت مرتفع حتى يسمعه الدكتور مجدى:

- إحنا عايزين نشوف لمجدى باشوية قديمة تكون مركونة على جنب علشان نديها له !

والتفت الجميع ناحية الدكتور مجدى ليجدوه مشغولا بالحديث مع الدكتور يوسف رشاد، فلم يسمع ما قال الملك.

وكان أن أسرعت أقول له:

- اسمع يا دكتور.. شوف مولانا بيقول إيه؟

والتفت الدكتور مجدي ناحية الملك ليسمع بأذنيه الإنعام عليه برتبة الباشوية.

كانت مفاجأة.. وتوقع الجميع إنعامات ملكية جديدة.

وأسرع الملك يقول: والدكتور عبد الحليم راتب.. كمان.. نديله باشوية قديمة هو الآخر.

وتلفت الدكتور يوسف رشاد ناحية الملك متوقعا إنعاما ملكيا عليه هو أيضا ولكن الملك قال له:

- أنت كفاية نسدد لك دين القمار اللى عليك..

وهكذا قرر الملك أن يكافئ الدكتور يوسف رشاد، وكانت مكافأته هى تسديد مبلغ الألفي جنيه التى خسرها فى القمار أثناء رحلة شهر العسل.

أما أنا فقد أفلت بجلدي كما يقول المثل العامى فلم ينعم الملك على بشيء.

ميدان عابدين.. فاضي:

وأذيع الخبر.. وكان الملك يتوقع أن تخرج جماهير الشعب فى مظاهرات ضخمة لتهنئته.

وجاءت بعض الجماهير إلى ميدان عابدين.

واستمع الملك إلى هتافاتهم.. كانت باهته، ولم تكن تعبر عن الفرحة بمولد ولى العهد كما لم تكن تدل على أى حب أو ولاء.

وحملنا ناريمان على كرسى ثم قربناها من النافذة التى تطل على الميدان.

ووقف الملك إلى جوارها يراقب هذه الجماهير التى لم تعبر أبدا عن أى حماسة لمولد أبنه.

وقالت ناريمان: الميدان فاضى.

وتلفت ناحية الملك.. كان منفعلا ولذلك لم يبق طويلا أمام النافذة وبادر بالانسحاب إلى داخل الحجرة وهو يقول:

- يخلصك كده ياسى مصطفى.. الميدان فاضى خالص.

قلت له: أمال فين الجيش يا مولانا.. يمكن الجيش منتظر أوامر.

قال الملك:

- هو اللى عاوز يظهر شعوره يستنى أوامر!.

* * *

كان استعراض الجيش فى ميدان عابدين مظاهرة مفتعلة لإنقاذ الموقف.

وكنت أنا الذى أوعزت بتنظيم هذا الاستعراض.

وأذكر ما حدث عندما وقف الملك فى شرفة قصر عابدين، وهو يرتدى ملابس المشير العسكرية.. وكان يحمل أبنه بين يديه.

وأثناء الاستعراض التفت فاروق ناحية قادة الجيش الذين كانوا يقفون حوله ثم قال لهم:

- إنى أهديكم أعز ما عندى.. وهو إبني.

ونقل هذا النطق الملكى بوساطة الميكرفون إلى القوات التى كانت تصطف فى الميدان.

ولم يبق الملك فى الشرفة طويلا فقد أنسحب إلى الداخل ليسرع فى خلع ملابسه كان يشعر بضيق من الياقة كلما ارتدى الملابس الرسمية.

وخلع الملك حذاءه ثم ألقاه بعيدا.

وحاولت أن أجامل الملك.

كان يعرف أن الشعب يكرهه.. وأن الجيش يكرهه.

ولعلها أول مرة.. بعد أن أنجبت ناريمان له ولدا.. التى أدرك فيها أنه فى موقف لا يحسد عليه.

قلت للملك: والله يافندم لو أى واحد عصر مخه عشر سنين علشان يلاقى كلمة تحمل كل المعاني لما وجد كلمة زى كلمتك للجيش.

وانبسطت أسارير الملك، فأخذ يضحك، وهو يقول لى:

- إتلهى يا واد.. هو أنا جبت حاجة من عندى ده أنا كنت امبارح بأقلب فى كتاب قديم لقيت واحد من جدودي قال نفس الكلمتين دول !.

قلت له: أي واحد فى جدودك يا فندم..

قال الملك: واحد منهم وخلاص. !

برقية من فريدة:

وفى نفس الليلة استدعاني الملك تليفونيا لكى ألحق به فى نادى السيارات وهو يقول لى:

- لازم تيجى بسرعة علشان عندى خبر مهم لك.

وأسرعت إلى نادى السيارات وفى تصورى أن شيئا خطيرا قد وقع..

ودخلت إلى النادى، لأجد الملك وهو يجلس فى مكانه وقد التفت حوله جماعة من أصدقائه، وكان يضحك ويمزح مع كل من يصادفه.

كان يبدو سعيدا.

ورآني الملك فقام من مكانه، ثم أنتحى بى جانبا وهو يخرج من جيبه برقية عادية.

وتبادر إلى خاطرى أنه سيكشف لى عن سر رهيب، ولكن كانت المفاجأة عندما قام بضربي على كتفى بيده بقوة ثم ناولني البرقية وهو يقول لى:

- إيه رأيك بقى يا واد؟

وقرأت البرقية، وكانت من الملكة السابقة فريدة، وفيها تقول له بالحرف الواحد:

- أهنئك من كل قلبي بعد أن من الله عليك بولي العهد.

والتفت إلى الملك، وأنا فى أشد حالات الدهشة والانفعال، فقد كان آخر ما يمكن أن أتصوره أن تبعث إليه فريدة ببرقية تهنئة لأنه أنجب ولدا.

ورأيت بريقا عجيبا يلمع فى عينى الملك وكان واضحا إنه قد سعد كثيرا عندما تلقى تلك البرقية من الملكة السابقة فريدة..

قلت له: حاجة كويسة خالص.. وفى رأيى أنه شعور طيب منها.

قال الملك بسرعة: حاجة كويسة إيه.. أنت عارف أنا مبسوط ليه..

دول كانوا بيقولوا أننى السبب وأنني مبخلفش صبيان.

وأدركت سر سعادة الملك.. !

عندما أراد فاروق أن يهرب بطائرة هليوكوبتر أثناء حريق القاهرة!

أخذت الحوادث تجرى بسرعة بعد أن تمت ولادة ولى العهد.

وكان كل شئ يوحى بأن الموقف يمكن أن يتأزم فى أى لحظة.

ولم يكن من الصعب على الملك أن يدرك، أن الشعب لم يعد يحبه.

كما أن الجيش لم يكن معه..

وفجأة اندلعت النيران فى أرجاء مدينة القاهرة.. وكان حريق القاهرة الذى هز كيان فاروق بعنف.

وأذكر أننى كنت فى بيتى فى مصر الجديدة، عندما تدهور الموقف فى يوم حريق القاهرة، ولم أكن قد سمعت عن المظاهرات التى ملأت الشوارع، وعن الحرائق التى نشبت فى مختلف أرجائها .

وكانت مصر الجديدة تبدو هادئة، فلم تقع فيها حوادث شبيهه بالحوادث التى وقعت فى قلب القاهرة.

وفجأة دق جرس التليفون فى بيتى لأسمع - عندما رفعت سماعته - صوت حمدي الجريتلى ياور الملك..

كان يتكلم بسرعة وهو يقول:

- مصطفى.. الملك بيقول لك تعالى حالا.

قلت له: خير .. فيه إيه.

قال: الملكة عاوزاك.. المهم تيجى بسرعة.

وتبادر إلى خاطرى فى تلك اللحظة.. أن مشادة جديدة قد وقعت بين ناريمان والملك.

ولم يكن أمامى ـ كالعادة ـ إلا أن أستقل سيارتي، ثم اندفعت بها مسرعا فى طريقى إلى قصر عابدين..

وأثناء الطريق.. كان فكرى متجها إلى ما يجب أن أقوله لناريمان حتى يزول سوء التفاهم بينها وبين الملك.

وهكذا كنت خيالي الذهن تماما عن كل ما وقع فى قلب القاهرة.

* * *

وفى ميدان محطة مصر أستوقف سيارتي واحد من الغوغاء الذين كانوا ينتشرون فى مختلف أرجاء الميدان.

كان ممسكا فى يده بقطعة طويلة من الخشب، وقد أخذ الرجل يلوح بها فى وجهى وهو يقول:

- عاوزين شوية بنزين من تنك العربية.

قلت له: أتفضل خذ اللى أنت عاوزه.

ثم أشرت إليه ناحية (التنك) فى مؤخرة السيارة حتى يحصل على ما يريد من البنزين.

وأتجه الرجل ناحية مؤخرة السيارة، ولم أنتظر، وبادرت بالاندفاع بالسيارة هاربا، تاركا الرجل ورائى وهو يلعن ويسب.

ونظرت إلى المرآة المثبتة أمامى فى السيارة لأراه وكان يلوح بقطعة الخشب التى فى يده مهددا.

المهم تسللت إلى قصر عابدين من الباب الخلفى، وكان حمدي الجريتلى ياور الملك هو الذى نصحني بأن أدخل القصر من هذا الباب.

قال لى عندما استدعانى فى التليفون:

- لما تيجى أبقى أدخل من الباب الورانى.

كانت نصيحة غريبة... ولم أفهم ما كان يعنيه منها إلا بعد أن وصلت إلى القصر.

كان أشبه بثكنة عسكرية فى حالة حرب.

وفوجئت بجنود الحرس الملكى، وكانوا جميعا يرتدون ملابس الميدان ورأيتهم وهو يثبتون المتاريس وراء الأبواب، وينقلون صناديق الذخيرة ويضعونها بجوار المراكز التى أعدوها للدفاع عن القصر.

واندفعت أجرى ناحية جناح الملك فى الطابق الأعلى.

وكانت مفاجأة عندما رأيت، وكان يرتدى هو أيضا ملابس الميدان الكاملة.. وكان يعلق مسدسا كبيرا فى حزامه.

وكانت ناريمان تقف إلى جواره وهى تحتضن أبنها الطفل.

ورآني الملك وأنا مقبل عليه، فقال لى بانفعال ظاهر:

- إيه اللخبطة اللى بره دى؟

قلت له: والله يافندم.. أنا كنت خالى الذهن، وأنا لسه جاى دلوقت.

قال الملك: خالى الذهن إزاى.. أنت مش عارف إنى أنا المقصود بالذات بالحكاية دى.

لم أعرف ماذا يجب أن أقوله للملك، ولم يكن فى وسعى إلا أن أسكت فلم أقل شيئا.

كان الملك يرتعد من الخوف، ولكنه كعادته كان يحاول أن يظهر عدم المبالاة.

وكان، واضحا، وهو يروح ويغدوا فى أرجاء القصر، أنه يغتصب الابتسامات من فمه بصعوبة..

وأدركت الموقف على حقيقته، فقد كان فى تصور الملك أن الغوغاء ستتجه لمهاجمة القصر بعد أن تفرغ من حرق القاهرة.

وكان أن طلب من الحرس الملكى أن يقف فى حالة تأهب واستعداد للدفاع عن القصر ضد أى هجوم.

ولم ينتظر وقام بالإشراف بنفسه على عملية تحصين القصر.

وكان هو الذى وزع جنود الحرس الملكى المسلحين بالمدافع الرشاشة والبنادق سريعة الطلقات وراء جميع النوافذ.. وفوق الأسطح.

وكانت تعليماته صريحة وواضحة بإطلاق الرصاص فى (المليان) عندما يبادر المتظاهرون بالهجوم على القصر.

* * *

وكان طبيعيا أن تنهار أعصاب ناريمان مع التعليمات المتلاحقة التى كان الملك يصدرها بين الآونة والأخرى إلى رجال الحرس الملكى.

وكان أن أخذت ترتعد هى أيضا من الخوف، وعندما رأتني أندفعت ناحيتي ثم تشبثت بملابسي وهى تصرخ بطريقة هستيرية، وكانت تقول لى:

- دول عاوزين يقتلونا يا أونكل.. حنعمل إيه.

وأخذت أربت على كتف ناريمان وأنا أهدئ من روعها كعادتى.

وفى تلك الأثناء تركنا الملك، وذهب يتفقد عمليات تحصين القصر.

كان قلقا.. فلم يجلس فى مكانه دقيقة واحدة.

ولما عاد الملك.. قال لى:

- إتصل يا مصطفى بالمطار، وخليهم يبعثوا لنا طيارة هليوكوبتر، يمكن نحتاج لها.

وأدركت أن فكرة جديدة قد أخذت تتراقص فى مخيلة الملك.

لقد قرر فجأة أن يهرب من قصر عابدين.

ولم يكن قائد الأسراب حسن عاكف موجودا فى ذلك اليوم فى القاهرة.

كان الملك قد أوفده فى مهمة إلى أثينا.

وكان الطيار مدكور أبو العز يتولى قيادة السرب الملكى مكانه..

ولم أنتظر وبادرت برفع سماعة التليفون، ثم أتصلت به فى مطار ألماظة.

قلت له: الملك عاوز طيارة هيلوكوبتر تيجى بسرعة إلى عابدين.

قال مدكور أبو العز: يا خبر أسود.. ده مستحيل.. لأن الطيارتين الهليوكوبتر اللى عندنا فى (العمرة) أى فى التصليح وغير صالحتين للطيران.

قلت له: أقول للملك إيه.

قال: وحياتك يا مصطفى حاول تفهمه الحكاية بهدوء، وقول له مستحيل نبعث له الطيارة اللى هو عاوزها.

وفجأة أنهارت أعصابه وكان واضحا أنه قد أصيب بخيبة أمل.

قال لى: عاكف كان لازم يطمئن على الطيارتين قبل ما يسافر.

قلت له يا أفندم عاكف مسافر.. والمهم نشوف حل.

قال الملك كلمة لا يمكن أن أنساها أبدا فى حياتى.. فقد أمسك كتفى بيده، ثم التفت ناحيتى وهو يقول، وكان يبدو أن الحسرة تملأ قلبه:

- حل إيه ياسى مصطفى..الظاهر إحنا وقعنا خلاص.

طلب تدخل الجيش:

كان فاروق فى حالة يأس فى ذلك اليوم.. وكان فى تصوره إن نهايته قد إقتربت.. !

وكانت تصل إليه بين الآونة والأخرى تفصيلات الحوادث التى امتلأت بها شوارع القاهرة.

وأشتد قلق الملك وكان مما يزيد فى قلقه أن أحدا من مستشاريه لم يكن إلى جانبه فى ذلك اليوم.

كان إلياس آندراوس فى الإسكندرية، وكان قد ذهب إليها فى اليوم السابق للاشتراك فى تشيع جنازة سليمان قاسم.

وكان أنطون بوللى فى إيطاليا.

واستدعى الملك الفريق حيدر (باشا)، وطلب إليه أن يتدخل الجيش.

قال له: إن الجيش وحده هو الذى يستطيع أن ينقذ الموقف.

وحاولت فى تلك الأثناء أن أغادر القصر.

كنت أريد أن أتجول فى الشوارع لأطمئن على الحالة.

وتشبثت ناريمان بملابسي.. وهى تقول لى:

- مستحيل تنزل يا أونكل.. أنت عاوزهم يقتلوك.

قلت لها: متخافيش .. أنا نازل وجاى بسرعة.

وفى ميدان عابدين رأيت أغرب منظر وقع عليه نظرى أثناء الحوادث التى وقعت يوم حريق القاهرة.

كانت هناك قهوة بلدي، وقد شاهدت نصف هذه القهوة وقد أكلته النيران أما النصف الآخر فقد كان بعض الأهالي يلعبون بداخله الطاولة .

ولم أستطع أن أذهب بعيدا ، وبادرت بالعودة مسرعا إلى القصر.

وأذكر أننا صعدنا إلى سطح القصر، وكان معنا أحد شمرشجية الملك الخصوصيين.

كان يسكن فى بيت قريب من قصر عابدين، وفجأة صرخ الرجل عندما تطلع بنظرة ناحية بيته.

كان البيت يحترق.

وكما فهمنا.. كان المتظاهرون قد أشعلوا النار فى خمارة تقع فى أسفل البيت ومنها امتدت النار حتى أكلت البيت كله.

ولم يكن فى وسع الرجل أن يفعل شيئا لإنقاذ بيته، فأخذ يبكى بحرقة..

إننى لم أعد أذكر أسم هذا الشماشرجي.. ولكنه واحد من شماشرجية الملك الخصوصيين.. وكل ما أستطيع أن أجزم به، هو أنه كان الشماشرجى الثالث.. وأذكر أنه كان يعمل مع محمد حسن.. وخليل..

* * *

المهم.. نزل الجيش إلى الشوارع لينقذ الموقف..

وهدأت الحالة مع صباح اليوم التالى..

وكنت قد أمضيت ليلتي ساهرا فى قصر عابدين، ولم ينم الملك هو أيضا فى تلك الليلة دقيقة واحدة.

وكانت وزارة على ماهر الأولى قد تشكلت إنقاذا للموقف..

أنها الوزارة التى جاءت بعد حريق القاهرة..

وعاد الملك من جديد إلى لهوه ومجونه..

وكان أن أخذ يتردد فى كل ليلة على نادى السيارات..

وأبرق إلى أنطونى بوللى فى إيطاليا يستدعيه ويطالب إليه أن يبادر بالعودة إلى القاهرة..

وعاد أنطونى بوللى، وبعد وصوله بعدة أيام.. وصلت إلى القاهرة حسناء إيطالية أستحوزت على كل تفكير الملك.

كان يقضى معها كل أوقاته.. وكان يصطحبها معه فى كل السهرات التى كان يقضيها خارج القصر..

وعرفت ناريمان بقصة هذه الحسناء، فكادت أن تثير أزمة لولا أننى استطعت إقناعها بأن تلتزم الصمت، وأن تسكت.. وأنا أقول لها:

- ولا كلمة واحدة.. وكأنك لا شفت.. ولا سمعت..

وكان فى رأيى.. أن ناريمان قد أنجبت له الولد الذى يريده، وبالتالى فهى قد أصبحت فى نظره قد أدت مهمتها.. !

سيارة وعقد زمرد:

وكان فاروق قد وعد ناريمان أثناء شهر العسل، وأثناء فترة الحمل بأن يهدى إليها سيارة (كاديلاك).. قال لها:

- سأهديك هذه السيارة، ولكن بشرط واحد، وهو أن يكون المولود ذكرا وفى مرة أخرى.. قال لها:

- السيارة (الكاديلاك) مش كفاية.. حاجيب لك عقد زمرد بس شدي حيلك وجيبي الولد..

وأنجبت له ناريمان الولد، ثم أخذت تنتظر أن يفي فاروق بوعده فيقدم إليها السيارة (الكاديلاك) .. وعقد الزمرد.

ولكن فاروق تناسى كل وعوده..

وفى أحد الأيام كنت فى زيارة لناريمان عندما شكت لى من أن فاروق لم يف بوعده لها..

قلت لها محاولا الابتعاد عن مثل ذلك الموضوع لحساسيته:

- كلميه أول ما تشوفيه.. واسأليه عن الهدية.. ؟

قالت والله يا عمى أنا مكسوفة،هو إذا كان عاوز يعبر عن شعوره..ضروري ألفت نظره.. ؟

وعملت ناريمان بنصيحتي وكان أن انتهزت أول فرصة لتسأل فاروق عن الهدية التى وعدها بها.

واضطر فاروق لأن يبر بوعده، وكان أن قال لها:

- بكره تكون عندك العربية..

قالت له: والعقد الزمرد.. ؟

وسكت فاروق ولم يقل لها شيئا..

وأذكر أن فاروق جاء إلى ناريمان فى اليوم التالى، وكانت مريضه.. ليقول لها:

- تعالى أوريك العربية..

وحملنا ناريمان على كرسى أنا وفاروق ثم نقلناها إلى جوار نافذة حجرتها لتشاهد السيارة الجديدة، وهى واقفة فى فناء القصر..

وأعجبت ناريمان بالسيارة.. كانت سيارة جميلة..

ولكن ناريمان لم تستخدم هذه السيارة مرة واحدة، فقد تلاحقت الحوادث، وذهب فاروق من مصر بلا رجعة..

وبقيت هذه السيارة فى جراج القصر..

وكانت ناريمان قد تقدمت إلى المسئولين فى مجلس قيادة الثورة بعد طلاقها من فاروق وعودتها إلى مصر تطلب استرداد هذه السيارة..

قالت: أن فاروق اشتراها من جيبه الخاص أى من أمواله الخصوصية، وأهداها لها بمناسبة ولادتها، وأن هذه السيارة أصبحت من ممتلكاتها الخاصة..

وقام المسئولون بدراسة الموضوع، وقد تبين أن فاروق لم يدفع فى هذه السيارة مليما واحد من أمواله الخصوصية، وأنه كان قد اشتراها من مخصصات القصور الملكية..

وكانت هذه المخصصات كما كان معروفا جزءا من ميزانية الدولة..!

هدية من أحمد نجيب:

وتحدثت ناريمان مع فاروق أكثر من مرة بشأن عقد الزمرد..

وظل فاروق يتهرب من وعده، وهو يقول لها:

حاضر بس إستني شويه..

وكان يتذرع أمامها بأنه قد كلف أحمد نجيب الجواهرجى بأن يفتش له عن عقد ثمين ليهديه إليها برا بالوعد الذى قطعه على نفسه..

وحدث أن أثارت أصيلة هانم موضوع هذا العقد مرة أمام أحمد نجيب الجواهرجى..

كانت تريد أن تتأكد مما إذا كان الملك قد كلفه فعلا بالتفتيش عن عقد الزمرد لناريمان..

وسكت أحمد نجيب الجواهرجى ولم يقل شيئا..

إنه لم يكن يعرف شيئا عن وعد فاروق لناريمان.. وكان واضحا أن فاروق لم يطلب إليه أن يفتش لها عن عقد الزمرد..

ومرت عدة أيام ثم فوجئنا به وهو يستأذن الملك فى أن يهدى إلى ناريمان عقدا من الزمرد..

قال للملك: فى يوم ما أتجوزتم يا أفندم.. كان لازم أقدم للملكة هدية مناسبة..

ثم أخرج من جيبه علبة من القطيفة الحمراء، وكان العقد بداخلها، ثم قام بتقديمها إلى ناريمان..

ولمعت عينا الملك وهو يقلب العقد بين يديه، ثم ربت على كتف أحمد نجيب.. وهو يقول له:

- ياسيدى متشكرين خالص..

وحصلت ناريمان على العقد، ولكن هديه من أحمد نجيب الجواهرجى، وليس من فاروق..

* * *

إن فاروق كان شخصية عجيبة..

وكان - كما سبق أن قلت - يعانى الكثير من مركبات النقص..

وفى تصورى أنه لم يكن يحب أى واحد من الذين حوله..

كان يكرهم جميعا، ولا أظنه كان يشعر نحو أى واحد من رجال حاشيته بأى ذرة من العاطفة فيما عدا بعض الإيطاليين الذين كانت تضمهم حاشيته الخصوصية..

كان يحب الإيطاليين وحدهم من دون أجناس العالم كلها..

وفى اعتقادى أن ملازمة أنطونى بوللى له، كانت سبب الرابطة القوية التى كانت تربط بينه وبين هؤلاء الإيطاليين..

وكان فاروق يكره أن يحاول أى واحد من المقربين أن يرفع رأسه أو أن يحافظ على كرامته أمامه حتى ولو كانت زوجته الملكة.. !

وفى تصورى أن حياة ناريمان قد تحولت إلى جحيم إلى جوار الملك، وخاصة فى أواخر أيامه، وقبل طرده من مصر، بسبب مركبات النقص التى كان فاروق يعانى منها.

وفى تلك الأيام كان الملك قلقا بسبب تطورات الموقف وكان أن أخذ يتخبط فى تصرفاته..

وأذكر مثلا ما حدث بينه وبين ناريمان قبل ثورة الجيش وتنازل الملك عن العرش بعدة أسابيع..

كنا نتناول الشاي على ظهر الباخرة المحروسة..

وفجأة قال لى الملك:

- أنت تأخذ ناريمان تروحها، وأنا رايح أسهر..

ونشبت مشادة بينه وبين ناريمان..

ولا أعرف لماذا أصرت ناريمان على أن تسهر معه فى تلك الليلة..

قالت له: فى كل ليلة تسهر لوحدك، ولازم أروح معاك النهارده..

واحتدمت المناقشة بين الاثنين، وثار الملك وهو يصيح فى وجهها أمام الخدم والسفرجية:

- أنت حتفضلى لزقه ليه.. يا شيخه روحي جاكى داهية..

وألقت ناريمان بنفسها على الكرسي ثم أخذت تبكى بحرقة..

وفجأة أنهارت أعصابها لشعورها بامتهان الملك لكرامتها بعد أن شتمها أمام الخدم والسفرجيه..

وصممت ناريمان على الطلاق، وكان أن قالت له وهى تصرخ فى وجهه:

- أنت وحش.. وأنا مستحيل أعيش معاك دقيقة واحدة بعد النهارده..

وأخذ الملك يقهقه ويضحك بطريقتة المعروفة.. وتلفت ناحيته محاولا أن أعرف سبب ضحكاته..

وكما فهمت.. لقد أعجبته كلمة وحش، فأخذ يضحك على طريقته..

وبمعنى آخر.. لقد أشبعت هذه الكلمة أحد مركبات النقص فى نفسه، فأخذ يعبر عن سعادته بالضحك والقهقهة..

ناريمان تريد الطلاق:

أصررت ناريمان على الطلاق من فاروق.. وكان ذلك فى شهر يونيه سنة ١٩٥٢.

وتدخلت أنا وأصيلة هانم بدون فائدة، وبقيت الأزمة محتدة بين ناريمان والملك لمدة عشرة أيام كاملة..

وقاطعته ناريمان، وكان أن امتنعت عن الكلام معه..

قالت له.. أنها قد قررت مخاصمته وأنها ترفض أن تتكلم معه كلمة واحدة.. وحاول فاروق أن يسترضيها، ولكنها رفضت مصالحته وتسوية الأزمة وأصرت على أن يعتذر لها أمام نفس الخدم والسفرجيه الذين يعملون على الباخرة المحروسة..

وكان طبيعيا أن يرفض الملك ذلك وهو يقول:

- أنا أعتذر.. ؟ مستحيل.. عمري ما أعتذرت لحد.. ؟

وأصرت ناريمان على الطلاق..

ولكنها عادت وقبلت أن يعتذر لها فاروق.. ولكن فى حجرة النوم..

كان شرط فاروق ألا يشهد ذلك الاعتذار أو يسمع به أحد.. !



الفصل الثاني عشر

هددوني بالتليفون لأنني تدخلت في الأزمة بين الملك وحيدر "باشا" !

يجب أن أعود قليلا إلى الوراء.. وبالضبط إلى الأشهر القلائل التى أعقبت حريق القاهرة، وسبقت الثورة..

تصور فاروق أنه قد فعل شيئا، وأنه قد تغلب على العاصفة التى كادت أن تجتاحه مع حريق القاهرة، فلم يحاول أن يصلح من أخطائه أو أن يكف عن فساده ومباذله..

وكان أن إندفع يجرى وراء شهواته وملذاته..

وتحجرت مشاعر فاروق فلم يعد يبالى كثيرا بكل ما كان الناس يرددونه عنه، أو عن أمه وأخواته..

ولا أريد أن أقول أنها كانت أشهر حاسمة فى حياة فاروق كلها كملك، فقد ظل يتردد فى كل ليلة على نادى السيارات، وكان يسهر حتى الفجر فى لعب القمار..

وحاول إلهامي حسين مرة أن ينصحه بالكف عن لعب القمار فى النادى..

وثار الملك فى وجه إلهامي حسين وهو يقول له:

- نلعب فى البيوت إزاى.. أنا النادى إعتدت عليه.. ومستحيل أسيبه وألعب فى مكان تانى..

ولم ييأس إلهامي حسين وكان أن قال للملك صراحة أن كلام الناس قد تزايد، كما قال له أن شائعات كثيرة تنتشر فى كل يوم حول ما يجرى فى سهراته..

ولكن فاروق لم يمهله حتى يكمل كلامه، وكان أن قاطعه، وهو يلوح بيديه فى وجهه، . ثم قال له بتأفف:

- خلى الناس تقول إلى هى عاوزاه، والمهم.. أنى حالعب هنا فى النادى.. ولم ينتظر فاروق فقد قام من مكانه ثم اتجه إلى حجرة القمار وهو يقول لإلهامي حسين:

- يلا يا راجل نلعب.. بلاش خوف..

وقامت وراء الملك شلة القمار الخصوصية، وكانت تضم محمد سلطان.. وكليمان.. وداود عدس..

* * *

وحدث فى تلك الأيام أن تسلل بعض الشبان أثناء الليل وملأوا حوائط أسوار قصر عابدين الخارجية من ناحية الميدان بشعارات وشتائم لاذعه ضد الملك.. لقد كتبوها بزهرة الغسيل الزرقاء..

- يسقط فاروق إبن ال.. وكانت هناك شتائم وعبارات أخرى من كل نوع.. وبعض هذه العبارات كانت تشير إلى تصرفات والدته الملكة نازلى فى أمريكا.. وعرف المسئولون فى القصر بما كتبه هؤلاء الشبان على حوائط القصر، فأصيبوا بالذعر والفزع..

تصوروا أن الملك سيثور، وأنه قد يأمر بمعاقبة كل رجال الحرس الملكى الذين كانوا يباشرون نوبة الحراسة حول القصر..

وفى نفس الليلة تلقى ضابط الياوران فى قصر القبة إشارة سرية من قصر عابدين تضمنت تقريرا عما حدث..

كانت تقول أنه تبين من التحقيقات السريعة التى أجريت أن هؤلاء الشبان قد غافلوا الحراس أثناء تغيير نوبة الحراسة، وقاموا بكتابة هذه الشتائم على جدران القصر؟

ولم ينتظر ضابط الياوران بمجرد أن تسلم الإشارة السرية، وبادر بحملها إلى الملك..

وشاءت الصدفة أن أكون موجودا فى تلك اللحظة مع الملك، وقد شاهدته عندما قام بقراءة هذه الإشارة السرية كما سمعته وهو يقول للضباط:

- إضرب تليفون لعابدين.. وشوف كان مكتوب إيه على الحيطان بالضبط..

وذهب ضابط الياوران ثم عاد بعد عدة دقائق وهو يرتجف من الخوف..

كان فى أشد حالات الارتباك، لعدم معرفته بما يمكن أن يقول للملك.. هل يقول له.. أنها عبارات بذيئة وأنه لا يقوى على نقلها حرفيا إلى الملك..

ولمحت الضابط، وهو يقدم رجلا ويؤخر الأخرى، وهو يدخل إلى مكان الملك ولا أعرف.. ماذا حدث، فقد تراجع الضابط فجأة، ثم أشار إلى بطرف أصبعه حتى ألحق به بعيدا عن مكان الملك..

وأدركت أنه قد تحرج كثيرا فى أن ينقل العبارات التى كتبت على الحائط بحرفيتها إلى مسامع الملك..

ولم يكن فى وسعى إلا أن أبادر بنجدته، وكان أن قمت من مكانى بعد أن استأذنت الملك، ثم ذهبت إليه..

كان يرتجف من الخوف وهو يقول لى:

- يا أفندم.. الكلام وسخ خالص.. مقدرش أقوله للملك..

وأخذت أهدئ من روع ضابط الياوران، وأنا أستدرجه فى الحديث حتى عرفت منه كل التفاصيل التى عرفها بالتليفون من عابدين.. !

عدت إلى الملك، وأنا أقول له:

- الجماعة فى عابدين خايفين يقولوا إيه المكتوب على الحيطان.. والظاهر إنه كلام وسخ خالص..

ترددت أنا أيضا فى أن أنقل العبارات بحرفيتها إلى الملك خشية أن يثور أو أن يهيج فى وجهى..

وكانت المفاجأة المثيرة عندما ألتفت ناحيتى، وهو يقول:

- وسخ.. مش وسخ... يالا بينا أنا رايح عابدين أشوف الحكاية إيه.. ؟

وذهبنا إلى عابدين وأنا فى أشد حالات الانزعاج، وقد ظللت أحسب الدقائق طوال الطريق..

تصورت أن الملك سيقلب الدنيا كلها رأسا على عقب، وأنه سيثير ضجة كبيرة بمجرد أن يقرأ العبارات التى كانت مكتوبة على حوائط القصر..

وتبادر إلى خاطرى أن أتوارى من جانبه بمجرد أن نصل إلى القصر..

ولكن كانت مفاجأة أخرى إهتز لها كل كياني عندما وصلنا إلى القصر ووقف الملك ليقرأ بنفسه العبارات..

لقد توقف أمام العبارات التى تسب أمه نازلى، وكانت تقول:

- يسقط فاروق إبن ال..

توقف أمامها، ثم أنفجر يضحك ويقهقه بطريقته الهستيرية المعروفة وهو يقول:

- همه جابوا حاجة من عندهم.. تستاهل.. !!

* * *

كان فاروق شخصية عجيبة، وكان قلبه يفيض بالحقد والكراهية لأمه الملكة نازلى..

كان يكرهها ولم يكن يطيق أن ينطق أحد باسمها أمامه، وقد أعجبته كثيرا الشتائم التى كتبت ضدها..

ولم يتبادر إلى خاطره فى تلك اللحظة أن مثل هذه الشتائم كانت تسئ إليه قبل أن تسئ إليها..

وكان أن أمر بأن تبقى هذه الشتائم فى مكانها، وطلب أن لا يحاول أحد إزالتها..

قال: خلو الكلام ده زى ما هو علشان تعرف الناس بيقولوا عنها إيه؟ ..

وبقيت الشتائم على حوائط القصر لمدة أسبوع كامل حتى تدخل بعض رجال الحاشية، وكان أن عملوا على إقناع الملك بأن يأمر بإزالتها.. !

* * *

إن فاروق لم يكن يعرف الوفاء لأحد حتى لأقرب الناس إليه، ولذلك لم يكن له صديق أو صاحب بالمعنى المفهوم كما يقول المثل البلدي..

وأنا نفسى قد عشت فى تجربة مثيرة إلى جواره، وخاصة أثناء الأشهر القلائل التى سبقت الثورة..

وفى رأيي أنه كان أنانيا إلى أقصى حد..

وكان واقعا تحت سيطرة بعض عناصر الفساد من رجال حاشيته الخصوصية..

وأذكر ما حدث مرة عندما سمعته وهو يطعن المرحوم الفريق حيدر (باشا) فى ظهره..

وكان الفريق حيدر باشا قد حاول أن يقوم بنصحه، ولكن الملك لم يستمع إليه..

قال له: يا مولانا الناس بتتكلم عن سهراتك بعد منتصف الليل..

وثار فاروق فى وجه الفريق حيدر (باشا) وهو يقول له:

- مش ناقص إلا أنت كمان علشان تتدخل فى شئوني الخصوصية..

وكانت هذه النصيحة كافية لأن يقرر فاروق عدم السماح للفريق حيدر (باشا) بمقابلته مرة أخرى..

وتدخلت عناصر الفساد فى حاشية الملك الخصوصية لإثارة الملك ضد الفريق حيدر(باشا)..

وكان أن أقنعت الملك بأن يتخلص منه بإبعاده عن الجيش..

قالت للملك.. إن الفريق حيدر(باشا) (شاخ).. أى أنه تقدم فى السن، وأن موازينه قد إختلت.. وبالتالي فإن تخاريفه قد تزايدت..

وكان هدف هذه العناصر أن يؤدى إبعاد الفريق حيدر (باشا) عن الجيش أن تسنح لها فرصة التدخل فى شئونه..

ووافق الملك على التخلص من حيدر باشا..

ولكن حيدر باشا لم يستسلم، وكان أن وقف بحزم فى وجه الملك.. ولعلها أول مرة التى يعرف فيها عن الأزمة التى نشبت بينه وبين الملك فى تلك الأيام..

* * *

كنت شاهدا على تفاصيل ما حدث فى قصة الملك مع الفريق حيدر باشا..

ومما أذكره أن هذه القصة بدأت فى أوائل شهر مارس سنة ١٩٥٢ أى قبل الثورة بعدة أشهر..

كنت فى مكتبي فى شركة سعيدة للطيران عندما اتصل بى حيدر باشا فى التليفون، وطلب مني أن أوافيه بسرعة فى مكتبه قائلا.. إنه يريد استشارتي فى مسألة هامة للغاية...

وذهبت إليه ليبادرني بقوله:

- إيه ياسيدى حكاية محمد حسن، ماله وما لنا؟ ..

قلت له: حكاية إيه يا باشا؟..

قال لى: تصور.. الراجل ده حيودى البلد كلها فى داهية.. دخل فى دماغ الملك حكاية تعيين حسين فريد رئيسا لهيئة أركان حرب الجيش.. ودي حكاية بطالة خالص..

كان الفريق حيدر (باشا) يتكلم وهو فى أشد حالات العصبية والانفعال عن دور محمد حسن وراء رغبة الملك فى تعيين حسين فريد فى هذا المنصب..

قال لى: أعمل معروف عاوزك تقول للملك كلمتين إثنين.. قوله.. أنا مقدرش أتعاون مع حسين فريد، ومستعد أتعاون مع أى واحد من العناصر الأخرى فى الجيش.. وإذا أصر الملك على تعيينه.. أنا حاستقيل..

ولم يكن فى وسعى إلا أن أعمل على تهدئة ثورة حيدر(باشا) ثم وعدته بأن أتكلم مع الملك فى الموضوع..

وأخذ الرجل يروى لى كيف حاول حسين فريد أن يتحداه فى أحد اجتماعات نادى الضباط عندما تعمد أن يترك النادى بينما كان يلقى خطابا مما لفت أنظار الضباط وأثارسخطهم على حسين فريد..

وقال لى.. أن مركزه قد تحرج كثيرا، وأنه اضطر أن يتمالك نفسه، وأن يستمر فى إلقاء خطابه..

وأكثر من ذلك قال حيدر (باشا) إنه حاول أن يطلب مقابلة الملك، ليعترض على قرار تعيين حسين فريد رئيسا لهيئة أركان الجيش، ولكن الملك الذى كان واقعا تحت تأثير محمد حسن وعناصر الفساد فى الحاشية الخصوصية، أخذ يتهرب من مقابلته..

* * *

ذهبت إلى الملك ونقلت إليه رسالة حيدر (باشا) حرفيا..

وكانت مفاجأة عندما قال لى الملك:

- ياسيدى إذا كان عايز يستقيل يتفضل..

قلت له: يا أفندم مين يحل مكانه فى منصبه كقائد عام للقوات المسلحة..

قال الملك بسرعة وكان فى أشد حالات الانفعال: المنصب ده حألغيه ومش حأحط فيه حد خالص..

وأدركت أن الملك قد وجد الفرصة مواتية لكى يتلخص من حيدر(باشا)، ومما فهمته إنه كان يفكر فى استدعاء حيدر لمقابلته ليقول له هذا الكلام بنفسه، ولكنه أنتهز فرصة محاولتي التدخل وألقى على عاتقي مسئولية نقل هذه الرسالة إليه..

ولم أكن أعرف أن الموقف قد تأزم بين الملك وحيدر (باشا) إلى هذا الحد، كما لم يكن فى وسعى أن أتصور أن يقرر الملك التخلص منه بهذه البساطة..

* * *

شعرت بالحرج الشديد، فقد كانت تربطني بحيدر (باشا) صلة صداقة قوية، وكنت فى نفس الوقت أحترم الرجل، وأعرف مدى إخلاصه وتفانيه فى خدمة الملك، وقد عز عليّ أن أقول له: الملك بيقول لك يجب أن تستقيل..

وكان أن عدت إلى مكتبي حيث بقيت فيه أكثر من ساعتين وأنا أفكر فى المهمة التى ألقاها الملك على عاتقى قبل أن أتصل بحيدر (باشا) فى التليفون لأتفق معه على موعد للاجتماع به..

وأخير إستقر تفكيري على رأى، وهو أن أنقل إليه شطرا واحد من الرسالة ولكن مع التحريف المناسب حتى لا أجرح مشاعره..

وهذا ما حدث بالضبط عندما التقيت به..

قلت له: لقد تأثر الملك لتصميمك على الاستقالة، وقال لى بالحرف الواحد..

- اعمل إيه إذا كان حيدر عاوز يسيبني فى الوقت الحرج ده..

كما قلت له أيضا حتى أطيب خاطره:

- الملك كان زى اللى حيبكى لما سمع أنك عاوز تستقيل.. وقال لى.. أنه مش حيحط حد فى منصبك إكراما لخاطرك..

كنت أريد أن أقول له الملك يريدك أن تستقيل، ولكن بطريقة دبلوماسية مهذبة، ولكننى لم أستطع فقد خانني التعبير..

كنت أعرف خطورة التحريف الذى أدخلته على رسالة الملك، ومع ذلك لم أتردد فى تمثيل دورى والاستمرار فى اللعبة حتى آخر شوط فيها..

ولا أعرف كيف تطور الحديث بعد ذلك بينى وبين الفريق حيدر (باشا)، فقد استطعت إقناعه بأن يبقى فى منصبه فترة أخرى من الوقت..

قلت له: الوقت غير مناسب للاستقالة..

وكانت مناقشة طويلة انتهت بموافقة طويلة انتهت على مضض، على تعيين حسين فريد رئيسا لهيئة أركان حرب الجيش..

* * *

تركت حيدر (باشا) لأذهب إلى الملك فى نفس اليوم..

ولم يكن أمامى إلا أن أقوم بعملية تحريف أخرى، فى نقل آراء حيدر (باشا) إلى الملك وكان أن عكست صورة هذه الآراء وأنا أقول له:

- تصور يا أفندم حيدر(باشا) تألم بشدة عندما عرف أنك زعلت، وقال لى إنه لم يكن يريد أن تتطور المسألة لهذا الحد بمعنى أنه يستقيل..

كنت ألعب بالنار.. وأنا أحرف فى آراء حيدر(باشا)..

ولم أكف عن محاولتي لإصلاح ما بين الملك وحيدر(باشا)، إلا عندما سمعت الملك وهو يقول لى:

- طيب ياسيدى خليه قاعد..

قالها الملك وهو فى أشد حالات السخط..

وكان واضحا أن علاقته بالفريق حيدر(باشا) قد أنتهت تماما..

* * *

صدر مرسوم تعيين حسين فريد رئيسا لأركان حرب الجيش فى يوم ١٣مارس سنة ١٩٥٢، وكان هذا المرسوم قد تعطل لمدة عشرة أيام كاملة بسبب اتصالاتي مع حيدر(باشا)..

وكانت بعض عناصر الفساد فى الحاشية الخصوصية للملك قد حاولت فى تلك الأثناء أن تعرقل جهودي وحدث أن اتصل واحد منهم بى فى التليفون، ثم قال لى:

- إيه يا أخى حكاية حيدر بتاعتك؟ ..

قلت له: الملك عاوزه يبقى فى منصبه..

قال لى: يبقى فى منصبه إزاى.. هو أنت فاكر أنى كنت أتدخل فى المسألة إلا إذا كنت مالي أيدي من حسين فريد.. ده راجل عظيم..

قلت له: والله.. أنا لا أعرف حسين فريد.. وعمري فى حياتى ما كلمته كلمتين على بعض.. ولا أعرف زيد من عبيد.. وأنا كنت فى الحكاية كلها مجرد حامل رسالات من وإلى الملك.. !

وأنتفض صوت الرجل فى التليفون بالغضب وهو يقول لى:

- كان أحسن لك متدخلش فى الحكاية دى.. !

ولم ينتظر الرجل حتى أرد عليه، وقام بإغلاق سماعة التليفون..

أخذت أضرب كفا بكف بعد أن أنهى الرجل مكالمته التليفونية معى، محاولا أن أعرف ماذا كان يعنيه بمثل هذا الكلام..

وكان تصورى فى بادئ الأمر أنه يعمل على تهديدي حتى أكف عن التدخل فى الموضوع..

ولم يكن فى وسعى إلا أن أقنع نفسى بأنه كان يعبر عن سخطه بعد أن نجحت فى إقناع الملك، بالإبقاء على الفريق حيدر(باشا) فى منصبه..

وكل ما أستطيع أن أقوله هو أن حيدر باشا قد تعرض لمؤامرة دنيئة دبرها ضده بعض رجال الحاشية الخصوصية، وبعض أصدقاء الملك الذين وثق فيهم فجأة ورفعهم إلى مناصب الوزراء.. !

لقد أرادوا أن يتخلصوا منه حتى يتسنى لهم التدخل فى شئون الجيش..!

* * *



اصطحب فاروق ناريمان إلى أحد المسارح فى روما، وعندما ظهرت إحدى عشيقاته على المسرح، وضع يده على كتف ناريمان حتى يثير غيرة عشيقته وفجأة ترك ناريمان وحدها، وذهب ليلتقى بعشيقته وراء المسرح !

عندما قالت أصيلة هانم لفاروق :
إنت واطى .. وروت .. ؟

وما حدث فى نفس اليوم الذى قامت فيه ثورة ٢٣يوليو سنة١٩٥٢؟

كانت زوجتي وأولادي فى الإسكندرية.

وعندما تأزم الموقف، وقام الجيش بمحاصرة قصر رأس التين فى ٢٦ يوليو سنة١٩٥٢، قررت أن أنام فى القصر، ولكن الملك أمرني بأن أعود إلى بيتي.

وحاولت إقناع الملك حتى يسمح لى بأن أبقى إلى جاوره، ولكنه أصر على رأيه، وهو يطلب إلى أن أترك القصر.

قال لى: روح لمراتك وأولادك.

وتركت قصر رأس التين، وكانت آخر مرة أرى فيها فاروق.

ومرت الأيام بعد أن حملته السفينة المحروسة التى أصبح اسمها الآن (الحرية) مع ناريمان إلى إيطاليا بعد أن وقع وثيقة تنازله عن العرش.

ومما سمعته من ناريمان بعد أن طلقت من فاروق وعودتها من إيطاليا، أن حديثا دار بينها وبين فاروق على ظهر السفينة المحروسة.

قالت له ناريمان: ياخساره.. لو كنت خليت عمى مصطفى إستني فى قصر رأس التين، مش كان سافر معانا.

وأطرق فاروق قليلا، وكان فى أشد حالات الحزن بعد طرده من مصر، ثم ابتسم وهو يقول لها:

- هو أنا عارف إن كنا حنقدر نصرف على أنفسنا لما عاوزاني كمان أصرف عليه.

كان هذا هو رده على ناريمان، وقد تعمد أن يقول لها هذا الكلام أمام ضباط السفينة المحروسة متصورا أن فى وسعه أن يثير عطف هؤلاء الضباط وشفقتهم عليه.

ولكن فاروق كان فى نفس الوقت مطمئنا فقد هرّب جانبا كبيرا من ثروته إلى الخارج، وكان شعوره دائما بأن عليه أن يتأهب لمواجهة ثورة الشعب والجيش ضده.

وأنا على يقين بأنه كان يعرف تماما عندما حملته الباخرة المحروسة إنه لن يعود مرة أخرى إلى العرش.

* * *

قررت بعد تنازل فاروق عن العرش أن أعود إلى عملي.

كان على أن أعيش كمواطن عادى، ولم يكن يهمني كثيرا أن أبدأ من جديد. أي من الصفر كما يقول المثل..

وكان أن ذهبت إلى مكتبي فى شركة (سعيدة) للطيران، ثم أخذت فى مباشرة عملي فى هدوء.

وجاءني فى تلك الأيام رجل لا أعرفه، وطلب مقابلتي، ولما استقبلته قال لى وهو يكاد أن يهمس فى أذنى... أن لديه معلومات أكيدة بأن جماعة من الشبان قد كلفوا بالسفر إلى كابرى لاغتيال فاروق وناريمان.

ولم أتمالك نفسى من الانزعاج، فقد خشيت أن تذهب ناريمان ضحية بريئة فى قصة فاروق.

وكان أن أمسكت بسماعة التليفون، ثم قمت بالاتصال بأصيلة هانم والدة ناريمان.

قلت لها بعد أن نقلت إليها تفاصيل ما سمعته من الرجل من معلومات:

- إعملي معروف متكلميش حد فى الموضوع ده حتى أقوم بالاتصال بالمسئولين لمعرفة أصل الحكاية.

ولكن أصيلة هانم لم تسمع النصيحة، وكان أن أخذت تتصرف من تلقاء نفسها.

وكان أن قامت بالاتصال بعلى ماهر(باشا) رئيس الوزراء فى تلك الأيام.. أي بعد الثورة، وقالت له، وهى تكاد تصرخ فى سماعة التليفون:

- إلحق فيه جماعة من الشبان حتسافر إلى كابرى علشان يقتلوا ناريمان. وكان طبيعيا أن يسألها رئيس الوزراء:

- من قال لك الحكاية ديه؟

قالت له:

- واحد زار مصطفى صادق فى المكتب وحذره من الموضوع ده.

وكان طبيعيا أن يهتم على ماهر بالموضوع، وأذكر أن أحد رجال المباحث قد زارنى فى اليوم التالي ليستفسر منى عن تفاصيل القصة التى سمعتها من الرجل الذى لم يسبق لى أن قابلته.

وجاء فى نفس الوقت عثمان خليل وكان مديرا للجيزة إلى مكتبي ليباشر بنفسه تحقيقا طويلا معى.

وكان طبيعيا أن أروى له كل ما سمعته من الرجل..

فاروق يضرب ناريمان:

ولا يعرف كثيرون أن ناريمان كانت تتصل فى كل يوم تليفونيا بوالدتها أصيلة هانم فى القاهرة منذ وصولها مع فاروق إلى كابرى.

ولم يكن رجال الثورة يعترضون على تلك المكالمات التليفونية.

كانوا يراقبونها فى صمت، ويكتفون بتسجيليها باعتبارها مكالمات خارجية.

ومرت عدة أسابيع ثم أنتقل فاروق من كابرى إلى روما.

وفى روما بدأت متاعب ناريمان ومشاحناتها معه..

وكان طبيعيا أن تأخذ اتصالات ناريمان مع والدتها أصيلة هانم فى التليفون لونا آخر.

كانت ناريمان تبكى وتتوسل إلى أمها أن تعمل على إنقاذها.

وفى إحدى المرات قالت لأمها:

- أنا بموت.. فاروق حيقتلنى.

وأرسلت ناريمان فى تلك الأيام رسالة إلى والدتها تقول لها فيها بالحرف الواحد:

- أنا مش طايقة أقعد دقيقة واحدة فى إيطاليا، فاروق بيضربني وبيطول أيده وحكايته زادت.. وقد وصلت به درجة الهوس أنه يعزمنى معاه فى إحدى السهرات.. وبعدين يسيبنى لوحدى ويقعد مع أرتيست فى الطرابيزة إللي أمامى.

* * *

وروت ناريمان فى رسالة أخرى كيف أنها ذهبت لتناول العشاء مع فاروق فى أحد الكازينوهات فى روما، وفجأة تركها فاروق لتجلس وحدها، ثم ذهب بحجة أنه يريد أن يقابل أحد أصدقائه.. قال لها إنه لن يغيب عنها أكثر من خمس دقائق.

ومرت نصف ساعة ولم يعد فاروق، ثم مرت ساعة كاملة.. ولم يعد أيضا وقامت ناريمان من مكانها لتذهب إلى دورة المياه، وكانت المفاجأة عندما رأت فاروق جاسا فى البار، وكان يحتضن إحدى الغانيات الإيطاليات وثارت ناريمان فى وجه فاروق، وكادت أن تسبب له فضيحة.

ولكن فجأة أنهارت أعصابها لتسقط على الأرض مغشيا عليها.

وأضطر فاروق لأن يحمل ناريمان بين يديه، ثم يقوم بنقلها فى سيارته إلى البيت وهى فى أشد حالات الإعياء والانهيار العصبي.

شروط فاروق للطلاق:

ولم تنتظر أصيلة هانم، وبادرت بحمل رسائل ناريمان، ثم ذهبت بها إلى المسئولين فى مجلس قيادة الثورة.

قالت لهم.. أن فاروق سيقتل إبنتها، وأنها تريدها أن تعود من إيطاليا بأى ثمن.

وطلبت إليهم أن يصرحوا لها بالسفر إلى روما لإنقاذ ناريمان من براثن فاروق.

ولم يمانع المسئولون فى مجلس قيادة الثورة، وكان أن وافقوا على منح أصيلة هانم التصريح المطلوب لتسافر إلى إيطاليا.

وفى روما صدمت الأم بمنظر ابنتها.

كانت هزيلة، وقد شحب لونها..

وعرفت أن إبنتها الوحيدة قد فقدت ما يزيد على العشرة كيلو جرامات من وزنها فى أقل من شهرين.

وأمسكت أصيلة هانم بخناق فاروق.

قالت له: أنت واطى.. ودون.. وعمرك ما بتعرف الأصول.. وعلشان كده أنا عاوزه بنتي معايا.

وقال لها فاروق: ما فيش مانع بس إسكتى وبلاش فضايح.

ولم تتمالك أصيلة هانم نفسها من الغضب وهى ترد عليه قائلة:

- مش حأسكت إلا إذا أخذت البنت معايا.

- قال لها فاروق:

- أخرسي أنا مش عايزك تدخلي فى شئوني.

ونشبت مشادة كلامية بين الاثنين فرشت أصيلة هانم أثناءها الملاية لفاروق.

وكانت أول مرة يسمع فيها فاروق كلاما لاذعا وقاسيا.

وحاول فاروق أن يسكتها... وهو يقول لها متوسلا:

- ياستى إعملي معروف بلاش فضايح وزعيق.

قالت له: بقى حصل اللى حصل وأنت أخذت البنت معاك علشان تبهدلها فى الغربة.. الحق عليها اللى سفرت معاك.. وواحدة غيرها كانت سابتك وقعدت فى بلدها.

قال لها: هو أنا عملت إيه؟

قالت له بالحرف الواحد:

- ولا حاجه.. ياسى فاروق، كان ناقص تعلقها من شعرها وتنزل فيها ضرب، كفاية إنك ضربتها قلمين..

* * *

كانت أول مرة تنادى أصيلة هانم فاروق باسمه مجردا من كل لقب.. ولم تكتف بذلك، وقالت له: ياسى فاروق.. وأسرع، هو يرد عليها قائلا:

- إسكتى أحسن لك.

ثم إلتفت ناحية ناريمان.. وقال لها:

- خلى الولية أمك تسكت، أحسن أوريها شغلها.

ولم تسكت أصيلة هانم، واستمرت تقول له:

- عاوزه البنت.. حأخذها معايا.

قال لها: خديها.. وروحي أنت وهيه فى داهية.

ولم تنتظر ناريمان، وبادرت بالتوجه إلى حجرتها حيث أخذت تجمع حاجاتها فى حقائبها.

وفجأة إنفجرت تبكى بحرقة... كانت تريد أن تبقى بجانب فاروق.

كانت تحبه فعلا، ولكنها كانت تكره فيه معاملته السيئة لها بالدرجة التى كانت تثير فيها الرغبة للهروب من الحياة إلى جانبه.

ولكن أصيلة هانم ظلت تلاحقها، وهى تدفعها للإسراع فى تجهيز حقائبها كانت تقول لها: أنت بتعيطى على إيه.. شدي حيلك بسرعة علشان تهربي بعمرك قبل ما يغير رأيه.

* * *

أسرعت ناريمان تعد حقائبها.

كانت تبكى وتولول لأن فاروق قال لها: روحي أنت وأمك فى داهية.

وعرف فاروق أنها تبكى فتوجه إلى حجرتها الخاصة حيث إستلقي على سريره حتى يمثل أمامها دور عدم المهتم بهجرتها له.

ولكنه لم يبق فى حجرتها طويلا، فقد خرج فجأة من حجرته ليقول لناريمان، وكانت قد فرغت من إعداد حقائبها:

- مش حاتخرجى من هنا، فاهمة.

وأنبرت أصيلة هانم تتدخل فى الموقف وهى تقول له:

- يعنى إيه الكلام ده ياسى فاروق؟



الأمير أحمد فؤاد الابن الأول للملكة ناريمان يقف أمام صورة لجده الملك فؤاد وجدته الملكة نازلي

قال لها: علشان تمشى لازم تنسى أنها كانت مراتى فى يوم من الأيام، وتنسى كمان أن لها إبن منى.. ده ابنى مش أبنها.

كان تصوره أن فى وسعه أن يمنع ناريمان من أن تهجره بفرض مثل ذلك الشرط القاسي عليها.

وأدمعت عينا ناريمان وهى تقول لفاروق:

- يعنى مش عايزنى أشوفه قبل ما أسافر.

قال لها: ولا ده كمان.. تمشى من غير ما تشوفيه.

وأضطرت ناريمان لأن تترك الفيلا التى كانت تعيش فيها مع فاروق فى ضواحي روما دون أن تودع أبنها.

* * *

إن آخر ما كان يتصوره فاروق هو أن تهجره ناريمان.

وفى رأيى أنه كان يريدها أن تبقى إلى جانبه فى المنفى، ولكنه إضطر لأن يخضع ولأن يسمح لها بالسفر تخلصا من أصيلة هانم التى كانت تسبه وتشتمه بأقذع الألفاظ.

وحاولت ناريمان أن تتوسل إليه قبل أن تغادر الفيلا ليسمح لها بأن ترى أبنها، ولو لدقيقة واحدة. وهى تقول له:

- عاوزه أبوسه بوسه واحدة.. إعمل معروف.

ورفض فاروق بعناد وهو يقول لها:

- أنا قلت كلمة واحدة.. مادام حتسافرى مستحيل تشوفيه

وتسللت ناريمان إلى حجرتها لتدس فى إحدى حقائبها صورة كبيرة لأبنها كما أخذت معها قطعة صغيرة من ملابسه..

كانت عبارة عن بافته حريرية..

وقد ظلت ناريمان تحتفظ بهذه (البافته) بصفة دائمة فى حقيبة يدها حتى إلتقت بأبنها بعد أن أصبح شابا كبيرا .

وبعد وفاة فاروق!.



ناريمان تطفى شمعة واحدة فى الاحتفال الوحيد والأخير
الذى اشتركت فيه بعيد ميلاد ابنها قبل طلاقها من فاروق!

تدخل المحامى فسمح لها فاروق بأن ترى ابنها لمرة واحدة !

يجب أن أعود قليلا إلى ناريمان بعد أن أنجبت لفاروق أبنه الولد، وقبل أن يطرد من مصر..

أنه لم يسمح لها، وهى الأم بأن تقترب من أبنها إلا بإذن منه.

وكان فى رأيه أن ناريمان قد أدت مهمتها بعد أن أنجبت له هذا الطفل.

وهكذا تفرغ بنفسه لتربية أبنه، ولم يعد يهتم كثيرا بناريمان أو بشعور أمومتها تجاه طفلها.

وكان أن أحاطه بنظام غريب كله كمادات طبية وأجهزة معقمة.

وكانت تعليمات فاروق لمدام (تابوريه) مربية الطفل:

- مش عاوز حد يلمسه أو يقرب منه حتى أمه.

وقد ظلت ناريمان، بسبب هذه التعليمات تذهب إلى فاروق فى كل مرة كانت تريد أن ترى أبنها، وتتوسل إليه حتى يسمح لها بالاقتراب من الطفل.

ولم يكن فاروق يوافق على أن تحمل ناريمان طفلها بين ذراعيها أكثر من عدة دقائق، ولمرة واحدة فى كل أسبوع أو أسبوعين.

ولكن مدام تابوريه مربية الطفل كانت تعطف على ناريمان فكانت تتسلل سرا بين الآونة والأخرى إليها، وهى تحمل الطفل حتى تراه أمه.

وكانت تقول لناريمان: شيلية شويه.. بس من غير ما تقولي للملك.

وحاولت مرة أن أعرف سبب هذه التعليمات الغريبة والترتيبات التى وضعها فاروق لتربية أبنه، ليقول لى أحد رجال الحاشية الخصوصيين:

- إن فاروق ظل يعيش فى حالة رعب شديد خشيه أن يموت الطفل.

وكان فى تصوره أن مثل هذه الكمادات والأجهزة المعقمة يمكن أن تحمى أبنه من الموت!

وفى يوم ٢٦يوليو عندما طرد فاروق من مصر ذهبت مدام (تابوريه) معه على ظهر الباخرة المحروسة.

وكانت قد أضطرت لأن تسافر معه بسرعة فلم تحمل ملابسها معها..

وبقيت هذه الملابس فى القصر الملكى.

ومما سمعته أنها أرسلت إلى المسئولين فى مجلس قيادة الثورة فى القاهرة من روما تطلب هذه الملابس، وقد تم إرسال هذه الملابس إليها فى ثلاث حقائب.

وكما سبق أن قلت كان شرط فاروق الأساسي للطلاق هو أن تنسى ناريمان أن لها إبنا منه.

وبمعنى آخر.. أراد أن يحرمها من رؤية هذا الأبن.

وحاولت ناريمان بعد عودتها إلى القاهرة وبعد أن حصلت على الطلاق من فاروق، أن تكتب إليه لتطمئن على ابنها.

وكان أن أرسلت إليه أكثر من عشرة خطابات دون أن يرد عليها.

ولما لم تفلح جميع محاولاتها مع فاروق، بادرت بالكتابة إلى مدام (تابوريه) مربية الطفل.

قالت لها أنها تريد أن تطمئن على أبنها.

وبعثت المربية الرد خلسة إلى ناريمان، وكان يتضمن نصيحة لها بأن تكتب إلى محامى فاروق الإيطالي فى روما ليعمل على إقناع فاروق بأن يسمح لها بأن ترى الطفل ولو مرة واحدة فى كل سنة أو سنتين.

وعملت ناريمان بنصيحة مربية الطفل، وكان أن كتبت إلى المحامى الإيطالي.

ورد عليها الرجل برسالة رقيقة قال لها فيها.. إنه قد تكلم مع فاروق بشأن رغبتها فى رؤية أبنها، وقد وعد بأن يسهل لها رؤية الطفل.. ولكن بعد أربعة أشهر.

رأت أبنها مرة واحدة:

ومرت الأشهر الأربعة دون أن تتلقى ناريمان كلمة واحدة من المحامى الإيطالي.

وكان أن أدت تلح من جديد، وتطلب أن يسمح لها فاروق برؤية أبنها.

ولا أريد أن أقول أنها توسلت كثيرا، كما ذرفت كل ما استطاعت من الدموع حتى تنازل فاروق عن شرطه وسمح لها برؤية الطفل.

وكانت ناريمان قد سافرت إلى جنيف فى سويسرا لتجرى إحدى العمليات الجراحية.. وفى الطريق عرجت على روما لترى أبنها بناء على اتفاق سابق وتدبير من المحامي الإيطالي.

ومما سمعته أنها ذهبت بنفسها إلى فيلا فاروق بصحبة محاميه الإيطالي.

ولم يكن فاروق موجودا فى الفيلا ولما سألت ناريمان عنه، قيل لها أنه قد ترك الفيلا قبل وصولها إليها بربع ساعة.

وكان الطفل فى انتظارها، وبجواره مدام تابوريه مربيته الخصوصية.

وتصورت ناريمان أن فاروق تنازل عن شرطة الأساسي، وأنه سيسمح لها بين الآونة والأخرى برؤية أبنها.

ولكننى أعرف فاروق، وأعرف أنه رجل شاذ ولا يمكن أن يستقر أبدا على رأى أو قرار.. ولذلك كان رأيى الذى قلته لناريمان قبل سفرها إلى روما وعندما عرفت بموافقة فاروق على السماح لها برؤية أبنها أنه لن يسمح لها برؤية أبنها إلا لمرة واحدة حتى يزيد من عذابها..

وكما توقعت .. أنه لم يسمح لها إلا لمرة واحدة برؤية الطفل.

ويبدو أنه قد ندم على ذلك، فلم يسمح لها بعد ذلك برؤيته مرة أخرى حتى وفاته...

وأذكر أن مدام تابوريه مربية الطفل قد بعثت إلى ناريمان برسالة من روما على أثر عودتها إلى القاهرة..

وفى هذه الرسالة روت مربية الطفل ما حدث بعد مغادرتها الفيلا على أثر رؤيتها لأبنها.

قالت لها: أن فاروق عاد إلى الفيلا ليجرى تحقيقا مع كل خدمه وحراسه عن ناريمان.

كان يسأل عن كل شئ عنها حتى عن لون الفستان التى كانت ترتديه، وقد ظل أكثر من الساعتين يحقق مع مدام (تابوريه) ليعرف منها تفاصيل المقابلة التى تمت بين ناريمان وأبنها.

* * *

قرأت بنفسى رسالة مربية الطفل، واستطعت أن أتصور وأنا أجرى بعيني بين سطورها جانبا من الانفعالات النفسية التى اختلجت فى نفس فاروق فى ذلك اليوم.

ولا أريد أن أقول: أننى وقد عشت قريبا منه قبل أن يطرد من مصر، أكاد أن أقول أننى الوحيد الذى استطاع أن يفسر الكثير من تصرفاته.

وكشفت لى رسالة مدام (تابوريه) عن حقيقة مثيرة، وهى أن فاروق كان حتى تلك اللحظة ما يزال على حبه القديم لناريمان، ولكنه كان فى نفس الوقت ناقما عليها لأنها استمعت إلى نصيحة أمها أصيلة هانم عندما هجرته، وطلبت الطلاق منه.

وكان اعتقادي أيضا أن ناريمان كانت هى الأخرى حتى تلك اللحظة على حبها القديم لفاروق، بحيث كانت على استعداد للعودة إليه.. إلا أنها كانت فى نفس الوقت فى خوف دائم من أن يعود فيسئ معاملته لها بالدرجة التى دفعتها لأن تستغيث بأمها أصيلة هانم من إيطاليا.

وأن تطلب الطلاق من فاروق!

* * *



صورة عائلية تجمع بين الزوجين فاروق وناريمان ومعهما بنات الملك من الزوجة السابقة الملكة فريدة.. والصورة داخل حديقة قصر عابدين.

أزمة في القصر لأن فائزة قالت لناريمان : فستانك موديله بلدي.. !

ساءت العلاقات بين ناريمان وبنات فاروق من السيدة صافيناز ذو الفقار إلى حد كبير أثناء إقامتها معهن فى إيطاليا وقبل طلاقها من فاروق..

والسبب فى رأيى.. أنها لم تحاول أبدا أن تكون على علاقة طيبة معهن، فقد كانت تغار من فريال،وقد حاولت أكثر من مرة أن تمثل معها دور زوجة الأب،وفى اعتقادي.. أن جانبا كبيرا من متاعبها مع فاروق بعد طرده من مصر، وقبل أن تهجره، يرجع إلى عدم تفاهمها مع بناته وخاصة مع فريال..

أنها لم تقم بأى محاولة لكى تكسب صداقة أى واحدة منهن، وعندما كانت ناريمان فى مصر، وقبل أن يطرد فاروق لم تحاول أيضا أن تكسب صداقة أى واحدة من أخواته..

كانت تغار منهن، وكانت تنتهز كل فرصة لتشكو تصرفاتهن إلى فاروق..

وحاولت أكثر من مرة أن أقنعها حتى لا تتدخل بين الملك وأخوته..

ولكن وصيفات القصر لعبن دورا خطيرا فى إثارة الخلاف بين ناريمان وبين الأميرة السابقة فائزة بالذات..

وأذكر ما حدث عندما اتصلت بى ناريمان مرة فى التليفون، وكانت تبكى وهى تقول.. أنها تريدني بسرعة..

وذهبت إليها لتفاجئني بقصة غريبة..

كانت ثائرة لأن إحدى الوصيفات قالت لها أن الأميرة السابقة فائزة قد وصفت أحد فساتينها بأن موديله بلدي..

قلت لها كعادتى: أهدى يا ناريمان.. أنت مش أد المتاعب.. ومقالب القصر..

قالت لى: لا يا أونكل.. أنا حاوريها شغلها علشان تبطل تقول الكلام ده على فساتيني..

* * *

كانت ناريمان شديدة الحساسية لكل الأنتقادات التى كانت السيدات يوجهنها إلى فساتينها.. والسبب أن فاروق لم يكن يسمح لها بأن تختار أى فستان بنفسها، فقد كان هو الذى يختار لها الفساتين بنفسه.. وعندما كان يقضى معها شهر العسل فى (كان) بالريفييرا كان ينظم عروضا خاصة بالأزياء فى الفندق الذى كان يقيم فيه ليختار لها بنفسه الفساتين التى تحتاج إليها..

وحدث مرة أن أبدت مدام كحيل ملاحظة عابرة على أحد فساتين ناريمان..

كانت تجلس بجوارها على مائدة فى شرفة الفندق وكان الحديث كله يدور عن الموضة..

وتطرق الحديث إلى الفستان الذى كانت ترتديه ناريمان، عندما قالت مدام كحيل:

- الفستان فيه عيب باين..

وثارت ناريمان وهى تقول لها:

- وأنت مالك..

كانت ناريمان تتكلم بعصبية ونرفزة بحيث اضطررت مدام أده كحيل لأن تنسحب، وأن تترك مكانها لتذهب إلى حجرتها..

وانفعلت ناريمان، وهى تقول:

- دى إهانة.. إزاى تقوم من غير ما تستأذن.. هى فهماني إيه..؟

وجاء فاروق فى تلك الأثناء، فأخذت ناريمان تبكى، وهى تقول له:

- مهما حصل ما كنش يجب أبدا أنها تقوم وتهيني بالشكل ده..

وأخذ فاروق يقهقه، وهو يقول لها:

- ماتزعليش نفسك أنا حاوريها شغلها..

ثم ألتفت ناحيتي، وهو يقول لى:

- روح يا مصطفى قول لمدام كحيل الملك مش عاوز يشوف وشك تانى، وبيقول لك خذي هدومك وسافري..

وذهبت إلى مدام كحيل لأنقل إليها رسالة الملك بطريقة لا تجرح شعورها، ولكنها انفجرت تبكى وهى تقول لى:

- إزاى يطردوني بالصورة دى..

وكنت أعرف أن فاروق يعز مدام كحيل ويحترمها.. كان يستشيرها فى الكثير من شئونه..

كانت علاقة بها مزيجا من علاقات الأمومة والحب..

وكان حبه لها يرتبط إلى حد كبير بشعوره بالحرمان من عطف أمه عليه..

ولم أنتظر، وبادرت بالذهاب إلى ناريمان ونصحتها بأن تطلب بنفسها إلى الملك أن يغفر لمدام كحيل خطئها..

قلت لها: إيه يحصل لما يفوق لنفسه ويصالحها وتكوني أنت السبب..

وأسرعت ناريمان تطلب من الملك أن يصفح عن مدام كحيل..!

* * *

وكما سبق أن قلت كانت ناريمان تكره أخوات فاروق وتغار منهن..

وعلى العكس كان شعور هؤلاء الأخوات..

لقد حاولن أن يمنحن ناريمان الفرصة..

وأذكر أن فائزة، ولم تكن غادرت مصر نهائيا قد قامت بزيارة ناريمان فى بيتها بعد أن عادت إلى مصر على أثر إنفصالها عن فاروق..

كما دعتها فائقة لتناول العشاء فى بيتها..

لقد كنت معها عندما ذهبت إلى بيت فائقة..

ولأول مرة عرفت ناريمان شعور أخوات فاروق نحوها... وعرفت أن الوصيفات كن سبب كل متاعبها مع هؤلاء الأخوات..

كانت صغيرة السن فاندفعت بلا خبرة أو تجربة تصدق كل الأقاويل التى كانت تسمعها من الوصيفات..

وبكت ناريمان وهى تغادر بيت فائقة بعد أن تناولت العشاء فى ضيافتها..

ثم التفتت ناحيتى وهى تقول لى: فائقة دى ست عظيمة، ومكنتش عارفة كده.

قلت لها: ياما قلت لك الكلام ده، وعمرك ما سمعتي كلامي..!

إن ناريمان لم تكن تملك إلا البكاء، فقد كانت عندما تقع فى ورطة تبكى.. وتصورت بعد أن حصلت على الطلاق من فاروق

أن الشقاء الذى لقيته فى حياتها كملكة سينتهي مع نهاية قصتها مع فاروق ولكنها كانت كما قلت ما تزال تحب فاروق..

وفى اعتقادي أنها لم ترحب بالزواج بسرعة بأدهم النقيب بعد طلاقها من فاروق إلا لكى تنسى هذا الحب..

وكنت فى تلك الأيام قد سافرت إلى الكويت..

وكانت ناريمان فى تلك الأثناء فى القاهرة..

وتلقيت منها رسالة تقول فيها أنها ستتزوج من أدهم النقيب..

لم أكن قد تقابلت معه من قبل.. كما لم أكن قد سبق لى أن رأيته فى حياتى مرة واحدة..

ولم يكن فى وسعى إلا أن أرحب بهذا الزواج وكان أن أرسلت إلى ناريمان أهنئها ولكن هذا الزواج لم يستمر طويلا..





زفاف ناريمان على الزوج الثانى الدكتور أدهم النقيب

أرادت أن تهرب من حبها لفاروق.. فتزوجت أدهم النقيب..!

تزوجت ناريمان أدهم النقيب..

كانت ما تزال تحب فاروق، وكانت تريد أن تعود إليه، ولكنها كانت خائفة من أن يسئ فاروق معاملتها من جديد..

وفى رأيى أنها لم تتزوج أدهم النقيب إلا لكى تنسى حبها لفاروق.. ولكن أدهم كانت له شروط كثيرة.. ولم تستطع ناريمان أن تعيش معه دقيقة واحدة بسبب هذه الشروط..

وكان أن أسرعت بالهروب منه..

وكما سمعت فى تلك الأيام.. بدأت العلاقة بين أدهم وناريمان فى الإسكندرية..

وكانت ناريمان قد سافرت إليها لتستجم بعد المجهود الشاق الذى بذلته حتى حصلت على الطلاق من فاروق..

وفى الإسكندرية مهدت عقيلة النقيب أخت أدهم لهذا الزواج..

كانت على صداقة متينة مع ناريمان منذ أن كانت ملكة، وقد ظلت هذه الصداقة تربط بينهما بعد أن عادت إلى مصر..

وفى الإسكندرية كانت عقيلة تزور ناريمان بين الآونة والأخرى.. وفى إحدى المرات اصطحبت أخاها الدكتور أدهم، وعرفته بناريمان كان شابا دمث الأخلاق هادئ الطبع..

واقترح أدهم على ناريمان أن تقبل دعوة لقضاء السهرة فى أحد كازينوهات الإسكندرية..

ولم تمانع ناريمان.. كانت قد حصلت على الطلاق من فاروق..

وكانت أول مرة تظهر فيها فى مكان عام منذ أن عادت إلى مصر..

ورقصت ناريمان مع أدهم فى تلك الليلة، ولم تعد إلى البيت قبل الساعة الثالثة صباحا..

وفى اليوم التالى جاءت عقيلة إلى ناريمان.. وقالت لها:

- أدهم عاوز يتجوزك.. إيه رأيك؟ ..

وضحكت ناريمان وهى تقول لها:

- والنبي أسكتي يا عقيلة.. أدهم شاب لطيف.. بس أنا لسه ما صدقت خلصت لما حاتجوز تانى..

ولم تسكت عقيلة، وظلت لمدة ساعة كاملة وهى تحاول أن تقنع ناريمان بالزواج من أخيها..

قالت لها.. أنه بعد أن أعادها إلى البيت ظل ساهرا طول الليل، وهو يفكر فيها، وأنه قد جاء لزيارتها فى الصباح، ليطلب إليها أن تخطب له ناريمان..

وكان فى رأى ناريمان أنها وقد جربت الزواج مرة ترى أن تتريث قليلا قبل أن تقبل على زواج جديد..

وهكذا لم توافق ناريمان كما لم ترفض هذه الدعوة للزواج فى بادئ الأمر..

وتكررت زيارات أدهم النقيب لها فى البيت مع أخته عقيلة..

كما تكررت دعواته لها لتخرج معه.. وكانت ناريمان تقبل هذه الدعوات.

وكانت فى كل مرة ترقص معه حتى منتصف الليل.. وتوثقت العلاقة بين الاثنين، وكانت ناريمان تتوقع أن يفاجئها أدهم فى

إحدى المرات فيتقدم إليها بنفسه ليطلب منها أن تقبل الزواج به ولكنه كان خجولا، وقد إكتفي بتحريض أخته على أن تتقدم بهذا لطلب إليها نيابة عنه..

* * *

وكما قلت من قبل.. كنت قد سافرت إلى الكويت سعيا وراء وظيفة بها..

ولم يكن فى جيبى أكثر من عشرين جنيها.. وهو المبلغ الذى كان يسمح للمسافر بأن يحمله معه فى جيبه عند الخروج من مصر..

وعند وصولي إلى الكويت حاولت أن أتصل تليفونيا بصديق قديم كنت قد التقيت به أثناء رحلة شهر العسل مع فاروق وناريمان فى مدينة كان..

إنه عزت جعفر وكان يعمل رئيسا لديوان سمو أمير الكويت فى تلك الأيام.. كان أملى الوحيد فى أن يجد لى وظيفة..

وكانت المفاجأة.. عندما أكتشفت أن عزت جعفر لم يكن موجودا فى الكويت.. وقيل لى.. إنه قد سافر فى رحلة إلى خارج الكويت..

وأنهارت آمالى كلها فى دقيقة واحدة حتى أننى قررت أن أعود على نفس الطائرة إلى القاهرة..

ولكن فجأة وجدت بارقة أمل جديد مع صديق آخر إلتقيت به مصادفة فى المطار..

إنه السيد مساعد الصالح وكيل شركة مصر للطيران فى الكويت فى تلك الأيام..

كانت تربطني به علاقة صداقة قوية، وقد دعاني لأن أبقى فى ضيافته حتى يعود الأمير عبد الله المبارك من رحلة كان يقوم بها فى الخارج..

وفى تلك الأثناء عاد عزت جعفر ليفاجئ بوجودي فى الكويت..

وقرر الرجل أن يقدمني إلى الأمير عبد الله المبارك بعد عودته، وأن يعاونني فى الحصول على الوظيفة التى أريدها..

وعاد الأمير من رحلته، لأقوم بزيارته بصحبة عزت جعفر ومساعد الصالح وسألني الأمير قائلا:

كنت بتعمل إيه فى مصر.. ؟

قلت له: كنت مديرا لشركة سعيدة للطيران..

قال الأمير: إيه رأيك.. نعينك مديرا للطيران فى الكويت؟ ...

ودمعت عيناي عندما تقدمت إلى الأمير لأشكره على ما حباني به من عطف كبير..

واستدعاني الأمير بعد أربعة أيام ليكلفنى بالسفر إلى لندن، وهو يقول لى:

- عاوزين نعمل مدرسة لتعليم الطيران فى الكويت..

قلت له: بسيطة خالص.. نشترى طائرات تدريب.. ونجيب كام طيار للتعليم..

قال: تسافر إلى لندن لتقوم بشراء الطيارات المطلوبة..

وكلفني فى نفس الوقت بالتعاقد مع عدد من الطيارين للعمل على هذه الطائرات.

وسافرت إلى لندن حيث تعاقدت على شراء ثماني طائرات، كما تعاقدت مع الطيارين المعلمين، وكان غالبيتهم من الطيارين المصري.

برقية من أصيلة هانم:

أستقر حالي فى الكويت، وخاصة بعد تعيني مديرا لمصلحة الطيران المدني..

وكان أن أخذت أعمل بكل جهدى لتنظيم هذه المصلحة..

وكانت المشكلة الرئيسية أن كل الطائرات التى إشتريناها تحمل تسجيلا إنجليزيا، وعلامات الطيران الإنجليزية..

وقررنا أن يكون للكويت تسجيل كويتي مستقل وأن تحمل كل طائرة علامات خاصة بالكويت..

وبذلت جهودا كثيرة ساعيا حتى تمكنا من الحصول على إعتراف منظمات الطيران الدولية بهذا التسجيل، وبهذه العلامات..

وصدقوني.. كنت قد نسيت كل شئ عن ناريمان وقصتها مع أدهم النقيب فى تلك الأثناء..

كنت مشغولا للغاية بعملي الجديد، وكان آخر ما يمكن أن يتبادر إلى ذهنى هو أن علاقاتها به ستنتهى إلى الزواج..

وفى أحد الأيام، ولم يكن قد مر على سفري إلى الكويت أكثر من أربعة أشهر تلقيت من أصيلة هانم برقية تقول أن ناريمان تزمع الزواج من أدهم النقيب..

وكما سبق أن قلت لم أكن قد رأيت أدهم فى حياتى حتى تلك اللحظة..

إننى لم أقابله مرة واحدة، ورغم هذا فقد رحبت بهذا الزواج من كل قلبي.

كنت سعيدا لأن ناريمان ستتزوج..

وتصورت أن حياتها مع أدهم ستجعلها تنسي حبها لفاروق..

وأذكر إننى كتبت رسالة إلى أصيلة هانم أقترح فيها أن تعرض على أدهم العمل فى الكويت..

قلت لها: أن أدهم يحمل شهادة زميل من كلية الجراحين الملكية فى لندن، وأنا على استعداد لمساعدته فى الحصول على وظيفة جراح فى مستشفى الكويت الأميري..

وأذكر أننى قد سعيت فعلا لدى بعض المسئولين فى الكويت لتعيينه فى هذه الوظيفة.. وكان هدفى أن تبتعد ناريمان فى حياتها الجديدة عن الأضواء، وأن تبدأ حياتها من جديد إلى جانب زوجها قريبة منى حتى يتسنى لى أن أرعاها وأن أهتم بشئونها كما كنت أرعاها فى حياتها إلى جانب فاروق.. !



ناريمان وأدهم وابتسامة فى يوم زفافهما

كان اعتقادي أن ناريمان يمكن أن تجد سعادتها الزوجية مع أدهم..

ولكن فجأة أخذ الشقاق يدب بسرعة بينها وبينه..

وأدركت ذلك من رسائلها التى كانت تبعث بها إليّ فى الكويت..

كانت تفيض ألما وتبرما بحياتها الجديدة..

وفى إحدى هذه الرسائل أخذت تشكو إلى صراحة من أشياء كثيرة.. وهى تقول لى:

- تصور يا أونكل.. أدهم مش حاسس بيه خالص..

ثم أخذت تحدثني عن تصرفات أدهم التى أثارت متاعبها معه..

كانت تشكو لأنها طلبت منه أن يصطحبها مرة إلى الإسكندرية، وفوجئت به يقول لها:

- خذي العربية وروحي لوحدك..

قالت له: أنا عاوزه أسافر بالليل، وما قدرش أسافر لوحدى..

قال لها: الطريق الصحراوى أمان.. حتخافى من إيه.؟

* * *

كانت هذه المناقشة سببا فى مشادة حادة بين ناريمان وأدهم النقيب..

واستطعت وأنا فى الكويت أن أتصور جانبا من العوامل النفسية التى أدت إلى تدهور العلاقة الزوجية بين أدهم وناريمان..

وفى رأيى أن أدهم لم يفهم ناريمان على حقيقتها، وبالتالي لم يعرف كيف يسوسها؟ ..

لقد عاشت مع فاروق أشبه بسجينة..

كانت تتكلم بحساب، وكانت تتحرك من مكانها بحساب..

وكان فاروق إلى جوارها يبدو عنيفا فى كل تصرفاته معها، وكان يسيطر عليها ويعاملها معاملة قاسية للغاية..

وتزوجت ناريمان أدهم لتجد معاملته من نوع آخر..

كانت مشاعره مرهفة للغاية..

وكان رقيقا أكثر من اللازم، بحيث تبادر إلى خاطرها أنه يعاملها ببرود مما دعاها لأن تصفه بأنه يبدو أشبه بلوح الثلج..

* * *

وشئ آخر.. استطعت أن ألمسه من رسائل أصيلة هانم التى كنت أتلقاها منها وأنا فى الكويت سببا آخر وراء قصة أدهم وناريمان.. كانت تشكو من بعض الأزمات المالية الحادة التى كان يعانيها أدهم وهى تقول لى.. أن ماهيته لا يمكن أن تكفى لكى ينفق منها على نفسه، وعلى زوجته التى كانت فى يوم من الأيام ملكة تنفق ببذخ وسخاء..

وتصورت من هذه الرسائل أن أدهم يريد من أصيلة هانم أن تعاون فى مصاريف البيت..

أنها لم تقل شيئا بهذا المعنى، ولكنها كانت فى كل رسائلها تشير إلى متاعب أدهم المالية، وإلى مشاحناته بسبب ما كان يعانيه من أزمات مالية..

وكانت هذه الرسائل سببا فى أننى أرسلت إليها لكى تقترح عليه أن يوافق على العمل فى الكويت.. ولكن أصيلة هانم لم تتحمس أبدا لهذا الاقتراح فقد كانت تعارض بكل قوة أن تسافر ناريمان إلى الكويت مع أدهم..

وأذكر أنها أرسلت لى مرة تقول:

- إصرف النظر يا مصطفى عن حكاية الكويت لأن أدهم غير موافق، وحجته أن حر الكويت شديد، وإنه لا يستطيع تحمل وطأة هذا الحر .. !

أصيلة هانم .. هى السبب:

كانت أصيلة هانم سبب الكثير من المشاحنات التى وقعت بين أدهم وناريمان، فقد كانت تتدخل فى كل شئونهما..

وفى اعتقادي أنها كانت سبب فشل هذا الزواج، كما كانت سببا فى الكثير من متاعب ناريمان مع فاروق..

وكشفت ناريمان عن موقف أمها فى حديث دار بينى وبينها فى بيروت على أثر إنفصالها عن أدهم، وكان أدهم قد رفع عليها قضية يطلب عودتها إليه فى بيت الطاعة..

وكنت قد حاولت إقناع ناريمان بأن تعود إلى أدهم فى بيت الطاعة..

وثارت أصيلة هانم فى وجهى، ولم أتمالك نفسى من الدهشة وأنا أقول لناريمان:

- إن وضعك غير طبيعي.. كما أنه كان غير طبيعيًا من الأصل.. وكان لازم تعالجي أمورك بخطة مرسومة بدل الحال اللى أنت فيه دلوقتى..

وبكت ناريمان.. وهى تقول لى:

وأعمل أيه يا أونكل..

قلت لها: المسألة مش زى ما أنت متصورة.. جواز .. وطلاق..

ثم أخذت أضع لها النقط على الحروف حتى تتفهم حقيقة موقفها..

لقد تصورت أن طلاقها من فاروق سيكون نهاية متاعبها معه، ولكن هذه المتاعب ظلت تلاحقها، ولم تنته أبدا..

وأذكر أننى قلت لها: ما دام قد فشلت فى البقاء مع فاروق بأى شكل..

فلا أقل من أن تعيشي مع زوجك الثاني بصرف النظر عن الاعتبارات المالية أو المؤثرات الأخرى التى هددت حياتك الزوجية..

وقلت لها:

- أنت حتحطمى حياتك بالطريقة دى.. ولازم ترجعي لأدهم بأى شكل، لأن الزواج والطلاق مسألة مش بسيطة..

وردت عليّ ناريمان وكانت الدموع ما تزال تملأ عينيها:

- وحكم الطاعة يا أونكل.. أعمل فيه إيه.. ؟

قلت لها.. وأنت إيه اللى مأخرك عن طاعة زوجك.. ؟

ثم استطردت أقول لها:

- روحي له برجليكى فى بيت الطاعة، وجربى تعيشي معاه بعيدا عن كل مؤثر خارجي سواء من أهلك أو من أهله..

واقتنعت ناريمان، وهى تقول لى:

- لك حق يا أونكل.. أنا لازم أرجع له.. هو حيعمل فىّ إيه..

وحاولت أصيلة هانم أن تتدخل، ولكن ناريمان قالت لها:

- لأ ياماما .. أونكل له حق..

وكانت المفاجأة عندما قالت لها أصيلة هانم:

- وسى أدهم يصرف عليكي منين؟

قالت ناريمان.. لنا رب.. نقدر برضه نفتح بيت..

وأسرعت أقول لناريمان:

- يعنى لو كان جه يشتغل فى الكويت مش كنت لقيت له وظيفة كويسة..

قالت ناريمان بسرعة، وهى تشير إلى أمها أصيلة هانم:

- أهى كانت السبب..

وعرفت أن أصيلة هانم كانت هى التى عملت على إقناع ادهم برفض فكرة العمل فى الكويت.. !

* * *

أعود إلى ناريمان عندما هربت من أدهم النقيب..

كانت قد سافرت إلى سويسرا لتعالج نفسها من أحد الأمراض النسائية..

وكان أحد الأطباء قد نصحها بأن تجرى عملية جراحية..

وتلقيت منها فى تلك الأثناء رسالة.. كانت تشكو لأنها كتبت إلى أدهم النقيب تقول له.. أنها تعتزم إجراء هذه العملية، ولم يرد عليها أدهم..

واتصلت ناريمان بعد أن تماثلت للشفاء بمحامى فاروق فى روما وطلبت إليه أن يسعى لإقناع الملك السابق حتى يسمح لها برؤية أبنها..

ووافق فاروق بعد أن ظل المحامى يلح عليه أكثر من أسبوع..

والشيء الذى أعرفه تماما هو أن ناريمان لم يكن قد تبادر إلى ذهنها أى تفكير حول طلاقها من أدهم حتى تلك اللحظة..

كانت تعلم إنه غاضب منها..

وقد انتهزت الفرصة لتكتب إليه مرة أخرى لتصالحه..

وكان تدبيرها أن تذهب إلى روما لترى أبنها لأول مرة، ثم تعود إلى سويسرا لتستكمل علاجها..

وكان فى توقعها أن تجد رد أدهم النقيب فى انتظارها...

وعادت ناريمان إلى جنيف فى سويسرا لتجد أن أدهم لم يكلف خاطره بالرد عليها ولكن رسالة أخرى كانت فى انتظارها.. كانت رسالة إحدى قريباتها يقول لها فيها:

- إن أدهم قد نشر حديثا فى إحدى المجلات المصرية يهاجمها بعنف..

وبكت ناريمان كعادتها عندما تقع فى ورطه..

إنها لم تعرف ما يجب عليها أن تفعله.. وكان فى تصورها أن أدهم قد تجنى عليها..

وكان أن قالت لأمها: أنا مش راجعه مصر..

ووافقت الأم، وهى تقول لابنتها نروح لبنان.. ومن هناك تخلى المحامى يرفع عليه قضية طلاق..

قالت لها ناريمان: مظبوط.. أنا مش عاوزه أعيش معاه.. لازم أتطلق..

* * *

سافرت ناريمان إلى لبنان..

كانت تريد أن تتطلق من أدهم النقيب بأى شكل..

وعرفت بقرارها من رسالة تلقيتها منها بعد وصولها إلى بيروت..

واضطررت لأن أحصل على أجازه لمدة أسبوع، ثم ركبت أول طائرة إلى لبنان..

وفوجئت بناريمان، وكانت فى حالة إنهيار تام، وكانت تبكى بطريقة هستيرية، ثم أخذت تصرخ فى وجهى وهى تقول:

- حاموت نفسى.. إذا ما كنتش أتطلق..

وأضطررت لأن أوافقها على رأيها فى بادئ الأمر حتى أهدئ من روعها..

وكان الاتفاق على أن نسير فى إجراءات الطلاق..

وقبل أن أعود إلى الكويت إشترطت على السيدة أصيلة هانم أن تبقى إلى جانب ناريمان..

وسافرت ناريمان فى تلك الأثناء إلى المملكة العربية السعودية..



العاهل السعودى الملك عبد العزيز يتلقى هدية من الدكتور النقيب

ذهبت إلى جلالة الملك سعود، والتمست منه أن يتوسط لإقناع أدهم بطلاقها..

وفى السعودية روت للملك قصة حياتها فى لبنان، ثم أخذت تبكى له، وهى تحكى له ظروف حياتها بعيدة عن مصر..

وقالت له: أنها باعت مجوهراتها فى لبنان لكى تعيش..

وأكرم الملك سعود وفادتها وأمر بأن تنزل ضيفة على قصر الحريم بالرياض..

* * *

الشىء الذى أستطيع أن أؤكده.. هو أن ناريمان أحبت أدهم فى أول حياتها معه، وكانت سعيدة بزواجها به..

كانت تتكلم عنه فى رسائلها إلى الكويت بحماسة..

ولكن أدهم لم يفهم حقيقة مشاعر ناريمان، وبالتالي لم يحاول أن يكسبها إلى جانبه..

إنه لم يدرك أبدا أن هذه الفتاة قد صادفت فى حياتها تقلبات غريبة وشاذة..

ولم يدرك أن ناريمان البنت (الدلوعة) التى كانت وحيدة والديها قد أصبحت فجأة ملكة، وأنها عاشت فى جو غريب يمتلئ بالغرائب والشذوذ..

كما لم يدرك أن فاروق كان يقسو عليها وإنه كان يعمل دائما على إذلالها..

وأن هذه التقلبات كانت تثير فى نفسها كوامن كثيرة..

وعندما تزوجت ناريمان أدهم.. لم تتصور أبدا أنه سيعاملها ببرود، وقد فوجئت به وهو يطلب إليها أن تقود سيارتها وحدها إلى الإسكندرية فى الطريق الصحراوى أثناء الليل..

كانت تريد أن يغار عليها ، ولكنه لم يحاول.. ولم يفعل.. !
وكان أن فشل زواجها من أدهم..

* * *





قام أمين فهيم سكرتير فاروق بوداع ناريمان فى مطار روما .. أما فاروق فلم يكلف خاطره بأن يقوم بوداعها، وتناسى تضحيتها الكبيرة عندما تركت بلدها واصطحبته لتعيش معه فى حياة المنفى بعد طرده من مصر!

..ويتكلم شاهد آخر هو أمين فهيم سكرتير فاروق الخاص بعد طرده من مصر؟

كان أمين فهيم يعمل دبلوماسيا فى سفارة مصر فى روما، ثم إستقال بعد ثورة ٢٣يوليو ليعمل سكرتيرا خاصا لفاروق لمدة ثلاث سنوات قبل أن يعود إلى مصر..

لقد كان يعيش مع فاروق فى نفس الفيلا التى أستأجرها الملك السابق ليقيم فيها مع ناريمان فى ضواحي مدينة روما بعد تنازله عن العرش، وطرده من مصر..

وشهد الرجل قصة ناريمان مع فاروق عندما طلبت إليه الطلاق..

إنه شاهد على جانب من حياتها مع فاروق قبل أن يتم طلاقها منه..

وهو الوحيد الذى عرف الكثير من التفاصيل عن الخلافات التى دبت بينها وبين فاروق فى حياتها إلى جانبه وقبل أن تطلب الطلاق منه، وكثيرا ما كان يتدخل لمحاولة الصلح بينهما..

وهذه هى بعض التفاصيل المثيرة فى قصة ناريمان بعد طلاقها من فاروق كما يرويها أمين فهيم بنفسه..



كانت هذه الصورة لناريمان وهى تتناول العشاء مع أمين فهيم سببًا فى أزمة بين فاروق وسكرتيره!

الفصل السابع عشر

عصابة دولية تغدر بناريمان !

أخذ أمين فهيم يقلب فى أوراقه القديمة، ثم التفت ناحيتى ليروى لى جانبا من قصة ناريمان بعد طلاقها من فاروق، وهو يقول:

- كانت ناريمان تحتفظ فى بيت والدتها السيدة أصيلة هانم بمجموعة من المجوهرات التى أهداها إليها فاروق بعد أن أصبحت ملكة، ولما طلقت ناريمان من فاروق عادت إلى مصر لتتزوج من أدهم النقيب، ولكنها لم تلبث أن تقدمت إلى المسئولين فى مجلس قيادة الثورة تطلب إليهم السماح لها بالسفر إلى سويسرا..

قالت.. إنها تريد زيارة أبنها من فاروق..

ووافق هؤلاء المسئولون على السماح لناريمان بالسفر إلى الخارج حتى لا يحرموا أما من رؤية أبنها، ولم يكن يهم كثيرا فى تلك الأيام أن تكون الأم هى ناريمان، وأن يكون الطفل هو إبن فاروق..

وكانت ناريمان قد قامت فى أواخر سنة١٩٥٤ بتهريب مجموعة مجوهراتها التى كانت ما تزال فى القاهرة بمساعدة واحدة من أخطر عصابات التهريب الدولية، وحاول بعض أفراد هذه العصابة الدولية النصب عليها، كما هو ثابت فى محاضر قاضى التحقيق فى لوزان بسويسرا، إلا أننى تدخلت فى الوقت المناسب بناء على طلب ناريمان، واستطعت بالتهديد ثم بمساعدة أثنين من مفتشي البوليس السويسري من إنقاذ هذه المجوهرات وإعادتها إلى ناريمان.. !

قلت له: وأين ذهبت هذه المجوهرات ؟ ..

قال أمين فهيم:

- فى تصورى أنها ما تزال تحتفظ بها حتى الآن فى خزانة أحد البنوك السويسرية !

أثارتني هذه القصة، وبادرت أسال أمين فهيم عن تفاصيل ما حدث بالضبط.

وابتسم سكرتير فاروق السابق فى شهادته التى وصفها بأنها لوجه الله والتاريخ، ثم أخرج من درج مكتبه كراسة صغيرة قال إنه قد سجل فيها بعض ذكرياته المهمة عندما كان يعمل سكرتيرا لفاروق.

وأخذ الرجل يقلب صفحات الكراسة الصغيرة، وهو يجرى بعينيه بين الأسطر المكتوبة بخط يده، ثم توقف عند إحدى الصفحات، وأخذ يراجع ما جاء فيها من تفاصيل، وبعدها إلتفت ناحيتى، وهو يقول:

- استخدمت ناريمان بعد عودتها إلى القاهرة سيدة سويسرية كانت متزوجة من مواطن مصري كان يعمل فى أحد فنادق القاهرة اسمها فيوليت على..

ولعبت هذه السيدة دورا أساسيا فى قصة تهريب مجوهرات ناريمان إلى الخارج..

وكانت أصيلة هانم.. ولا أريد أن أقول ناريمان، قد طلبت إلى هذه السيدة أن تبحث لها عن وسيلة لتهريب مجوهرات ابنتها إلى الخارج..

قالت لها.. إنها تخشى أن يضبط رجال الجمارك هذه المجوهرات إذا ما حاولت ناريمان أن تحملها معها عند سفرها إلى سويسرا لزيارة أبنها من الملك السابق فاروق..

وذهبت مدام فيوليت إلى ((خياطة)) ناريمان وكانت صديقة لها، لتقدمها إلى طبيب يهودي يحمل الجنسية النمساوية وكان يعمل

فى القاهرة واسمه الدكتور كورن وهى تقول لها.. إنه الرجل الذى يستطيع أن يساعد أصيلة هانم على تهريب مجوهرات ناريمان إلى الخارج..

وابتسم الدكتور كورن، وهو يقول لمدام فيوليت أن عنده خطة لتهريب هذه المجوهرات، ولكن عليه أن يستعين فى تنفيذها بصحفي فرنسي كان يعمل مراسلا لإحدى المجلات الفرنسية فى القاهرة واسمه ((ريتشارد ديدييه)) وبرجل أعمال يهودي كان يعيش أيضا فى القاهرة، واسمه موريس هراري !

ثم أخذ يحدثها عن الصحفى الفرنسي، وهو يقول لها.. إنه كان يعمل فى الأمم المتحدة، وإن له نفوذا كبيرًا فى الكثير من بلدان العالم..

أما موريس هراري فقد سبق أن قام بتهريب ١٥ألف جنيه لحساب ناريمان إلى الخارج، وكان نصيبه من هذا المبلغ ٧٠٠٠جنيه كعمولة..

أى أنه أخذ لنفسه هذا المبلغ، وأعطى لناريمان ٨٠٠٠جنيه فقط!

* * *

وما حدث بعد ذلك ؟ ..

يقول أمين فهيم.. إن موعدا تحدد لتسليم المجوهرات لأعضاء العصابة الدولية..

وفى الموعد المحدد توجهت السيدة أصيلة هانم ومعها فيوليت على إلى بيت خياطة ناريمان..

وهناك تم تسليم ٤٤ قطعة من المجوهرات إلى موريس هراري ليقوم بتهريبها، وتسليمها إلى ناريمان فى سويسرا..

وكان الاتفاق على أن يتم تهريب هذه المجوهرات مقابل مبلغ ٦٠٠٠جنيه وعدت أصيلة هانم بدفعها إلى موريس هراري بمجرد تسلم ابنتها للمجوهرات..

وسألت السيدة أصيلة عن الطريقة التى ستتم بها عملية تهريب المجوهرات..

وكان الجواب.. أن الصحفى الفرنسي ريتشارد ديدييه قد أعد خطة كاملة لتهريب هذه المجوهرات..

وأنه قد أتفق مع أحد الضباط الإنجليز فى منطقة قناة السويس بالقيام بعملية تهريب المجوهرات عن طريق إحدى القواعد البريطانية فى ليبيا..

قالت السيدة أصيلة:

- ومتى سيتم تسليم المجوهرات إلى ناريمان فى سويسرا ؟ ..

وكان الجواب أيضا:

- بعد وصولها إلى لوزان بعدة أيام ! ..

* * *

المهم.. سافرت ناريمان وبصحبتها أصيلة هانم إلى سويسرا بعد أن حصلت على موافقة المسئولين فى مجلس قيادة الثورة على الترخيص لها بالسفر..

وكان موريس هراري قد حدد لها أسم رجل فرنسي يعمل فى سويسرا أسمه ((ريتشارد جيدياه)) ..

قال لها .. إنه سيكون الوسيط بينها وبين أفراد عصابة التهريب الدولية أثناء عملية تسليم المجوهرات..

وقد قامت أصيلة هانم بالاتصال بهذا الرجل عدة مرات، ولكنه ظل يماطل ويتذرع بالحجج الواهية..

ومرت عدة أسابيع، ثم وصل الصحفى الفرنسي إلى لوزان ليقول لناريمان إن المجوهرات فى الطريق، ثم عمل على إقناعها بفكرة بيع المجوهرات بمجرد أن تقوم باستلامها، وشراء عمارة مبنية على نظام الفنادق الخاصة التى يطلقون عليها فى سويسرا اسم (هوتيل باجين).

قال لها.. إن ثمن هذه العمارة ١,١٠٠,٠٠٠ فرنك سويسري .. أى حوالى ١١٠ آلاف جنيه.. وهو مبلغ يقرب من قيمة المجوهرات.. وأن مثل هذه العمارة يمكن أن تدر عليها دخلا شهريا محترما..

واقتنعت ناريمان بسرعة بهذه الفكرة، فقد كانت فى ورطة وتصورت أنها بامتلاكها مثل هذه العمارة يمكن أن توفر لنفسها دخلا يساعدها على أن تعيش فى لوزان بالقرب من أبنها الطفل..

ولم يكن قد تبادر إلى خاطرها حتى تلك اللحظة أنها قد وقعت فى حبائل واحدة من أخطر عصابات التهريب الدولية!

وأراد الصحفى الفرنسي أن يثير الطمأنينة فى نفس ناريمان، وكان أن قدم إليها محاميا شابا فى جنيف من أصدقائه واسمه مسيو جلبير ديبول..

وقام هذا المحامى بإعداد عقد شراء العمارة.. ثم قامت ناريمان بالتوقيع على هذا العقد.. ووقع عليه أيضا صاحب العمارة، وكان اسمه مسيو جروبيه! ..

* * *

ومرت عدة أسابيع دون أن تصل المجوهرات..

وكان أن أخذ القلق يساور ناريمان ووالدتها أصيلة هانم..

وجاء الصحفى الفرنسي فى تلك الأثناء برواية غريبة تقول:

- إن المجوهرات ضبطت أثناء عملية تهريبها فى أحد المطارات الإنجليزية، وأن المطلوب هو دفع قيمتها ٢٣ألف جنيه إلى وزارة

الخزانة البريطانية حتى يتسنى الإفراج عنها ونقلها إلى سويسرا لتتسلمها ناريمان.. !

وهنا يقول أمين فهيم.. كانت قيمة هذه المجوهرات لا تقل عن ١٠٠ ألف جنيه، ولم تجد ناريمان ما تفعله إلا أن تستغيث به..

ولم ينتظر أمين فهيم، وكان قد استقال من عمله إلى جانب فاروق، وبادر بالسفر إلى سويسرا..

وفى فندق لوزان بالاس.. وهو الفندق الذى كانت ناريمان تقيم فيه مع والدتها أصيلة هانم سمع الرجل لأول مرة تفاصيل قصة تهريب المجوهرات التى تورطت فيها ناريمان..

كما سمع قصة العمارة التى تعاقدت ناريمان على شرائها على أن تدفع ثمنها بعد أن تقوم ببيع المجوهرات..

وابتسم سكرتير فاروق السابق، وهو يقول لها:

- الظاهر الجماعة دول عاوزين يبيعوا لك الترام!

وأدركت أصيلة هانم ما كان أمين فهيم يعنيه، فأخذت تصرخ، وهى تصيح:

- يا خبتك يا ناريمان..

وكانت فضيحة أثارت نزلاء الفندق لعدة أسابيع!

* * *

المهم.. لم ينتظر أمين فهيم وقام - وكانت ناريمان بصحبته - بمقابلة الصحفى الفرنسي ديدييه فى أحد مقاهي جنيف..

وكان اللقاء عاصفا أنتهى بأن هدد أمين فهيم بالشكوى لدى منظمة البوليس الجنائي الدولي التى اشتهرت باسم "الإنتربول"..

وأدرك الصحفى الفرنسي أن لعبة العصابة الدولية ستنكشف فانهارت أعصابه، وطلب منحه لمدة ٢٤ساعة حتى يتسنى له الإتصال بزميليه الدكتور كورن وموريس هرارى فى القاهرة..

قال.. إنه سيبعث إليهما للحضور فورا إلى لوزان

ويقلب سكرتير فاروق السابق فى الكراسة التى سجل فيها ذكرياته، ثم يستطرد فى حديثه، وهو يقول لى:

كان هذا اللقاء فى يوم ١٥يناير سنة ١٩٥٥.

ومرت ٢٤ساعة، ثم وصل الدكتور كورن إلى لوزان..

وفى يوم ٢٠يناير حضر موريس هراري بنفسه إلى فندق لوزان بالاس ليقابل ناريمان على انفراد.. قال إنه يريد أن يطمئنها على أن المجوهرات لم تفقد..

ثم قدم إليها قطعتين من المجوهرات كدليل على سلامتها..

وأثناء هذا اللقاء طلب هرارى أن تدفع ناريمان ١٤٥٠٠ جنيه كأتعاب العصابة بدلا من ستة آلاف جنيه..

ووافقت ناريمان..

وتم الاتفاق على أن يودع هراري المجوهرات لدى مسيو جلبير ديبول المحامى الشاب الذى قام بإعداد عقد شراء ناريمان للعمارة، على أن تقوم ناريمان باستلام المجوهرات بعد أن تدفع إليه المبلغ المطلوب .. !

* * *

ويقول أمين فهيم.. إنه عرف بتفاصيل هذا الاتفاق فلم يتمالك نفسه من الغضب..

ولم ينتظر وقام بالاتصال بهراري فى جنيف بالتليفون من حجرة مكتب مدير الفندق دون أن يستأذن ناريمان.. وقال له أمام مدير الفندق:

- أنا أعرف أن لك مصالح كثيرة فى القاهرة، ولذلك ليس أمامك سوى ٢٤ساعة حتى تقوم بتسليم المجوهرات إلى ناريمان وإلا فإنني لن أتردد فى الاتصال بالرئيس عبد الناصر فى التليفون، وإبلاغه بتفاصيل عمليات تهريب المجوهرات التى تقوم بها..

وحاول موريس هراري أن يقول شيئا، ولكن أمين فهيم قاطعة بسرعة وهو يقول له:

- الساعة الآن ١٢ظهرا فإذا لم تصلنا المجوهرات فى الساعة ١٢ظهر الغد فإنني أحذرك بأنني سأقوم بالاتصال بالرئيس عبد الناصر فى الساعة عشرة وخمس دقائق !

كان التهديد سافرا وواضحا..

ويستطرد السكرتير السابق لفاروق، وهو يقول:

- كانت المفاجأة بعد ساعتين عندما وصل هراري من جنيف ليطلب إلى، وهو فى أشد حالات الإنهيار الموافقة على أن تجرى عملية تسليم المجوهرات بعد ٤٨ساعة ..

وأدركت ما أثاره تهديدي من انفعالات فى نفسه..

كان يعمل مع عصابته الدولية فى تهريب التحف الثمنية ومجوهرات أسرة محمد على إلى الخارج وتصور الرجل اليهودي أن تهديدي بالاتصال بالرئيس عبد الناصر فى التليفون يمكن أن يضع الأضواء على عملياته السرية، ولذلك قرر أن يستسلم بسرعة..

واتفقنا على أن يتم تسليم المجوهرات فى البوفيه الملحق بمحطة لوزان بعد ٤٨ساعة ..

وفى يوم ٢٢يناير سنة ١٩٥٥ توجهنا إلى المكان الذى اتفقنا عليه أنا وناريمان وأصيلة هانم.. وكان يرافقنا إثنان من مفتشي البوليس السويسري، وهما المعينان لحراسة ناريمان..

ولم يكن فى وسعى إلا أن أتخذ بعض الاحتياطات التى وجدتها ضرورية،

بالاتفاق مع رجلي البوليس السويسري..

وفى الموعد المتفق عليه وصل الدكتور كورن، ومعه موريس هراري، وكان فى أشد حالات الارتباك..

وأشار هراري إلى حقيبة صغيرة كان يحملها فى يده، ثم قال إن المجوهرات بداخلها..

قلت له: إذن ننتقل إلى الفندق حتى يتسنى لأصيلة هانم فحصها والتأكد من سلامتها..

وذهبنا إلى الفندق ليفتح هراري الحقيبة..

وأخذت أصيلة هانم تتفحص المجوهرات، وفجأة صرخت:

- ناقص ثلاث قطع..

وكان رد هراري بسرعة:

- مدام .. تقدري تخصمي ثمنها..

وتدخلت فى الحديث وأنا أقول له:

- أى ثمن يا مسيو هراري ؟ ..

قال الرجل:

- أنا متنازل عن ١٣ ألف جنيه، وعاوز ١٤٥٠٠جنيه أتعاب ! ..

قلت له بسرعة:

- هوه فيه يهودي يتنازل عن قرش واحد !

وبسرعة قمت من مكانى، ثم فتحت الباب ليدخل رجلا البوليس السويسري..

وكانت مفاجأة أنتهت بسحب جوازي سفر هراري والدكتور كورن..

والتفت هراري ناحية أمين فهيم، ثم قال له باللغة العربية:

- أبوس رجلك خلصني من المصيبة ده !

وكانت نهاية القصة فى مكتب قاضى التحقيقات بمدينة لوزان السويسرية..

وهناك جرت مناقشة أطراف القضية.

وكان الاتفاق على أن تدفع ٣٣٩٠٠ فرنك سويسري إلى أفراد العصابة بعد خصم قيمة قطع المجوهرات الثلاث المفقودة..

وأعد محضر يتضمن تفاصيل الاتفاق، وقامت أصيلة هانم بالتوقيع عليه نيابة عن ناريمان..

ووقع عليه اليهودي موريس هرارى نيابة عن شركائه أفراد العصابة !

وكانت نهاية هذه القصة عندما عاد الصحفى الفرنسي ديديه إلى القاهرة ليقبض عليه البوليس فى شهر يونيو ١٩٥٥، وكانت تهمته الاشتراك فى عملية شبيهة للتهريب، وحكم عليه بالسجن لمدة ثلاث سنوات مع الأشغال الشاقة.

* * *

حاشية الفساد اتهمت والد ناريمان قبل وفاته بالدروشة وتحضير الأرواح !

إن ناريمان سيدة فاضلة، وهى واحدة من بنات شعبنا الطيب، وقد كانت فتاة ساذجة وصغيرة، فلم تكن قد تجاوزت الـ ١٦ سنة من عمرها، عندما اختطفها فاروق من عريسها الشاب ليجعل منها ملكة.

ويحتمل كثيرا كما قال عمها مصطفى صادق، وهو يروى ذكرياته عن حياته إلى جانب ناريمان عندما كانت ملكة، أن تكون قد أحبت فاروق، ولكن فاروق كان رجلا تتحكم فيه عقد نفسية كثيرة، وكانت تصرفاته غريبة وشاذة.

وقد يتساءل البعض .. ما الذى أعجب ناريمان فى فاروق حتى أنها أحبته ؟ .

إن أحدا لا يستطيع أن يعرف حقيقة مشاعرها فى تلك الأيام، ولكن هناك من يقول .. أن ناريمان لم تكن تملك أن تقول لا .. عندما تزوجها فاروق ليجعل منها ملكة، كما إن والدها المرحوم حسين صادق لم يكن هو نفسه يملك أن يقول أى شئ .

وفى رأيى .. أن فاروق استطاع بشخصيته الطاغية الغريبة أن يلعب بعواطف ناريمان الفتاة الساذجة حتى أحبته، وقد استطاع أن يسحرها بحياة القصور وبحياتها الجديدة كملكة حتى تمكن من أن يفرض إرادته عليها.

ويحتمل أيضا.. أن يكون شذوذ فاروق هو الذى عمق جذور الحب فى نفس ناريمان عندما كانت ملكة.

وكما سبق أن قال مصطفى صادق.. لقد فكر أخوه المرحوم حسين صادق والد ناريمان فكر فى أن يهرب بها من مصر عندما قالوا له أن فاروق يريد أن يتزوجها.

كانت وحيدته، وقد أراد أن ينقذها من براثن فاروق.

والذى أعرفه، هو أن المرحوم حسين صادق والد ناريمان كان رجلا صالحا وقد عرف بدماثة أخلاقه، وبتصوفه.

وكان فاروق قد طلب على أثر رؤيته لناريمان من نافذة العمارة المواجهة لمحل أحمد نجيب الجواهرجى، وإعجابه بها، إلى القسم المخصوص بوزارة الداخلية، ورجال حاشيته الخصوصية موافاته بتحريات كاملة عن ناريمان وعن أسرتها.

وقد عثر بين أوراق فاروق التى خلفها فى قصر عابدين بعد ثورة ٢٣يوليو على ملف يحتوى على تقارير التحريات التى رفعتها وزارة الداخلية إلى القصر الملكى عن المرحوم حسين صادق والد ناريمان.

كانت كلها تتهم الرجل الطيب (بالدروشة).

وأذكر فقرة جاءت فى واحد فى تلك التقارير وكانت تقول بالحرف الواحد:

- أكدت التحريات أن من عادة المذكور التردد على مسجد سيدنا الحسين والسيدة زينب، وعلى أضرحة أولياء الله الصالحين، وقد عرف عنه أن له أصدقاء كثيرين من المشايخ والصوفيين.

ومما سمعته.. أن بعض عناصر الفساد فى حاشية فاروق الخصوصية، وهى العناصر التى كانت تعارض مشروع زواجه من ناريمان، قد أنتهزت الفرصة لكى توغر صدر فاروق ضد الرجل الطيب والد ناريمان.

وكان أن أخذت تنتقل إلى فاروق تقارير أخرى غريبة عنه بهدف الإساءة إليه، وعلى أمل أن يعدل فاروق عن فكرة زواجه من ناريمان.

وكان أن قالوا لفاروق.. أن المرحوم حسين صادق قد شوهد فى إحدى حلقات الذكر فى أحد الموالد.

كما قالوا له : إن تحريات أخرى تؤكد أن له هواية غريبة، يعرفها عنه بعض أصدقائه من المشايخ، وهى حضور حفلات تحضير الأرواح والعفاريت. ولكن فاروق كان عنيدا.

وكانت قد أعجبته فكرة لطش ناريمان من خطيبها الدكتور محمد زكى هاشم، فلم يهتم كثيرا بكل ما قيل له عن الرجل الطيب المرحوم حسين صادق.

وكان أن استقر رأيه على الزواج من ناريمان، ولما قيل له:

- وماذا عن تقارير التحريات التى رفعت إلى القصر الملكى؟

قال وهو يضحك بطريقته الهستيرية:

- ده كله كلام فارغ.

ثم أبتسم فاروق، وهو يقول لرجال الفساد فى حاشيته الخصوصية:

- عندى الحل.

وكان هذا الحل.. هو إرادة ملكية لم يسبق لها مثيل من قبل.

كانت إرادة فريدة من نوعها، وهى أن يشطب اسم الرجل الطيب والد زوجته الملكة رحمه الله وأكرم مثواه، من الوجود بحيث لا يصبح له مكان فى البروتوكول أو سجلات القصور الملكية.. على أن يذكر فقط فى البيان الرسمى الذى أذاعه الديوان الملكى معلنا خطبة فاروق لناريمان.. أن الملك قد وقع

اختياره على إبنة فلان وحفيدة فلان، دون أدنى إشارة إلى إسم والدها.

وكان هذا يعنى أن يتخفى اسم الرجل الطيب حتى يتم الزواج الملكى.

وأراد الله أن يكرم الرجل الصالح الذى لم يكن راضيا على زواج وحيدته من فاروق فكانت وفاته وهو فى أشد حالات الحزن والأسى.

إنه لم يكن موافقا على زواج ناريمان من فاروق حتى تصبح زوجة للملك وملكة.

وكما سبق أن قال مصطفى صادق.. لقد كان لناريمان عندما تزوجها فاروق مهمة واحدة فى نظر الملك، وهى أن تنجب له الولد الذى كان يريده.

وأحبت ناريمان فاروق.. ولكنه كان غريبا وشاذا فقد أنتظر حتى أنجبت له الولد، وبعدها تغيرت معاملته لها، وأصبحت فى نظره قد أدت دورها..

بمعنى آخر .. أنتهت المهمة التى كانت مطلوبة منها.

وعندما تحطم زواج ناريمان من فاروق بعد أن إصطحبته إلى المنفى بعد ثورة ٢٣يوليو وطرده من مصر، حاولت بعد عودتها إلى مصر أن تنسى حبها لفاروق وكان أن تزوجت أدهم النقيب.

وتحطم هذا الزواج أيضا .. والسبب كما قالت هى نفسها.. أنها لم تستطع أن تحبه لأنه كان باردا كالثلج.

.. وفى يوم ٢٦ يوليو شهدت ناريمان اللحظات التاريخية مع نهاية حكم الملك الأرناؤوطى

إن قصة ناريمان تروى تفاصيل كثيرة عن الأيام الأخيرة فى حياة عائلة الملك الأرناؤوطى التى حكمت مصر لمدة ١٥٠سنة..

أنها تكشف صورة الحياة الغريبة التى كان فاروق يحياها، وهو يحكم مصر..

وحتى لا ننسى .. أعود بذاكرتي إلى يوم حريق القاهرة ...

كان فاروق يجرى فى طرقات القصر الملكى وهو فى أشد حالات القلق والإنزعاج..

وكما قال الصديق مصطفى صادق عم ناريمان.. لقد طلب فاروق إليه، الاتصال بقائد السرب الملكى فى تلك الأيام،لإعداد طائرة هليكوبتر، حتى يتسنى له إستخدامها فى الهروب إلى خارج البلاد..

وكان إعتقاده.. إن الموقف لن يقف عند حريق القاهرة.. وأنه قد يتطور فى اليوم التالى ليهدد حياته بالخطر..

وكان أن قرر أن يهرب قبل أن تغرق به سفينة العرش..

ولكن الموقف أخذ يهدأ، وقد سارت الأمور- من وجهة نظره.. إلى ما هو أحسن، عندما قامت وزارة على ماهر التى تم تشكيلها بسرعة حريق القاهرة، بما طلب إليها أن تقوم به..

وكان أن قام أحمد مرتضى المراغى وزير الداخلية فى حكومة على ماهر باعتقال كل العناصر الوطنية المتحركة، وإيداعها فى

معسكر (هايكستب) .. وهو الاسم الذى كانت تشتهر به منطقة مطار القاهرة الحالي..

المهم.. تصور فاروق أن اعتقال هذه العناصر يمكن أن تهدأ معه العاصفة..

وكان أن اطمأن باله، فعاد إلى لعبته المفضلة التى كان يمارسها فى تلك الأيام وهى تهريب أمواله إلى الخارج..

ولكن وزارة على ماهر لم تستمر فى الحكم إلا خمسة أسابيع..

وجاء أحمد نجيب الهلالي فى شهر مارس سنة١٩٥٢، ليرأس الوزارة، وجاء معه أحمد مرتضى المراغى وزيرا للداخلية..

وفى بادئ الأمر إصطدمت هذه الوزارة بأحمد عبود الذى أصر على أن يحصل لحسابه على حوالى ٦مليون جنيه من ضريبة الأنتاج على السكر، ورفض أن يقوم بتسديدها لخزينة الدولة، وهى التى كان الشعب يدفعها زيادة فى ثمن السكر لتمويل هذه الخزينة..

وبمعني آخر كان يصر على أن تدخل هذه الضريبة إلى جيبه، وأن لا تخرج منه..

ولم تبق وزارة أحمد نجيب الهلالي سوى عدة أسابيع ثم استقالت فى يوم ٢٨يونيو سنة ١٩٥٢..

ولعب وسيطان هما كريم ثابت وإلياس إندراوس دورا فى الضغط على فاروق حتى وافق، وهو جالس فى قاعة القمار بنادي السيارات على تغيير هذه الوزارة..

وتردد فى تلك الأيام إسم بهي الدين بركات كان قد تلكأ فى دفع الثمن الذى كان مطلوبا منه للوسيطين مقابل التخلص من وزارة الهلالي..

ولم ينتظر عبود، وكان أن بادر بدفع الثمن.. وكان طبيعيا أن يختفي إسم بهي الدين بركات كمرشح لرئاسة الوزارة، ليحل مكانه اسم حسين سرى الذى كان يعمل موظفا فى شركات أحمد عبود..

واصطحب حسين سرى معه فى هذه الوزارة كريم ثابت كوزير.. كما أسند منصب وزير الداخلية إلى زوج أبنته محمد هاشم..

وكان ظهور اسم كريم ثابت فى قائمة الوزراء، هو قمة العبث والاستهتار بمصالح شعب مصر..

ولم تبق حكومة حسين سري فى الحكم أكثر من عدة أسابيع هى الأخرى.. ثم استقالت..

وجاء أحمد نجيب الهلالي مرة أخرى فى يوم ٢١يوليو سنة١٩٥٢ رئيسا للوزارة، ومعه أحمد مرتضى المراغى وزيرا للداخلية،، وإسماعيل شرين زوج الأميرة السابقة فوزية أخت فاروق وزيرا للحربية..

ولم تبق هذه الوزارة فى الحكم أكثر من ٤٨ ساعة .. ثم كانت ثورة ٢٣ يوليو..

كان يوما مشهودا فى تاريخ مصر عندما تحركت قوات الجيش عند منتصف الليل فى ليلة ٢٣ يوليو لإنقاذ مصر وشعب مصر من حياة العبث والإستهتار التى كادت أن تؤدى بالبلاد إلى التهلكة..

وعندما خرج الضباط الأحرار فى تلك الليلة ينفذون عملياتهم، كان كل واحد منهم يحمل رأسه على كفه..

ويروى الأميرالاى محمد يوسف رئيس الشئون العربية بوزارة الداخلية فى تلك الأيام فى مذكراته.. كيف استطاع رجال القلم

السياسي أن يتعرفوا على أسماء قادة ثورة الجيش.. وكيف أنه قد قام بنفسه بإبلاغها إلى القصر الملكى وإلى الفريق محمد حيدر باشا قبل أن تتحرك قوات الجيش، ولكن الفريق محمد حيدر لم يهتم كثيرا بالتقارير التى رفعت إليه..

إنه لم يتصور أن يتحرك الجيش ليوجه ضربته إلى الملك الأرناؤوطى الذى كام يحكم مصر !

ومع ساعات الفجر الأولى صباح يوم ٢٣يوليو، إنبرى ضابط شجاع ليعلن بنفسه على الشعب بيان الجيش..

كان صوته، وهو يقول فى الإذاعة:

- إجتازت مصر فترة عصيبة فى تاريخها الأخير من الرشوة والفساد وعدم استقرار الحكم ..الخ..

هو أول صوت يسمعه الشعب عن ثورة الجيش

وكان هذا الضابط هو البكباشى محمد أنور السادات.

لقد ذهب إلى مبنى الإذاعة، ليذيع بنفسه بيان الثورة..

ولم يكن يهمه أن تعرف شخصية أو صوته فى الوقت الذى كان فيه فاروق ما يزال ملكا.. وكان قد اتخذ استعداداته فى الإسكندرية لمواجهة ثورة الجيش.. ولم يكن أى واحد من قادة الثورة حتى تلك اللحظة يستطيع أن يؤكد أن الثورة قد نجحت..

وبالتالي يقوى على الكشف عن شخصيته.. !

ولم يكن ذلك غريبا على البكباشى محمد أنور السادات، فقد كانت له تجربته الوطنية عندما شارك فى شبابه مع زملائه من الوطنيين فى القتال ضد قوى الاستعمار التى كانت تسيطر على مصر..

وكان الوحيد من بين زملائه أعضاء مجلس الثورة الذى كانت له تجربته فى ممارسة العمل السياسي من خلال الشارع المصري..

وكان الوحيد من بينهم الذى شرد وعذب وسجن، وفصل من عمله بسبب نشاطه فى الحركة الوطنية.. ودفاعا عن مصر.. وحقوق شعب مصر.. !

* * *

وتحركت قوات الجيش إلى الإسكندرية لتحاصر الملك الذى احتمى بقصر رأس التين..

وطار محمد أنور السادات إلى الإسكندرية، وكان هو الذى أعد وثيقة تنازل الملك الأرناؤوطى فاروق على العرش..

وكما قال الرئيس السادات فى كتابه ((البحث عن الذات)) .. لقد فوجئ بعد إبحار فاروق مع عائلته على اليخت المحروسة، وكان يتلقى مع زملائه أعضاء القيادة فى قشلاق مصطفى (باشا) بالإسكندرية، التهاني من مواكب.. رجال الأحزاب وكبار الباشوات والبكوات والإقطاعيين، بالقائم بالأعمال البريطاني، وفى صحبته الملحق العسكري فى السفارة البريطانية، وهما يطلبان مقابلة أعضاء القيادة.

وكان الملحق العسكري يرتدى ملابسه الرسمية على طريقة مواكب الإمبراطورية القديمة التى كانوا يرهبون بها المستعمرات..

وقام القائم بالأعمال البريطاني بقراءة مذكرة كان يحملها معه، وكانت تكشف عن رغبة غريبة من الحكومة البريطانية..

ماذا كانت تقول هذه المذكرة ؟ ..

كانت حكومة صاحبة الجلالة البريطانية تريد أن تعرف موقف الثورة من أسرة الملك الأرناؤوطى وحقوقها التاريخية بعد أن تنازل الملك عن العرش..

وتطلب كذلك فرض حظر التجول حماية لأرواح الأجانب..

وتكلم محمد أنور السادات ليلقن القائم بأعمال السفارة البريطانية والملحق العسكري البريطاني درسا فيما يجب أن تكون عليه العلاقات السياسية بين مصر وبريطانيا بعد الثورة . .

وكان أن ألتفت إلى الرجلين وهو يقول لهم:

- البند الأول.. أسرة محمد على وحقوقها التاريخية.. ما دخلكم أنتم فى هذا؟.. هل هى أسرة إنجليزية، أمركم غريب والله ! .. أما عن حماية الأجانب فيجب أن تعلموا أن هذا بلدنا.. وأنه منذ اليوم لا أحد مسئول عنها إلا نحن.. ونحن فقط .. أفهمتم..

ثم استطرد محمد أنور السادات يقول لهما :

- إننا نريد أن نعرف .. بأية صفة تقولوا هذا الكلام؟ .. هل هى صفة رسمية؟ .. إذا كان الأمر كذلك، فنحن نريد كلامكم مكتوبا وموجها من الحكومة البريطانية حتى نستطيع أن نتخذ موقفا من حكومتكم؟ ..

وتراجع القائم بأعمال السفارة البريطانية على الفور وقال إن الورقة التى قرأ منها كلامه، ورقة عادية، وأن حكومته لا تعرف شيئا عنها أو عن زيارته لأعضاء القيادة..

واعتذر القائم بالأعمال البريطاني بأسلوب ناعم، لكن بعد أن عرف بصراحة.. أن تدخل حكومة صاحبة الجلالة البريطانية فى سياسة مصر قد انتهى وأن أحد لا يمكن أن يسمح به بعد ثورة ٢٣يوليو..

وبمعنى أصح.. عرفت الحكومة البريطانية لأول مرة حدودها، بالضبط فيما يجب أن تكون عليها اتصالاتها مع المسؤولين المصريين.[1]

* * *

وفى البهو الكبير بقصر رأس التين أمسك فاروق القلم ليوقع بإمضائه لآخر مرة كملك.. وثيقة التنازل عن العرش..

كان يرتجف من الخوف، وهو يحاول أن يبدو متماسكا وكان فى نفس الوقت يعد الدقائق حتى جاءت الساعة السادسة التى أبحرت به الباخرة المحروسة مع ناريمان وأفراد أسرته من الإسكندرية إلى نابولى فى إيطاليا..

نحن فاروق الأول ملك مصر والسودان

لما كنا نتطلب الخير دائما لأمتنا ونبتغي سعادتها ورقيها
ولما كنا نرغب رغبة أكيدة في تجنيب البلاد المصاعب التي تواجهها في هذه الظروف الدقيقة
ونزولا على إرادة الشعب
قررنا النزول عن العرش لولي عهدنا الأمير أحمد فؤاد وأصدرنا أمرنا بهذا إلى حضرة صاحب المقام الرفيع علي ماهر باشا رئيس مجلس الوزراء للعمل بمقتضاه
صدر بقصر رأس التين في ٤ ذي القعدة ١٣٧١ (٢٦ يوليه ١٩٥٢)

نتيجة الاستهتار وعدم إحكام السيطرة على مقاليد الأمور وترك مصير الحكم والبلد لبعض أفراد الحاشية كانت وثيقة التنازل عن عرش مصر.. وهي أخطر وثيقة كتبها فاروق وهي بمثابة شهادة وفاة له.

(١) كتاب (البحث عن الذات) للرئيس محمد أنور السادات صفحة ١٥٠.

ولم ينس فاروق فى الساعات القلائل قبل رحيله أن يحمل ٦٤ صندوقا ملأها بالتحف الثمينة التى كانت موجودة بالقصر الملكى.

كما حصل معه عدة صناديق من الذهب كان قد تلقاها هدية من المملكة العربية السعودية..



وبينما كان الملك الأرناؤوطى يرتدى ملابس البحرية التى شوهد بها عندما صعد إلى الباخرة المحروسة مد يده إلى علبة كانت إلى جوار سريره، ثم فتحها ليدس فى جيبه جوهرتين ثمينتين من الماس.. كان أحمد عبود قد اشتراهما لحساب الملك من أحد أصحاب محلات المجوهرات الثمينة فى نيويورك..

وكان أحمد عبود قد دفع مليونين من الدولارات ثمنا لهاتين الماستين، وتبقى حوالى نصف المليون من ثمنهما..

وعندما ذهب صاحب محل المجوهرات الأمريكي إلى فاروق فى كابرى ليطالبه ببقية ثمن الماستين، أخذ يتحسر عليهما مدعيا أنه قد تركهما وراءه فى خزينة أحد القصور الملكية..

وكانت فضيحة عندما ظهرت الماستان مع فاروق بعد عدة سنوات فى جنيف!

* * *

وفى يوم ١٨ يونيو سنة١٩٥٣ أذيع بيان رسمى.. أعلن فيه نهاية حكم عائلة الملك الأرناؤوطى، وإعلان الجمهورية..

وصفق شعب مصر بحماس وهو يستمع فى الإذاعة إلى البيان التاريخى الذى أذيع فى تلك المناسبة.. وكان يقول بالحرف الواحد:

- إن تاريخ أسرة محمد على كان سلسلة من الخيانات التى أرتكبت فى حق شعب مصر، وكانت أول هذه الخيانات .. إغراق إسماعيل فى ملذاته، وإغراق البلاد بالتالي فى ديون عرضت سمعتها وماليتها للخراب، وكان ذلك سببا تعللت به الدول الاستعمارية للنفوذ إلى أرض هذا الوادي الأمين.. ثم جاء توفيق فأتم هذه الصورة من الخيانة السافرة فى سبيل محافظته على عرشه، وكان أن دخلت جيوش الاحتلال مصر لتحمى الجالس على العرش الذى استنجد بأعداء البلاد على أهلها وبذلك أصبح المستعمر والعرش فى شركة تتبادل المنفعة.. وقد فاق فاروق كل من سبقوه من هذه الشجرة، فأثرى وفجر وطغى وتجبر، وكان أن خط لنفسه نهاية مصيره، وقد آن للبلاد أن تتحرر من كل أثر من آثار العبودية التى فرضت عليها نتيجة هذه الأوضاع.. ومن أجل كل هذا نعلن، باسم الشعب إلغاء النظام الملكى وإنهاء حكم أسرة محمد على مع إلغاء الألقاب من أفراد هذه الأسرة..

وكانت نهاية أسرة الملك الأرناؤوطى التى حكمت مصر لمدة ١٥٠ سنة !

الفهرس

رقم الإيداع
١٩٧٨/٢٧٦٦

الترقيم الدولى
977 – 7049 – 7202